من كتابات ولقاءات

الداعية الإسلامي
الحبيب على الجفري

الكاتب الاجتماعى
شريف كمال عزب

لا تحزن ...
لا تغضب ...
لن يخزيك الله

دار الروضة
للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٢٠٠٥/١١٢٦٩

دار الروضة للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
٥٩١٣٤٢٤ ـ ٥٠٦٦٨٨٤ فاكس : ٥٩٢٧٣٦٤

مقدمـــــــــــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي وآله وبعد :

فهذا حديث إلى أخ لي حبيب . قد أراه في كل صف من الصفوف . قد أراه بين كل اثنين . . . أراه في كل مسلم رضي بالله ربا، وبمحمد، ﷺ نبيا، وبالإسلام دينا . . .

أخ لي .. . . لم يسلم من أخطاء سلوكية، وكلنا خطاء. . لم ينج من تقصـــير فـــي العبادة وكلنا مقصر! ! . . ربما رأيته حليق اللحية، طويل الـــثوب، مدمنا للتدخين ! ! . . بل ربما أسر ذنوبا أخرى ونحن المذنبون أبناء المذنبين ! ! .

نعم ! أريد أن أتحدث إليك أنت أخي حديثا أخصك به، فهل تفتح لي أبـــواب قلبك الطيب ونوافذ ذهنك النير؟! ! . و الله الذي لا إله إلا هو إني لأحـــبك . . أحبك حبا يجعلني ... أشعر بالزهو كلما رأيتك تمشي خطوة إلى الأمام ! ! . .

وأشـــعر والله بالحســـرة إذا رأيتك ترأوح مكانك أو تقهر ورائك !!. أحدثك حديثا اسكب روحي في كلماته . وأمزق قلبي في عباراته . .

إنـــه أخـــي حديث القلب إلى القلب . حديث الروح للأرواح يسري وتدركـــه القلـــوب بلا عناء. هل تظن أن أخطاءنا أمر تفردنا به لم نسبق إلـــيه؟! . كلا. .. فما كنا في يوم ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مـــا يؤمرون . ولكن نحن بشر معرضون للخطيئة، يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم . وكل من ترى من عباد الله الصالحين لهم ذنوب

وخطايـــا. قـــال ابن مسعود- رضي الله عنه- لأصحابه وقد تبعوه : "لو علمتم بذنوبـــي لرجمتمونـــي بالحجارة"، وقال حبيبك محمد، ﷺ : (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم) والله أخي لقد أحرقتنا الذنوب، والمتنا المعاصي ولكن أيها الحبيب المحب أرعني سمعك يا رعاك الله ! ! . إن هذه الخطايا ماسلمنا منها ولن نسلم، ولكن الخطر أن تسمح للشيطان أن يستثمر ذنبك ويرابي في خطيئتك . أتدري كيف ذلك ؟ ! ! . . يلقـــي فـــي روعك أن هذه الذنوب خندق يحاصرك فيه لا تستطيع الخـــروج منه . . يلقي في روعك أن هذه الذنوب تسلبك أهلية العمل للدين أو الاهـــتمام به . ولايزال يوحي إليك : دع أمر الدين والدعوة لأصحاب اللحى الطويلة! والثياب القصيرة! دع أمر الدين لهم فما أنت منهم ! ! .

وهكـــذا يضخم هذا الوهم في نفسك حتى يشعرك أنك فئة والمتدينون فـــئة أخرى. وهذه يا أخي حيلة إبليسية ينبغي أن يكون عقلك أكبر وأوعى مـــن أن تمـــر عليك . فأنت يا أخي متدين من المتدينين . . أنت تتعبد لله بـــأعظم عـــبادة تعبد بها بشر لله . أن تتعبد لله بالتوحيد. أنت الذي حملك إيمـــانك فطهرت أطرافك بالوضوء، وعظمت ربك بالركوع، وخضعت لَه بالسجود. أنت صاحب الفم المعطر بذكر الله ودعائه، والقلب المنور بتعظيم الله وإجلالـــه . فهنيئا لك توحيدك وهنيئا لك إيمانك . إنك يا أخي صاحب قضية . . أنت أكبر من أن تكون قضيتك فريق كروي يكسب أو يخسر . . أنت أهم من أن تدور همومك حول شريط غنائي أو سفرة للخارج . . أنت أهـــم من أن تدور همومك حول المتعة والأكل . فذلك كله ليس شأنك، إن ذلـــك شأن غيرك ممن قال الله فيهم ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ** ﴾ (محمد:١٢)

أخـــي أنت من يعيش لقضية أخطر وأكبر هي: هذا الدين الذي تتعبد الله به... هذا الدين الذي هو سبب وجودك في هذه الدنيا وقدومك إلى هذا الكـــون ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريـات:٥٦) . إن أود أن أذكرك مرة أخرى أن تقصيري لا إياك في طاعة ربنا أو خطئي وإياك في ســلوكنا لا يحللنا أبدا من هذه المسئولية الكبرى ولا يعفينا من هذه القضية الخطـــيرة انظر يا رعاك الله إلى هذين الموقفين : وأرجو أن تنظر إليهما نظرة فاحصة . وأن تجعلهما تحت مجهر بصيرتك : واسمع عن كعب بن مـــالك -ﷺ- حيـــث وقع هذا الصحابي في خطا كبير، وهو التخلف عن رسول الله، حين نفر إلى الجهاد في غزوة تبوك ولمعرفة خطر هذا الذنب تـــأمل قول الله – عز وجل –: ﴿ إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً ﴾(التوبة:٣٩) . ويعود النبي، ﷺ، من غزوته تلك، ولم جاء كعبا قال"ما خلفك ياكعب ؟" فيجيب بالصدق : "والله مكان لي مـــن عذر" . ويأتي حكم الله في كعب أن يجتنبه الناس فلا يكلموه، فإذا به يطـــوف فـــي الأســـواق لا يشرق لَه وجه ببسمة، ولاتنبس لَه شفة بكلمة، وطالت عليه جفوة الناس حتى صار حاله كما وصف الله : حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم وكما وصف كعب نفسه : "تـــنكرت لي في نفسي الأرض فما يربا لأرض راكض كنت أعرف " . هنا بالذات في وسط هذه المعاناة النفسية الشديدة وبين ألم القطيعة، وجفوة الناس إذا به يتلقى رسالة ملكية من ملك غسان يقول فيها: "إنه قد بلغنا أن صـــاحبك قـــد جفاك ولم يجعلك الله بدار مهانة، فالحق بنا نواسك " . إنها رســـالة مـــن ملـــك ! يعرض عليه أن يلحق به ليكون من رجال البلاط، وحاشـــية الملـــك وليتمتع بعد ذلك بكل ما في القصور من ترف، وكل ما يعمـــرها مـــن لـــذة . إنـــه عرض يسيل لعاب أفواه كثيرة بعيدا عن هذه

الضـــغوط والمعاناة، فكيف بمن يتلقى هذا العرض وهو يعاني ألم القطيعة ومـــرارة الهجران ؟ ! . فكيف تلقى كعب هذا العرض ؟! ! . إنه لم يفكر فـــي الأمر كثيرا أو قليلاً، لم يقل لحامل الرسالة دعني أتدبر أمري وأرجع إليك الجواب غدا، كلا إن قضية الولاء للإسلام كانت محسومة عنده ليست محـــل بحـــث أو مراجعة، ولذا فما إن قرأ هذه الرسالة حتى قال : "وهذه أيضا من البلاء، ثم تيمم بالرسالة الملكية التنور فسجرها فيه " . إنه الولاء للإســـلام – أيها الأخ المبارك لم يضفه وقوع في خطا! ولا قسوة عقوبة! فهـــل نـــتعلم من كعب ﷺ أن أخطاءنا لن تكون في يوم سببًا يوهن ولاءنا للدين وحميتنا له وغيرتنا عليه . ثم إلى موقف صحابي آخر هو أبو محجن الثقفي ﷺ لقد كان هذا الصحابي مبتلى بشرب الخمر فكان يجاء به فيجلد، ثم يجاء به فيجلد، ولكنه لم يفهم أن هذا يعفيه من العمل لدينه أو القعود عن نصـــرته، فإذا به يخرج مع المسلمين إلى القادسية جنديا يبحث عن الموت مظانـــه، وفي القادسية يجاء به إلى سعد بن أبي وقاص وقد شرب الخمر، فيعاقبه سعد وتكون العقوبة حبسه فلا يدخل المعركة، ولا يشارك في القتال . وكانـــت عقوبـــة قاسية آلمت أبا محجن أشد الألم حتى إذا سمع ضرب الســـيوف ووقـــع الـــرماح وصهيل الخيل و لم أن سوق الجهاد قد قامت، وأبـــواب الجنة قد فتحت جاشت نفسه وهاجت أشواقه إلى الجهاد فعبر عن حسرته بقيام سوق الجهاد وهو حبيس القيد والسجن بقوله :

كفـــى حزنا أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك مشدودا إلى وثاقا إذا قمت عـــنا في الحديد. وغلقت مصارع دوني قد تصم المناديا فلله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت الخواليا ثم نادى امرأة سعد ابن أبي وقاص قائلا : خليني فلـــله عـــي، إن ســـلمت أن أجيء حتى أضع رجلي في القيد، وإن قتلت اســـترحتم مني . فرحمت أشواقه، واحترمت عاطفته وخلت سبيله، فوثب

على فرس لسعد يقال لها البلقاء ثم أخذ الرمح وانطلق لا يحمل على كتيبة إلا كسـرها، ولا على جمع إلا فرقه، وسعد يشرف على المعركة ويعجب ويقـول : الكر كر البلقاء، والضرب ضرب أبي محجن ! حتى إذا انهزم العـدو عاد أبو محجن فجعل رجله في القيد فما كان من امرأة سعد إلا أن أخبرته بهذا النبأ العجاب وما كان من أمر أبي محجن، فاكبر سعد ﷺ هذه الـنفس، وهذه الغيرة على الدين، وهذه الأشواق للجهاد وقام بنفسه إلى هذا الشارب الخمر يحل

قـيوده بـيديه الطيبتين ويقول : "قم فو الله لا أجلدك في الخمر أبدا، وأبومحجن يقول : وأنا والله لا أشربها أبدا " فانظر أيها الأخ المبارك إلى هذيـن الرجلين كيف لم تعفهما الخطيئة، ولم تقعدهما المعصيه عن الولاء للدين والعمل لَه !! .

أخـي الحبيب ... إن الخطايا ليست عذرا للتحلل من الولاء للدين، ولا مـن العمـل لَه، ولا من نصرته، ولا من النيرة عليه . ولولا ذلك لما انتصـر للدين منتصر، ولا قام به قائم . نعم أيها الحبيب المحب إن الولاء للديـن والغيرة عليه مسئولية المسلم من حيث هو مسلم مهما كان فيه من تقصـير ومهمـا قارف من إثم . مادام لَه بهذا الدين سبب واصل، فما من مسلم يقف في صف المسلمين إلا ويتحمل مسئولية في تاييد الدين ونصره : ﴿ **وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الأعراف:١٥٧). . هل تذكرت أخي أنك مؤمن هذه الأمة التي يجب أن تكون فـي المقدمة في وقت تتسابق فيه الأمم في صنع المستقبل ؟ ! ! . إننا في عصـر ينبغي أن نقتحمه متحدين . فهل فكرت في إسهام حقيقي منك في ذلك ؟!! . . هل تذكرت أخي أن دينك هذا الذي تدين الله به مستهدف بعداء

مريـــر وكـــيد طويـــل ؟ ! . . واقرأ إن شئت "قادة الغرب" يقولون دمروا الإســـلام أبيدوا أهله و لتقف على طرف من هذا العداء فهل فكرت وإياك في المواجهة؟! ! . . هل آلمتك مجازر المسلمين ورخص دمائهم فإذا هي أرخص من ماء البحر واستهانة العالم بمدن المسلمين تباد ودولهم تبتلع ؟! ! فـــي الوقت الذي تصاب فيه الدنيا بالأرق لرهينتين غربيتين ! ! . فهل تحركت فينا أخي روح الجسد الواحد؟! !

أيهـــا الحبيب المحب ... هل فتشت في نفسي وفتشت في نفسك وتساءلنا كـــم تبلغ مساحة الإسلام من خارطة اهتمامنا؟! ! . كم نبذل للدين ؟! ! كم نجهد للديـــن ؟! ! كم نهتم للدين ؟! ! هل هو قضية حياتنا تتراء لنا وتؤرقنا؟! ! أم قد رضـــينا بعـــبادات تحولـــت إلى عادات ؟ ! ! إننا يا أخي إذا لم ننفر لهذا الدين بكليتـــنا فإنـــا – ورب البيـــت – نخشى أن ينالنا ذلك الوعيد الشديد الذي تكاد الســـموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، اسمعه في قول ربك جـــل جلاله : ﴿ **إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (التوبة :٣٩)

لنعد السؤال على أنفسنا مرة أخرى : كم يعيش الدين في حياتنا؟! ! كم يشغل من مساحة اهتمامنا؟! !

ثم أذن لي ياحبيبي بكلام أمر قليلا: هل أخذت يوما كتاب الله فقرأته مستشـــعرا أن الله – جل جلاله – بكبريائه وعظمته يخاطبك ويكلمك أنت العبد الصغير الذليل ؟! !. أي تكريم لك ذلك التكريم العلوي ! ! . أي رفعة لـــك يرفعها هذا التنزيل ! ! . أي مقام يتفضل به عليك الرب الكريم !! . يوم جعلك أهلا لتلقي خطابه .... هل جلست يوما تربي نفسك بقراءة سيرة نبـــيك وحبيـــبك محمد،، ﷺ الذي تؤمن به وتعبد الله بشرعه، الذي تحبه

والذي أحبك، واشتاق إلى لقائك . نعم ! نبيك اشتاق إلى لقائك فقال وددت أنـــا قــد رأيـــنا إخواننا قالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟! قال : أنتم أصـــحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد" فهل اشتقت إليه كما اشتاق إليك ؟ أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة- ﷺ -.

. أخـــي .. . هـــل نظرت وإياك إلى إخواننا الصالحين السابقين في الخلوات، الذين هم أكثر منا جدا في الطاعة، ونشاطا في الدعوة، وتوقيرا للســـنة؟ ! . هل نظرت أليها؟! ! فكيف كانت نظرتك ؟! . أما إني لا أود مـــنك أن تـــزدريهم ولا أن تخذلهم ولكن أحبهم تكن -لان المرء . مع من أحـــب " ومحبتهم تستلزم نصرتهم والدفاع عن أعراضهم والتعأون معهم . هـــل بذلـــتم جهدا في الدعوة ولو كان قليلا؟؟. هل أهديت لقريب أو زميل شريطا بعد أن سمعته أو كتيبا بعد أن قرأته . وانظر إلى ... هذه المنكرات التي في مجتمعنا وقد غص بها لم تنتشر في يوم وليله، ولكن انتشرت لأن واحـــدا فعـــل وواحـــد ســـكت وهما شريكان في انتشار ذلك المنكر. فهل استشـــعر ت وجـــوب مشاركتك في إزالة المنكر؟ ! ! وعلمت أنة لابد أن تكون مساهما في الإنكار! ! .

أخي . .. إن في مجالسنا ومجتمعنا من يشوش على الناس مفاهيمهم ويلـــبس علـــيهم دينهم وينتقص أهل الصلاح منهم ! ! . فهل وقفت منافحا ومدافعـــا بالتي هي أحسن ؟! . لأنك تعلم أن السكوت حينئذ خيانة للمبدأ، وجبن في الدفاع عن الحق الذي تعتمده . .

أخـــي ... لا تكتف بالتعاطف مع الأخيار الأبرار وترى ذلك فضلاً مـــنك ولكنك تعلم أنه يجب عليك أن تكون متعاطفا ومتعأونا لأنك تعلم أن ذلك من مسؤليتك .

أخـــي وحبيبـــي ... تذكـــر رعاك الله أنك بإيمانك ذو نسب عريق ضارب في عمق الزمن، وأنك واحد من ذلك الموكب المبارك الذي يقوده ذلــك الركب الطيب من أنبياء الله ورسله نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، ﷺ : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(الأنبياء:٩٢) إنــا **نظــن** بك أخي أن تكون معتزا بإيمانك، واثقا من نفسك، باذلا لدينك **مايمكنك**

بذلــه، داعــيا لمبدئك وقضيتك، متميزا عن غيرك ممن لا يهتم بهذا **كلـــه**، متميزا عن السلبيين الذين نقول لهم كفوا أذاكم عن الناس فهو صدقة **منكم** على أنفسكم أخي ..لا أريد أن أهون عليك الخطايا فرب خطيئة كان **عقابهـــا** طمـــس بصـــيرة، ولكـــن أقول ينبغي أن لا تكون الذنوب خندقا يحاصرنا عن العمل لهذا الدين وأنت من هذا على ذكر .

أخـــي الحبيـــب :هذا شجن من شجون الهاتف بك قلبك الطيب بنصح المحب ومحبة الناصح وإن في إيمانك ونقاء أعماقك ما يطمع فيك كل من يريد الخير لك .

أمـــا الحبيـــب الجفري : فهو يمثل الداعية حينما ينطلق الداعية من مســـاحات الوسطية والاعتدال يصعب أن تنفر منه.. ربما تتفق أو تختلف معه.. ولكن كلماته وآراءه سوف تتسلل إلى أعماقك لتفجر مناطق التفكير والنقاش.. وفي النهاية سينتصر المنهج القويم الذي رسخه الإسلام الحقيقي علـــى مـــدى قـــرون عديدة من الاجتهاد والدعوة. هذا المفهوم الحضاري للإسلام الوسطي.. كان الدافع الأول وراء تصدي دار الروضة لمهمة بناء عـــدة جســـور للتواصل والتحاور بين قرائها ورموز الدعوة الإسلامية في الوطن العربي خلال المرحلة الراهنة.. وكما قدمنا. وما زلنا نافذة للحوار

بيــن فضــيلة الشــيخ يوســف القرضــأوي والأستاذ عمرو خالد والإمام الشعرأوي القراء في جميع الدول العربية كان مهماً أن ننظم حوارا واعيا وجادا مع الداعية الإسلامي الحبيب علي الجفري عبر هذا الكتاب الذي دار حول محاضرة هامة للداعية الإسلامي الحبيب علي الجفري كانت بعنوان لن يخزيك الله وحرصا من دار الروضة للنشر على الجهد في إكمال الفائدة حرصــنا علــى تسديد الوضع الإجتماعي والأسلوب التعبيري من كتابات ولقــاءات الكاتب الإجتماعي شريف كمال عزب وكان هذا الكتاب خلاصة كتبه ولقاءاته بالتليفزيون المصري والله نسأل أن يجزيي كل من ساهم في هذا العمل خير الجزاء .

سامي الطرابيشي

لا تحزن لا تغضب لن يخزيك الله

اسم الكتاب غريب من يقرأ العنوان يتخيل أننا من كوكب آخر من لا يحزن !! من لا يغضب !! قل من وثق بأن الله لا يجزيه !!! ولكن للجواب على هذا السؤال ندعوك لقراءة هذه السطور التالية لتعرف النفس البشرية كما عنون لها الكاتب شريف كمال بعنوان :

كيف ينظم الإنسان حياته .. والعالم من حوله ؟

كل منا يستخدم صفة الحكم judger عندما نقوم بعمل قائمة.. بما سوف نـــنجزه غدا من أعمال مثلا .. وأيضا كل منا يستخدم صفة المدرك بحواسه perceiver عندما نؤجل اتخاذ قرار.. ونبحث في البدائل المتاحة.

(التحري) ..وأيضا عندما نتفاعل بتلقائية مع الحدث دون تحكم في الحدث ..(يؤجل لآخر دقيقة) .. ولمعرفة إلى أي الفريقين تميل .. اسأل نفسك الأسئلة التالية :

❀ هــل تـــتخذ القرار في سرعة وسهولة وحسم .. أم تؤجل اتخاذ القرارات إلى آخر لحظة ؟

❀ هل تفضل الحسم .. أم تفضل ترك الاختيارات مفتوحة ؟

❀ هــل تفضـــل التحكم في الأحداث .. أم ترك الآخرين يختارون كيفما شاءوا ؟

❀ هل تلتزم بالمواعيد بدقة.. وتقدر الوقت .. أم تتأخر دائما ..ولا تستطيع التحكم في الوقت ؟

❀ هل أنت منظم في حياتك .. أم تجد صعوبة في تنظيم الحياة من حولك؟

❀ هــل تفضــل العمــل ثــم الراحة والاستجمام .. أم دائما تؤجل الواجبات.. إلى آخر وقت ممكن ؟

أ – الحكم .... judger

• يحب أن يحسم الأمور .. ويشعر بسعادة كبيرة بعد اتخاذ القرارات.

• العمــل أولا ثم الراحة والاستجمام .. يصنع الأهداف ..ثم يسعى إلى تحقيقها.

• حاسم .. لا يتردد كثيرا .. يرى الوقت ضيق باستمرار .. صارم في مواعيده .. يحب معرفة تفاصيل الأحداث.

• مثال .... أبو بكر الصديق

ب– المدرك بحواسه (التحري)..... perceiver

• يترك الاختيارات مفتوحة دائما .. يحب التحري واخذ المعلومات

• غير حاسم .. يغير من أهدافه.. كلما حصل على معلومات جديدة

• استمتع أولا ثم قم بالعمل لاحقا .. فالوقت طويل أمامك

• تلقائي .. مرن .. يتكيف بسرعة مع الظروف المحيطة .. ومع أي وضع جديد

• يهتم بمراحل التنفيذ .. وليس النتيجة النهائية للعمل

• بطيء في التنفيذ .. يستمتع بان يبدأ في المشروعات لا أن ينهيها

• يترك حياته مرنة لكل الاحتمالات .. المواعيد مرنة جدا

• يحب المفاجآت .. ويؤخر كل شيء لآخر لحظة .. تلقائي .. عفوي

• **مثال..... الشعرأوى**

وعن الحزن يقول شريف كمال عزب : إن من يتحسَّسُ واقع الناس بعامــة وواقع المسلمين على وجه الخصوص في زمنٍ كثُرت فيه المعارك وقلّ فيه العَارف، زمنٍ بلغت فيه آلياتُه أوجَ تقدّمِها، ونالت الحضارة المادية فــيه شــأوا بالغــاً، زمنٍ هو غايةٌ في السرعة المهولة، سرعةٍ اقتصادية، وأخــرى طبيّةٍ، وثالثةٍ عسكرية ومعرفية، إن من يتحسَّس هذا الواقع على وجــه الإنصــاف والوضــوح فســيمثّل أمامــه أن هذه المسارعة بقضِّها وقضيضها لم تكن كفيلةً في إيجاد الإنسان الواعي، الإنسان المدرك لحقيقة وجوده على هذه البسيطة.

نعــم، هــذه هي الحقيقة مهما امتدّت حبال هذا التقدم العصري، وإلا فمن يخبرنا عن سرٍّ انتشار الجهل وتضلُّعِه في عصر تقدم المعلومات؟ وما هو سر شــيوع الفقــر والمسكنة في عصر الكنوز والغنى؟ وما سر سيطرة البطالة في عصــر الإنتاج والصناعة؟ وقولوا مثل ذلك متسائلين: ما هو سر وصف بعض الباحثيــن فــي الشــؤون الاجتماعية على المستوى العالمي هذا العصر بعصر الحزن والاكتئاب، بعد أن أُطلق على فترةٍ قريبة منه سابقة عصرَ القلق؟

إننا في الحقيقة لسنا بحاجة إلى مزيد أدلة تؤكّد ما يكابده هذا العصر من تغلغُل هذه الظاهرة واستشرائها.

الحزن والاكتئاب هما آفة العصر المدمرة، وهما أوسع الآفات النفسية انتشــاراً في العالم، وأكثرها لدى الناس إلا ما شاء الله، وهي لا تزال في ازدياد ملحوظ كلما ازدادت الإصابة بها.

ثـم إن المترقـب لآخـر الإحصائيات الصحية العالمية ليجد أن ما يقـارب ١٠% من سكان العالم يعانون من آفة الحزن والاكتئاب، بما في ذلكـم بلاد المسلمين، وهذا يعني بداهة وجود مئات الملايين من البشر في معانـاة مع هذا الواقع المرير، وقد أسفرت هذه الإحصاءات أيضاً عن أن الأجيال التي وُلدت في هذه العقود الأخيرة يبدأ عندها هذا الحزن والاكتئاب في سنٍّ أصغر وبمعدلات أكبر، نظراً للعوامل الاجتماعية التي تخلَّلت تلك الجسـوم بسبب تهلهُلها وضياع الأثر البيئي الناضج فيها، كما وُجد أن هذا الداء ينتشر بشكل عام بين الإناث أكثر من انتشاره بين الذكور بنسبةٍ تصل إلى الضعف تقريباً، وذلك بسبب فقدان الوظيفة الحقيقية للمرأة، وتحميلها ما لا تطـيق مـن أعباءٍ حياتية أودت بها إلى ترك بيتها، والزجّ بطفلها بين أحضـان الخادمـات وعقـول المربِّيات الأجنبيات. بل لقد بلغت حالات الانتحار بسبب الحزن والاكتئاب الشديد ما يزيد على ثمانمائة ألف شخص في العالم كل عام، ناهيكم عن كون ٨٠% من المصابين به لا يذهبون إلى الأطباء، ولا يكشفون عن حقيقة حالهم، وهما مكمَن العجب.

إن هذه الظاهرة ليست وليدةَ هذا العصر، ولا هي من الأدواء التي لا يُعرف لها ما يقأومها، أو يزيل عُمقَ وجودها في المجتمعات، كلاَّ، بل هي ظاهرة مرهونة بمدى انغماس الكثرة الكاثرة في متاع الحياة الدنيا وسيطرة النظرة المادية الصِّرفة.

ثـم إن تفـأوت المجتمعات في درجات هذه الظاهرة ليكمن في مدى إيمانها بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ثم في اسـتقامة السـلوك الاجتماعـي بأمنه وإعلامه وتعليمه، واستقرار العدل والمسأواة والمحبة، والبعد عن الأثرة وحب الذات وهلمَّ جرا.

لقـد سيطرت هذه الظاهرة سيطرةً مزدوجةً على اهتمامات وأبحاث الكاتبيـن عنها، من بحاثة شرعيين وأطباء نفسيين، وآخرين من صحفيين نقلة، ولربما تناولتها الأقلام باللّتّ والعجن بين الحين والآخر، غير أن هذه المطارحـات على تنوّعها واختلاف منطلقاتها لم تُوفَّق في أن تجتمع تحت مظلّـة واحدة تجمع في علاج هذه الظاهرة بين الأصالة والمعاصرة، بين الطـب الشـرعي الروحاني وبين الطب النفسي الإكلينيكي الموثَّق، والذي يقوم عليه متخصِّصون من ذوي الأمانة والغيرة، ممّن يُخضعون دراساتهم فـي الطـب النفسـي للشريعة الغراء، بعيداً عن النظريات المادية البحتة المتجرّدة عن معاني الروح والسمو.

۞ الحزنُ في لغة العرب مأخوذ من الحَزَن وهو الاغتمام، يقولون: حَـزِن الـرجل إذا اغتمّ واشتد همُّه، وهذا الحزن يُعدّ أحدَ صور العاطفة والمشاعر الإنسانية الفطرية التي تسيطر على الإنسان، فإذا ما اشتدت عليه اشتداداً تتغيّر به نفسه وتتكسر فإنه حينئذ يُسمَّى اكتئاباً، وهو أيضاً إحساس عاطفـي يُعـد قمةَ الحزن وغايته، حيث يجعل الفرد نهباً لشعوره الداخلي الـذي يـورث الفشـل وخيبةَ الأمل واختفاء الهشاشة والبشاشة والحبور والانشـراح، مع انفعالات مزدوجة بالآهات والزفرات، حتى تعزِف النفس بسـبب ذلك عن بذل أي نشاط حيوي، بل ولربما عزفت عن الحياة بالكلية ليكون الانتحار هو الحل الوحيد للمصاب بهذه الأزمة والعياذ بالله. في حين إنه لو سلم من قتل نفسه والقضاء عليها، فلا أقل من أن تصيبه لوثة ببعض الأمراض المصاحبة لها، كأمثال القرحة وآلام المفاصل والأرق والصداع وغـير ذلك، وقد قال ابن القيم رحمه الله: "أربعة تهدم البدن: الهم والحزن والجوع والسهر".

إن أهمـــية التطبُّـــب النفسي من خلال عرض الفرص العلاجية عبر جوانب إيمانية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لعلَّة الحزن والاكتئاب لتكمن في كونهما البديل الأفضل والأكمل والأسلم لمئات من أنواع الأدوية والعقاقير المهدِّئة والكيوفات المؤقَّتة التي قد يتعوَّد عليها الجسم فتتحوَّل مرضا أفتك من الحزن والاكتئاب ذاته.

ثـــم إن العلاج الشرعي الروحاني على وجه العموم قد يفوق العلاج الســـريري لهـــذه الظاهرة الفتاكة بمرات كثيرة. وإذا كان هناك برامج في الطـــب النفسي تشير إلى أن في السباحة المائية ومزأولة الأعمال المنزلية بصـــفة مـــتكررة علاجـــاً لهذه الأزمة، فإننا معاشر المسلمين لا يمكن أن نتصـــور كون الفرد سابحاً عاملاً في منزله ليلا ونهاراً، ولكن يمكن لنا أن نتصـــور هذا الفرد متعبِّداً مسبِّحا مستغفرا ليله ونهاره قيامَه وقعوده وعلى جنـــبه، ولا جرم فقد وصف الله أولي الألباب بقوله: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ [آل عمران:١٩١]. ومن هنا يأتي تفاضل الأدوية الشرعية الروحانية على المادية السريرية رغم أهميتها وعدم إغفال دورها الفعال في بعض الأحايين.

وبعـــدُ يـــا رعاكم الله فلسائل أن يسأل ويقول: قد عرفنا صورة هذه الأزمة، ولكن ما أسبابها الظاهرة؟ وما علاجها المرجو؟

فـــنقول: إن هناك مسببات طبيةً بحتة، لا يمكن تجاهلها، ومن أشهر هذه الأسباب كثرة تعاطي الأدويةِ والعقاقير التي تؤدي بدورها إلى تغيّرات كيميائـــية في الدماغ الناتج عنها الإصابةُ بالاكتئاب نفسه. ومن ذلك أيضاً تعاطي المخدرات والمسكرات المؤدية إلى الإدمان المروِّع والإحساس بأن الحـــياة لا شـــيء بـــدون معاقـــرتها. ومن ذلك العوامل الوراثية وبعض

الأمـــراض العضـــوية. ولكن الذي يعنينا هنا من على هذا المنبر هي تلكم الأســـباب التـــي تناولتها الشريعة الغراء من خلال ذمها والتحذير منها في غير ما آية أو حديث لكافة شؤون الدين والدنيا.

فقـــد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن خواء القلب من ذكر الله ويُـــبس اللسان منه أمارة من أمارات الضيق والنكد والحزن وكسْف البال، فقـــد قـــال الله تعـــالى: ﴿ **وَمَـــنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُـــرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ** ﴾ [طه:١٢٤]. وقد جاء في السنة ما يدل على أن مواقعة المعاصي والاستهانة بها سبب رئيس من أسباب حلول هذا البلاء، فقد قال النبي ﷺ: (إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها من العمل ابتلاه الله عز وجل بالحزن ليكفرها عنه) رواه أحمد .

ومن أسباب ذلك أيضاً قلق كثير من الناس وخواء أفئدتهم من الإيمان بالله وبقضائه وقدره، وفزعهم من المستقبل المجهول، والشعور بالوهن عن حمـــل المصـــائب وتحمل المشاق، فتجدون أمثال هؤلاء قوماً يفرقون، لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخلا لولَّوا إليه وهم يجمحون.

وســـبب آخـــر مـــن أسباب هذه الأزمة يبرز من خلال كثرة الديون والحمـــالات المالية مع العجز والكسل على إيفائها، أو الجبن والبخل الذي يصـــيب المـــرء حينما يُبتلى بالفرق وسَعَار الكانز. ومما يدل على أن هذا الأمر يُعدُّ أساسا في حدوث مثل هذه الظاهرة ما رواه أبو دأود في سننه أن النبـــي ﷺ دخـــل المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامـــة، فقـــال: (يا أبا أمامة، ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟!) قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: (أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟!) قال: بلى يا رسول الله، قال:

(قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بــك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)، قال أبو أمامة: ففعلت ذلك، فأذهب الله همي، وقضى عني ديني .

هذه بعض الأسباب لا كلها، وقد رأينا صلتَها الوثيقة بما جاء التحذير عنه في ملتنا السمحة ومنهاجنا الأغر. في حين إن جماع هذه الأسباب هو البعد عن هداية الله والاستقامة على طريقة والتعلقُ بالأسباب الدنيوية بعيداً عن مسببها سبحانه، ومن تعلق شيئا فقد وُكل إليه، ومن وُكل إلى غير الله فقد وُكل إلى ضيعة وخراب، ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنعام:١٢٥]. وإليكم هذا الموقف :

هــذا هو **أحمد عادل** منذ فتره لم أره ضاحكا، نعم يتبسم أحياناً، لكن الحزن والكآبة أبداً ظاهران على محياه، يكثر السؤال عن أحوال المسلمين، يتتــبع أخــبار الاضطهاد والقتل والتشريد.. قال لي يوماً بعد عودتنا من السفارة البريطانية برفض إعطاء تأشيرة دخول لبريطانيا:

شريف.. أولسنا على الحق وأعداؤنا على الباطل؟ قلت: بلى!!

-أولسنا في صف الرحمن، وهم في صف الشيطان؟ قلت: بلى!!

-أولسنا ندعو إلى الفضيلة وهم يدعون إلى الرذيلة؟ أولسنا مسالمين لا نعتدي ولا نظلم وهم السفاحون الخونة؟.. قلت: بلى.. بلى !!

-فلمــاذا لا ينصــرنا الله عليهم؟ لماذا نبقى في اضطهاد وتشريد؟..

أكاد أجن ! بل لو جاز قتل النفس لفعلت، ما نفيق من ألم صفعة إلا تتبعها أخـــرى! مـــن الاعتداء على أفغانستان والعراق، إلى مذابح كشمير، وهدم المساجد في الهند، و.. و.. وآلام وويلات في بلاد الإسلام، حتى بلغنا من الذل أن ذبحنا ذبح الشياه في البوسنة والهرسك، ثم في كوسوفا.. ولاندري أين يكون الجرح القادم..

أطفـــال يـــتامى.. نســـاء أرامـــل.. فتيات يحملن في أحشائهن أبناء المعتدين ! لم يستطعن أن يحصلن ولو على حبوب منع الحمل..

إلـــى مـــتى يستمر حال الأمة هكذا؟! صار المسلم الآن لا ينتظر إذا أصبح إلا خبراً مبكياً، أو موتاً منسياً.. لاحول ولا قوة إلا بالله..

يا أحمد **﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾** إن نصر الله قريب.. إي والله إنه قريـــب، ومـــا يصيب أمة الإسلام الآن إلا آلام ماقبل الولادة.. نعم ولادة النصر والتمكين لهذا الدين

والدين منصور وممتحن فلا * تعجب فهذي سنة الرحمن**

واستمع إلى هذه البشائر:

قال تعالى: **﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [الصف:٨-٩].

وقال سبحانه: **﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾** [الصافات:١٧١-١٧٣] .

وقـــال عز وجل: **﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ**

الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[النور:٥٥].

فهـــذه كلها وعود جازمة بالنصر والتمكين، وعدنا بها من بيده ملك السـماوات والأرض، وعدنـا بها من قلوب العباد، وعقولهم، ونواصيهم، وقواتهـم، وأسلحتهم، وتخطيطاتهم، بيده وحده لاشريك له.. فهل تنكر من ذلك شيئا؟..

ثـم لا تنـبهر عينك من كثرة الكافرين وتألبهم على المسلمين، ولا تخـش من أسلحتهم، وتطورهم، وظهورهم،ولا رفضهم لنا واعتبارنا عار ولا نصـلح كمسـلمين وعرب فإن كيدهم مهما عظم فهو ضعيف: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (١٥) وَأَكِيدُ كَيْداً (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾ [الطـارق: ١٥-١٧]، نعم أمهلهم رويدا.. وقد يكون هذا الرويد سنة أو سنتين أو عشرأ أو عشـرين أو ألفـا.. لكنه رويد مهما طال، وهم مع اجتماعهم، واتفاقهم على حربنا، إلا أنهم والله يوشكون أن يختلفوا ويقتتلوا، ويكفي الله المؤمنين القتال ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر:١٤].

واستمع إلى هذه البشائر:

عـن تميم الداري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: } ليبلغن هذا الأمـر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الشرك] {أخرجه أحمد والحاكم، وصححه الألباني].

وعـن حذيفـة بن اليمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { تكون النبوة فيكم ماشـاء الله أن تكـون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، تكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون

ملكـــاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة} [أخرجه أحمد، وصححه العراقي، والألباني] .

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺقال: { لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك } [رواه مسلم].

وعـــن أبــــي بـــن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { بشر هذه الأمة بالنساء، والنصر، والتمكين، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؟ لم يكن لَه في الآخرة نصيب } [أخرجه أحمد، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني] .

هـــل تعلـــم؟!! ســـوف نقاتل اليهود ! نعم اليهود، الذين نجري الآن وراءهـــم نستجديهم السلام ! سوف نقاتلهم، بل سوف نقتلهم، ويقاتلهم معنا كل شيء حتى الحجر والشجر!.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺقال: { لاتقوم الساعة حتى يقاتل المســـلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبأ اليهودي من وراء الحجر والشـــجر! فيقول الحجر أو الشجر: يامسلم ! ياعبدالله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود } رواه البخاري ومسلم .

وسوف نفتح مأزر النصرانية، ونسيطر على أرض الفاتيكان، سوف نملـــك "روما " ونحكمها بالإسلام، نعم.. النصارى الذي يرسمون الصلبان بالسكاكين على صدور المسلمين في كوسوفا، وقبلها في البوسنة، وقبلها في بقاع كثيرة.. سوف يؤدون لنا الجزية عن يد وهم صاغرون، إلا أن يدخلوا في الإسلام..

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتـــب، إذ سئل: أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية، أم رومية؟ فقال رسول الله ﷺ { مدينة هرقل تفتح أولاً، يعني القسطنطينية} اخـرجه احمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني .

وهناك بشائر أخرى، منها:

أن دين الإسلام: هو الدين الذي يتوافق مع فطرة الإنسان، ويكفل لَه ســعادتي الدنيا والآخرة، ولايمكن أن يعيش الناس في أمن وسعادة في ظل دين آخر..

جرائم الاغتصاب، والسرقة، والقتل، بل والتفكك الأسري، والأمراض النفســية، كلهــا فــي إزدياد يوماً بعد يوم في أكثر البلاد تطورا وحضارة، ولماذا؟ لأن أديانهم الباطلة والمحرفة لم تفلح في تعليق قلوبهم بالآخرة..

أثناء وقوفنا في صف الانتظار لدخول السفارة البريطانية سمعت من الواقفون وأغلبهم عاش في بريطانيا لفترة طويلة ما يسعد القلب ، وما يدل على أن وعد الله على لسان نبيه ﷺ آت لا محالة ..

۞ يقــول أحدهم هنا من لا يملك المال لا يموت جوعا في بريطانيا يموت جوعا .

۞ هنا تستطيع السير ومعك مليون جنيه ولا تخاف في بريطانيا لو معك خمسة جنيهات اعرف أن هذه الخمسة يمكن أن تودي بحياتك فيقتلك من يحتاجهم .

۞ أســتاذ دكتور بكلية الطب جامعة الأزهر يقسم بالله انه رأي هذا الموقــف بعينــيه ﴿ رأيت بعيني رجل عربي يلبس لباس عربي وزوجته

منقــبة ويســـير معه أولاده الأربع الصغار ويأكلون سندوتشات ورمى أحد الأطفال ما بقي من طعامه فإذا بي أرى امرأة إنجليزية ترفعها من الأرض وتأكلها من الجوع والحاجة ✂ لن أعلق حتى لا أَتعب ولا أُتعب .

وأنــتقل إلـــى ما قرأت وأبشرت به عن أمريكا: في عام ١٩٩٧: أصبح الذيــن لديهــم خــبرة في الإجرام بمختلف أنواعه ٣٤,٨ مليون، منهم ٧٤% جرائمهم كبيرة جداً!! ومن كل: ١٠٠٠ شخص، تم القبض على: ١٩٩ سارقاً!! [تم استخراج هذه المعلومات، وما بعدها، من إدارة الإحصاءات الأمريكية] .

ووصل معدل الجريمة خلال عام واحد إلى ٢٥. ١٤ مليون جريمة!!

وبلغت نسبة الطلاق ٦٠% من عدد الزيجات!!

ويغتصب يوميا ١٩٠٠ فتاة!! ٢٠% منهن يغتصبن من قبل آبائهن!!

فهــل تظن أن مجتمعاً مثل هذا يظل منتصراً متمكناً؟!: ﴿ **فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً** ﴾[مريم:٨٤].

ومـــن البشـــائر: ما نشاهده يوماً بعد يوم في بلاد الإسلام، من إقبال الـــناس على التمسك بالدين، والاهتمام بأحكامه، بل وفي غير بلاد الإسلام نرى، ازدياد الداخلين في الإسلام.

أما ما نشاهده اليوم من اضطهاد، وقتل، وتشريد للمسلمين، فهو لايعني أن الأمة سيستمر حالها هكذا، لا، بل سيأتي يوم ينتصر فيه الإسلام، وعندما يأتـــي ذلك اليوم، فماذا يعني عمر جيل من البشر؟ أو أجيال؟ النصر قادم.. ليس المهم متى سيأتي النصر، لكن المهم أنه سيأتي، مهما وقع من المصائب والآلام.. سيأتي ﴿**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[الروم:٤٧].

ولـــو قلبت صفحات التاريخ، لرأيت أنه قد حل بالمسلمين في أزمان

مضـــت، مذابـــح، ومصـــائب، تشيب منها مفارق الولدان!! ثم لما حاسب المسلمون أنفسهم، ولجئوا إلى ربهم، كشف الله كربتهم، وأبدل خوفهم أمناً، وذلهم عزاً..

ومـــن ذلـــك: مـــا حـــل بالمسلمين عام ٦٥٦ ه لما نزل التتار ببلاد الإســـلام، وانتهـــبوها، حتى وصلوا إلى بغداد - عاصمة الخلافة وقتئذ - فحاصـــروها، ثم قتلوا الخليفة، وجنده، وحاشيته، واستباحوا بغداد أربعين يومـــاً يقتلون ما نالته أيديهم من الرجال والنساء والصبيان.. لم يكن لجنود التتار شغل إلا: القتل.. القتل..

أتـــدري كـــم قتل من المسلمين خلال أربعين يوماً؟ ذبحاً بالسكاكين، وطعناً بالرماح، وتغريقاً في دجلة؟!

<u>إلـــيك ماذكـــره الإمام ابن كثير في تاريخه، واصفاً الحال كله، قال رحمه الله:</u>

﴿ ومـــالوا علـــى الـــبلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال، والنســـاء، والولدان، والمشايخ، والكهول، والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، ومكثوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكـــان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، فيهرب الناس إلى السطوح، فيقتلونهم هناك حتى جرت الميادين بالدماء في الأزقة!!

وقـــتل خـــلال الأربعين يوما مليون وثمانمائة ألف!! فإنا لله وإنا إليه راجعـــون.. وكـــان الـــرجل يستدعى فيخرج بأولاده ونسائه فيساقون إلى المقبرة ثم يذبحون ذبح الشياه، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه..

ولمـــا انقضـــت الأربعون خرج التتار من بغداد، وبقيت خأوية على عروشها، القتلى قي الطرقات كالتلال، وسقط عليهم المطر فأنتنوا، وتغير الهواء، ووقع بسبب ذلك وباء مات بسببه خلق في الشام من سريان الهواء الفاسد إليهم!!

أما من كان مختبئاً في المقابر والمطامير، فخرجوا بعد الأربعين يوماً كـــأنهم موتى نشروا من قبورهم.. قد أنكر بعضهم بعضاً.. لايعرف الوالد ولده.. ولا الأخ أخاه.. فلم يلبثوا أن أصابهم الوباء فتصرعوا، ولحقوا بمن مضى، واجتمعوا تحت الثرى، بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) ا. هـــ [ج ١٣/٢١٥ بتصرف].

وبعـــد هـــذه المحنة العظيمة، كشف الله تعالى الكربة، ورفع البلاء، وراجـــع المســـلمون دينهم، وعاد لهم عزهم ومجدهم: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾[الشورى:٣٠].

ووقـــوع ذلـــك البلاء عليهم، بل ووقوع غيره قبله وبعده إلى زماننا هـــذا، لايعنـــي أن الله تعالى يبغض المسلمين، أو يفضل عليهم الكافرين، ولكـــن ﴿ **قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ** ﴾[آل عمران:١٦٥] ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[الرعد:١١].

ولعلـــه يسأل سائل فيقول: كيف يكون المستقبل للإسلام؟ والأعداء قد اجـــتمعوا علـــيه وتكالبوا من كل جهة؟ وقد سلطوا عذابهم ونيرانهم على المســـلمين عامة، وعلى الدعاة إليه والمتمسكين به خاصة؟ كيف والأعداء يملكون القنابل النووية، والأسلحة الفتاكة، والمسلمون عزل من السلاح؟

إن هـــذا السائل لينسى: أن الذي ينصر المسلمين هو الله جل شأنه لا جهدهـــم ولا قوتهم: ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ** ﴾ [التوبة:١٤]، فالمسلمون

سبب لتحقيق قدر الله وإرادته: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾[الأنفال:١٧].

وينسى هذا السائل: أن الله يسبح لَه من في السموات ومن في الأرض، ومما يسبح لَه قنابل هؤلاء وأسلحتهم وسجونهم ومعتقلاتهم.

وينسى هذا السائل: أن الله إذا أراد أمراً فإنما يقول لَه: كن، فيكون: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[القمر:٥٠].

وينسى هذا السائل: أن الأعداء وصلوا إلى هذا المستوى الهائل من القوة والتمكين، بجهدهم البشري، وهو ليس حكرا على أحد، فالمسلمون قادرون على أن يسيروا في طريق التقدم العلمي والمادي مع المحافظة على الأصول الإسلامية، بل يمكن أن يبدءوا من حيث انتهى غيرهم، بل لو وقفت فاحصا عن العقول التي شاركت في صنع هذه القنابل والأسلحة المتطورة لوجدتها لاتخلوا من عقول إسلامية.

وينسى هذا السائل: أن الإسلام الذي انتصر - أول ما ظهر - على الرغم من كيد قريش واليهود ومشركي العرب، بل بالرغم من كيد فارس والررم، والصليبيين والتتار، هو الذي تواجهه الآن القوى المختلفة المتنازعة فيما بينها، من النصارى واليهود، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[المجادلة:٢١]، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ، وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ، وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[هود:١٢١-١٢٣].

ولكن هناك أمور لابد أن نراعيها لنستجلب النصر:

أولهـــا: أن نصـــلح حالنا مع ربنا جل جلاله، وأهم ذلك أن نخلص التوحـــيد له وحده سبحانه، ونتخلص من جميع صور الشرك، كدعاء غير الله، أو الاســـتعانة بغـــير الله، أو تعظـــيم القبور وبناء المساجد عليها، أو الحلف بغير الله، أو غير ذلك من صور الشرك.

ثانـــياً: أن نقوي علاقتنا بالله عز وجل، وأول ذلك أن نحرص على إقامـــة الصلوات الخمس، مع ما استطعنا من النوافل، مع الإكثار من تلأوة القرآن والذكر.

ثالـــثاً: أن نحاسب أنفسنا: لماذا وقعت علينا هذه العقوبات؟ إذ كيف ينصـــرنا الله ونحن نعصيه بأسماعنا وأبصارنا؟ ثم: هل ربينا أولادنا على الإســـلام؟ هـــل علمناهم الصلاة؟ هل حفظناهم القرآن؟ هل حجبنا نساءنا؟ **﴿ أَولَمَّـــا أَصَـــابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ ﴾**[آل عمران:١٦٥].

رابعـــاً: أن يـــبذل كل واحد منا مايستطيع من جهود: مالية، وبدنية وفكرية، لنشر الخير، ودعوة المسلمين جميعاً.. مهما كلفنا ذلك، ومهما بذلنا من جهد ووقت ومال، فإن هذا قليل في سبيل انتصار الدين وظهوره..

انظـــر ! كـــم يـــبذل الأعـــداء من جهود وأموال في سبيل إضلال المســـلمين، وتغييـــبهم عـــن واقعهم، من خلال مجلات ماجنة، أو قنوات هابطـــة، أو من خلال دعوات صريحة إلى التبرؤ من الإسلام، واستبداله

بالنصـــرانية أو العلمانية اللادينية!! والله لو بذلنا نصف ما يبذلون لتغيرت أحوال لعالم كله، ف ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾[يس:٢٦] .

خامســاً: أنـــه مهمـــا طـــال أمد انتظار النصر فلا ينبغي أن نيئس من حصـــوله، عن خباب ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة – ولقد لقينا من المشركين شدة – فقلت: يارسول الله، ألا تدعوا الله لنا؟! فقعـد وهـو محمـر وجهه، فقال: « لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مـــادون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت مايخاف إلا الله » [رواه البخاري].

سادساً: أن نزرع في نفوس الناس الثقة بهذا الدين وإنتصاره، وننشر بينهم النصوص الشرعية، والدلائل الواقعية التي تؤكد ذلك.

ســـابعاً: لاينبغـــي أن نستمع إلى المخذلين، وضعفاء الأيمان، الذين استسلموا لأعدائهم، وأعطوهم قيادهم، وأيبسوا من رحمة الله ونصره ﴿ **وَإِذْ يَقُـــولُ الْمُـــنَافِقُونَ وَالَّذِيـــنَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُـــرُوراً** ﴾[الأحـزاب:١٢] هذا حال المنافقين، أما المؤمنون فإنهم ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً** ﴾[الأحزاب:٢٢].

شريف عزب

﴿ﷺ﴾ ومهـــم أن نورد هذه الكلمات للداعية الرباني الحبيب على الجفري ذلكم الرجل الرباني الذي قل من هم على شاكلته :

صورة العالم الإسلامى

س/ كيف يرى الحبيب صورة العالم الإسلامي حاليا، لماذا لم تحصل الوحدة الإسلامية على رغم أن العالم كله يتكتل؟

لابــد وأن نشــخص المــرض لكـــي نصل إلى الدواء ومرض الأمة الإسلامية يكمن في فقدانها لمهمتها الأساسية والأصلية ألا وهي هداية العالم وهـــذه المهمة ملقاة على الجميع وليس فقط على الدعاة هي مهمة ملقاة على كل مسلم وفي كل التخصصات الغني والفقير وأسس أداء هذه المهمة هي ما جـــاء به رسول الله ﷺ من رسالة سمأوية عليا هدفها إصلاح شأن الإنسان وأعمار الدنيا ولكي تحقق الأمة الإسلامية هدفها لابد وأن ترجع إلى الطريق الصحيح الذي يردها إلى مهمتها الأساسية والى هداية الناس في جميع أنحاء العالم إذا تحقق ذلك سيكون للمسلمين شأن عظيم بين سائر الأمم.

دور الدعاة فى تعميق الوعى الإسلامى

س/ مـا هو دور الدعـاة فـي تعميق الوعي الإسلامي في هذه المرحلة الحساسة و التي كثرت فيها التحديات؟

مـــن الضروري أن يفقه الداعية تفاصيل الواقع ليس بالوقوع فيه وإنما بالسعي إلى انتشاله إلى ما ينبغي أن يكون ولكي يصل الداعية إلى هذا الهدف لابد وأن يمتلك المقومات التي تمكنه من أداء المهمة وأن يرتفع بوعيه وعلمه

وخلقــه إلــى المهمــة التي حددها الله لنا وهي هداية العالمين.هناك إحصائية نشــرتها جهات أمريكية تفيد أن ٧٠ أمريكيا يدخلون الإسلام يوميا ماذا يعني ذلــك ؟ يعني أن الإسلام ينتشر في أمريكا وفي غيرها من البلدان وفي غيرها من التكتلات العالمية ولو أدركنا ذلك بعمق لعملنا في اتجاه انتشال واقعنا إلى ما ينبغي أن يكون. وانتشال الإنسان في كل مكان من الواقع الذي هو فيه.

﴿۞﴾ وفي موضع آخر يقول الحبيب على الجفري :

لابد من فقه لثوابت منهجنا :

هذه معاني يجب أن نفقهها وان نقابل ما يُقدم علينا من الأيام . لا بد من فقه لثوابت منهجنا، هذا المنهج الراسخ الذي لَه اكثر من ألف سنة في هذا العالم يعمل والذي غير مساحات من خريطة العالم . دول بأكملها تحولت إلى مسلمة بغير رفع سلاح حسي بغير مسدس أو بندقية ولا منازعه لأهل السلطة في سلطتهم، مرات نسمع الحبيب عمر نسمع المشايخ هنا يقولون أن الحسين بن الشيخ أبى بكر بن سالم نفعنا الله تعالى به، تاب على يده سلطان هنا في حضرموت وقال لَه أريد أن أسلمك السلطنة قد زهدت في الدنيا، خذها أنت أو أعطها أحد من أصحابك، قال سلطنة لي أو لأحد من أصحابي !!!!! رح رح لو كانت السلطة تصلح للحمير ما رضيتها لحماري الذي اركب عليه .

ذلك لأن عندهم سلطنة اعظم واكبر انشغلوا بها، سلطنة خدمة جبار السمأوات والأرض جل جلاله، هذا المعنى معروض علينا وعليكم وقد تعب من يبلّغ، وتعب من يخاطب، وتعب من يصيح، فينا الصائح تلو الصائح يقول لنا الحياة التي كنا نعيشها على أساس أنا نعيش للدنيا لنأكل لنشرب لنلبس لنطعم الأولاد لنربيهم كما يربي الكفار أولادهم من اجل أتكل

والشرب والمدرسة والشهادة والعمل، العصر هذا ولىّ يا أخوان والأيام المقبلة هذه ستريكم عجائب، الذي لا يفقه هذا الكلام سيرى وسيندم، لكن الذي سيفقه هذا الكلام سيحمد العاقبة، غبار كان على عقول الناس، قال مستقبل !!! قال شهادة !! قال مظهر !!! قال دنيا !! هذا الوهن الذي نزل على الناس ينبغي أن نلفظه من قلوبنا، أن نخرجه من قلوبنا، أن نعرف أننا أصحاب مهمة في هذه الحياة (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)، نسخر نضحك من الذين يتكلمون على الحكام، قبل ما تتكلم على الحكام أخطاؤا أم أساؤا، أنت حاكم في بيتك .

"كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) الذي لا يعرف ولده صلى في جماعة أو ما صلى في جماعة خان الحكم الذي في بيته، الذي ما يعرف زوجته تجالس من وعلى أي حالة تدخل وتخرج إلى سوق أوالى مكان لهو هذا خان معنى الحكم في بيته، الذي لا يفقه معنى غيرة الله على انتهاك محارم في بيته خان في بيته، الذي ينشأ أولاده وبناته مالهم صلة بالقدوة ﷺ، بناته يعرفن أسماء المغنيات والراقصات أكثر من أخبار سيدتنا فاطمة الزهراء أو سيدتنا خديجة الكبرى أو سيدتنا عائشة الرضى، أولاده ما يعرفون شيء عن العشرة المبشرين بالجنة أكثر مما يعرفونه من لاعب كرة أو راقص في تلفاز، هذه المعاني إذا ما نفضناها ونفضنا غبارها من قلوبنا، فإن السنون حبالى بأمور ستظهرها لكم الأيام، حتى الذي يبتعد لن يُترك .

الذيـــن يـــتلقون القذائـــف الآن في أفغانستان الأطفال والنساء مالهم

سياســـة ولا لهم دخل بلعب، هم في بيوتهم كل واحد منهم أغلق باب بيته جـــاءت إلى بيته، ما السبب ؟ أن المهمة التي تتصل بالعالم كله، بفلسطين ببيت المقدس الكلام الذي نسمعه في الأخبار في وسائل الإعلام التي لم تفقه مقاصـــد الإعلام التي نُحَدّث عنها الآن أسباب هذه المصائب أنا وأنت في بيوتنا، قضينا بين المغرب والعشاء في معصية في لغو في غفلة في بيوتنا.

رسالتنا إلى الآخر، إلى الغرب، ألا ترى سماحتكم أنها تحتاج إلى خطاب جديد ما هي سماته؟

المشكلة أن (الغربي) يرى أن المسلم الملتزم هو من يبتعد عن الحرام ويحافظ على أصول دينه فقط دون أن تكون لَه مهمة في عالمه المحيط به وهــذا المفهوم الضيق ينبغي أن يتسع بحيث نخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

والأمر الثاني أن الدعاة الذين يتوجهون بالخطاب الديني إلى الغرب ينبغي أن يكونوا مدركين وبعمق الأوليات وأسس الدعوة الإسلامية وكيف يطــرحونها بحيــث لا يدخلــون في مناطق الاجتهادات التي تظهرهم في صورة المتخلفين وإنما يركزون على القضايا التي هي محل اتفاق تام.

والأمر الثالث هو أن التعامل مع الغرب يحتاج إلى نوعية خاصة من الدعاة الذين اخذوا العلم من مصادره الصحيحة والذين يدركون حجم التفأوت بيــن تكويــن وثقافة الإنسان العربي والإنسان الغربي، وحبذا لو كان هناك اعتناء بتجهيز دعاة من أبناء الغرب المسلمين أو من الذين أسلموا فهم الأقدر علـــى فهم طبيعة أبناء المناطق التي يعيشون فيها ومن ثم يصبحون قادرين على نشر الدعوة الإسلامية بلغة أبناء المنطقة فهم أدرى بمن فيها.

الصورة السمحة للإسلام

س/ ارتبطت صورة الإسلام في الغرب خاصة في الفترة الأخيرة بعمليات تطرف وإرهاب، كيف نعيد تقديم الصورة السمحة للإسلام إلى هذا العالم؟

في هذه القضية أيضا هناك ثلاثة اتجاهات:

اتجاه لا يرى إلا أن الإسلام سيف ينبغي أن يحارب الكفار. وهذا غير صحيح لأن الإسلام هو أن نحارب من يحاربوننا فقط (الكفار الحربيين). والصنف الثاني حاول أن يبريء الإسلام من ساحة الإرهاب عن طريق الدعوة إلى تجريد المسلمين من كل عناصر القوة ومن الجهاد وهذا غير صحيح، لأن القوة سبب لحماية المسلمين بل البشرية من الأعداء، فأميركا تمتلك قوة نووية ضخمة تبررها بأنها وسيلة لحماية الأمن والسلام، نحن أيضا بحاجة إلى القوة لكي نرهب بها عدو الله فلا يعتدي علينا.

وهنا نقول أن كلا الاتجاهين خطأ، من يقول أن الإسلام دين حرب فقط أو من يرى تجريد المسلمين من عناصر القوة، والصحيح هو ان القوة وسيلة لتأديب من يخرج على الحق، وإلا ما فائدة الشرطة والمحاكم والقضاة والسجون، إنها وسائل لحماية المجتمع من المارقين والخارجين على القانون، ولكي نصل إلى المجتمع السليم، ولكي نقدم صحيح الإسلام علينا أن نقول بأن الجهاد لا يعني القوة فقط، بل أن القوة المسلحة هي آخر الأدوات، وهناك جهاد النفس، وهناك الانضباط الذاتي، ودفع الأذى بالتي هي أحسن.

جهاد النفس

مـاذا يعنـي جهـاد النفس في هذا الزمـن، خاصـة بالنسبة للشاب الذي يواجه إغراءات كبيرة، كيف نحميه من شرور النفس؟

سؤالك هو مفتاح لكل ما سبق، إذا صح التزام الإنسان بتعاليم ربه، ولـــم تخـــتلط عليه المفاهيم والتزام بآداب الرسول ﷺ من عدم التكبر على الآخريـــن، أو عدم الأذى والسعي إلى الخير، فإنه يحمي نفسه من شرور نفسه، انظر إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وهو يدخل القدس متواضعا فـــي ثوب مرقع، وهو الذي خبر الثياب الغالية، المرفهة، ويصطحب معه خادمـــه فلا يعرف قادة الروم أيهما عمر، لكنهم يعرفون في كتبهم أن من سيفتح القدس سيكون رجلا يرتدي ثوبا مرقعا، ولو لا ثوب عمر لما تم فتح الأبـــواب التـــي لم يخطر على باله أنها سوف تفتح بهذا الأسلوب، وأخيرا فالقضية هي كسر حاجز الاعتماد على الأسباب.

❀ ❀ ويجـــدر بنا بعد هذه الفتوى العظيمة أن نذكر هذا الموضوع للكاتب شريف عزب

فتن الدنيا

كيف يتغلب الشباب على فتن الدنيا مثل الزنا؟

عـــندما تـــريد سيكون، وسوف يأتي يوم يندم كل شاب على مافعله وتذكر لو كان لك عرض زوجه أو أخت فقد جاء شاب إلى رسول الله ﷺ فقال للرسول: "أرجو أن تأذن لي في الزنا" فأوشك الصحابة أن يفتكوا به فقال لَه ﷺ "ادن" أي أقترب فقال لَه النبي "أتحب أن يفعل ذلك بأمك" فقال الشـــاب لا . قـــال ﷺ " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" فقال ﷺ " أتحب أن يفعل ذلك بإبنتك أو عمتك أو خالتك" فقال: لا . قال ﷺ " ولا الناس يحبون أن يفعـــل لبناتهم وعماتهم وخالاتهم ذلك " ثم أجلسه ومسح على صدره وقـــال" اللهم أشرح لَه صدره . اللهم ألهمه رشده . اللهم بين لَه أمره " قال الشاب: فوالله ما وجدت لنزغ الشيطان بعد ذلك أثراً. فنحن في حاجة إلـــى الـــتوبة النصوح والبعد عن المعصية وفي قول القرآن " ولاتقربوا الـــزنا إنــــه كان فاحشة وساء سبيلا" فهناك أمراض ظهرت مثل السيلان والإيـــدز وما إلى ذلك بسبب الاتصال غير المحلل فلابد من الصبر حتى لا تقع في المعاصي .

۞ أحذر كيد الشيطان ونجمل لك طرق الوقاية :

أن لكل شيء بداية، ولكل بداية نهاية، ولكل سباق غاية، ألا وإنكم في دار ابتلاء واختبار، وإن الغاية الجنة أو النار.

وقد جعل الله للجنة طريقاً واحداً هو الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥].

وجعل لهذا الإسلام أعمالاً صالحة منجية من الهلكات، دافعة للشرور والموبقـات، وجعـل للجنة دار النعيم أهلاً يعلمون الصالحات لها، ودعاة يدعون إليها، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم. وهم الذين أنعم الله علـيهم وأحلهـم أفضـل الدرجات، ووفقهم لاستباق الخيرات، قال الله تعـالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّيـنَ وَٱلصِّـدِّيقِينَ وَٱلشُّـهَدَاءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً * ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيماً** ﴾[النساء:٦٩-٧٠].

حسـنت سـيرتهم، وطهرت سريرتهم، وزكت أعمالهم، وسعدوا في عاجل أمرهم وآجله، وفازوا بجنة الخلد.

كما أنه ﷻ جعل للنار أهلاً، وبعمل أهل النار يعملون، وبيّن الطرق التـي توجـب الخلود في العذاب الأليم، وحذّر تبارك وتعالى من الشرور والمحـرمات، التي توجب غضب الجبار، وتقود إلى الهوان ودخول النار، قـال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾[الجن:٢٣].

وهذه الدار التي خلق الله فيها أنواع العذاب الأبدي لها دعاة في هذه الحـياة الدنيا، كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿ **وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لاَ يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَٰهُم فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُمْ مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ** ﴾[القصص:٤١-٤٢].

ودعاة جهنم يزينون المعصية، ويدعون إلى الإثم الذي يوبق صاحبه، وأشد الخلق دعوة إلى جهنم، وأعظم الخلق عدأوة لله تعالى، وشر النفوس وأخبثها ؛ إبليس لعنه الله، وأعاذنا والمسلمين منه ومن ذرينه، فقد ابتلى الله بـه، لـيعلم الطـائع من العاصي علم واقع وظهور، يترتب عليه العقاب

والثواب، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَٱتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَٰنٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفُيظٌ ﴾[سبأ:٢٠-٢١].

وقـال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يبَنِى ءادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ ٱلشَّيطَٰنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[يس:٦٠-٦١].

هـذا المخلوق الشرير الذي يدعو إلى كل فاحشة وإثم قد جعل الله له قدرة لا يتجأوزها، وآتى المؤمن سلاحاً لدفع شره، ومعونة على دحره، فقد أقدر الله إبليس على الوسوسة، والقذف بالهواجس الرديئة إلى القلب، ونفث سـموم الخواطر الباطلة إلى النفس، وترديد ذلك لينبعث الهم بالمعصية، ثم الإرادة، ثم الفعل، لأن أول كل فعل هو أن يتحدث القلب بذلك الفعل.

كمـا أعطى الله إبليس اللعين القدرة على تزيين المعصية، ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام:٤٣].

ولكن الله تعالى لم يُقدر إبليس اللعين على خلق الحب للشيء، فخلق الحـب للشـيء يقدر عليه الرب وحده، قال الله عز وجل: ﴿ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلاْمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلايمَٰـنَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ ٱلرشِدُونَ ﴾[الحجرات:٧].

كمـا أعطـى الله هـذا المخلـوق الشرير القدرة على تهييج الكفار وإثارتهم على المعاصي، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً * فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً ﴾[مريم:٨٣-٨٤].

كمـا أقـدر الله إبليس لعنه الله على [النخل] وهو نوع خاص من [النخل]

والدفـع إلـى الغضـب، وأقـدر الله هذا العدو المبين على الهمس، وهو دفع الوسـأوس والإغواء إلى القلب، وأقدره على النفث والنفخ، وجميع ما أخبر الله به من كيد الشيطان، فهو كيد ضعيف، يبطل ويطمحل، ويتلاشى عمل الشيطان بالإيمان والاعتصام بالله تعالى: ﴿ **إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾[النساء:٧٦].

وقال تعالى عن هذا العدو: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَه سُلْطَانٌ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَلَـىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْـرِكُونَ** ﴾[الـنحل:٩٩-١٠٠]. لـيس له حجة، وليس له قدرة على المؤمنين المتوكلين على الله.

وهذا العدو المبين نؤمن بوجوده، ونعرف أثره، ونلمس نتائج شروره، أعاذنـا الله والمسـلمين منه، وهذا العدو قد قعد بكل طريق خير يصد عنه، ويدعو إلى ضده، كما قال تعالى عن هذا العدو: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لأقْعُدَنَّ لَهُـمْ صِـرٰطَكَ ٱلْمُسْـتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ** ﴾[الأعراف:١٦-١٧].

ولـن ندفـع شـر إبليس لعنه الله، ولن نبطل مكائده، ولن ننجو من غوايته وفساده إلا بالاعتصام بالله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلىٰ صِرٰطٍ مّسْتَقِيمٍ** ﴾[آل عمران:١٠١].

فالنجاة من الشيطان بالعمل بالكتاب والسنة، ودعوة الناس إلى ذلك.

إن الله تعالى بيّن لنا أن هذا العدو يقود الإنسان ويورده المهالك، ثم يتخلى عـنه، ويسخر منه، قال الله تعالى: ﴿ **تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلىٰ أُمَمٍ مّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[الـنحل:٦٣]. إنه زيّن لقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين الشرك والكفر والمعاصي.

إنـــه زيّـــن لقوم لوط الفاحشة، وزيّن للقرون الخالية المتمردة أنواع الذنـــوب والمعاصي فلمّا نزل بهم بأس الله لم ينفعهم الندم، ولم يغن عنهم الشـــيطان شـــيئاً، ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَـــرِىۤءٌ مِّنكَ إِنِّى أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الحشر:١٦-١٧].

وأمـــا في الآخرة فإن هذا الشيطان يقف على كثيب من نار مرتفع، ويخطب في أتباعه في النار، كما قال عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُـــلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُـــمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْـــرِخِكُمْ وَمَـــآ أَنـــتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِيـــنَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[إبراهيم:٢٢]. فلا يبقى بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والندم والبكاء والصراخ، ولات ساعة مندم، فيقول الله لهم: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[المؤمنون:١٠٨].

وممـــا يدفـــع به المسلم كيد هذا العدو المبين الاستعاذة بالله، والاستعاذة معـــناها اللجـــأ والاعتصـــام واللياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[فصلت:٣٦]. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[المؤمنون:٩٧-٩٨].

والرســـول ﷺ اســـتب عـــنده رجلان فاحمرّ وجه أحدهما وانتفخت أوداجه، فقال ﷺ: {إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم}.

ومما يدفع كيد الشيطان وشره المحافظة على الصلاة جماعة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[العنكبوت:٤٥].

وقال عن إبليس: ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور:٢١].

فهي تدفع الفحشاء والمنكر الذي يدعو إليه إبليس، وفي الحديث عن النبي ﷺ: {من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله إلى أن يمسي، فلا يطلبنكم الله بشيء من ذمته}.

ومما يدفع شر الشيطان قراءة آية الكرسي، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين، وأول غافر دبر كل صلاة وإذا دخل المسلم المسجد فقال: }بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم{ قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم.

ومما يدفع الله شر الشيطان الإكثار من قراءة القرآن الكريم، فله خاصية في طرده، وكلما أكثر العبد من التلأوة حصّن نفسه من الشيطان الرجيم.

ومما يدفع الله به شر الشيطان الزكاة والصدقة والإنفاق في شؤون الخير، قال ﷺ: { والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار}. وإذا وقي المسلم الخطيئة نجا من شر عظيم، و{صنائع المعروف تقي مصارع السوء}

ومما يدفع كيد الشيطان مدأومة ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار والدعاء، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: }إذا قال المؤمن: لا إله إلا الله وحده لا شريك لَه، لَه الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. مائة مرة في أول يومه كان ذلك حرزاً لَه من الشيطان في يومه، وكانت كعتق عشر رقاب، وكتب الله لَه مائة حسنة{.

ومما يدفع الله به شر الشيطان الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، ومما

يدفــع الله به شر الشيطان شهود مجالس الخير والعلم، والبعد عن مجالس اللهــو واللعــب، والــباطل والغفلة، فإن مجالس اللهو والباطل يحضرها الشــيطان، ويوقــع فــيها العدأوة والبغضاء والشقاء، وقد يتعدى الشر إلى العدوان على النفس، وشرب الخمر وكبائر الإثم.

وممـــا ينجي أولاً وآخراً من شر هذا الشيطان هو التوحيد، والتوكل علـــى الله، والانقطاع إليه، وإخلاص العبادة كلها لله وحده، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلاَّ مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[الحجر:٤٢].

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون واحذروا خطرات الشيطان، وغفلاته وخطواتـــه، ومكائده وشهواته، قال الله تعالى: ﴿ **يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ ٱلْبَيّنَٰتُ فَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[البقرة:٢٠٨-٢٠٩].

❁ وأول شـــيء يدعو ابن آدم إليه الكفر، فإن استجاب لَه فقد أعطاه زمامه، وقاده إلى كل شر وهلكة في الدنيا والآخرة.

فإن لم يستجب لَه في الكفر دعاه إلى البدعة في الدين، لأن البدعة لا يتوب منها صاحبها غالباً، لأنه يراها ديناً، فيفرح الشيطان به.

فإن لم يقدر دعاه إلى كبائر الذنوب، ثم إلى الإصرار على الصغائر إن لم يقدر على دعوته إلى الكبائر.

فإن لم يقدر على ذلك دعاه إلى أن يشتغل بالمباحات عن المستحبات، وأن يشتغل بما لا يعنيه.

إن الشـــيطان يشـــامم النفس، وينظر رغباتها فيأتيها من ميلها، ومن جهـــة محابهـــا، فيفتح لها أبواباً من الشرور من جهة رغباتها وإراداتها،

والـــنفس أمـــارة بالسوء إلا ما رحم الله، قال الله تعالى: ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْـدَ ٱللَّـهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * إِنَّ ٱلشَّـيْطَٰنَ لَكُـمْ عَـدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[فاطر:٥-٦].

إن الشيطان يقنع ويرضى بما يحقر العبد من المعاصي، وما يستهين به من الذنوب، فاحذروا عباد الله مداخله عليكم، قال ﷺ : {إن الشيطان قد أيس أن يعبد بجزيرة العرب، ولكن رضي بالتحريش بينكم}.

علاج سيطرة الشيطان على الإنسان

ﷺ وإليك العلاج القويم لسيطرة الشيطان على الإنسان :

الاستعاذة .. وهو دواء نافع لكل نزغات الشيطان...

"وامـــا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم" و قال رســول الله ﷺ: " يأتـــي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته" كما انه علاج فعال للغضـــب الذي يلقيه الشيطان في نفس ابن آدم مما يجعله ينتصر لنفسه ويقع في ما يغضب الله من جدل وسب وحقد وكبر...عن سليمان بن ضرر قال:" كنـــت جالســـا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجـــه فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال أعـــوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد فقالوا لَه إن النبي ﷺ قال تعوذ من الشيطان فقال وهل بي جنون "والكريم لا يرد من يلجأ إليه ويستعيذ بـــه... وهي صفة لا يتحلى بها إلا المتقون فما أن يصابوا بهذه الوسأوس التي تغطي قلوبهم عن الحق فترة من الزمن حتى يذكروا الله ويستعيذوا به من الشيطان الرجيم فيطير ذلك الغطاء الذي كان يغطي قلوبهم ليروا الحق ويبصروا بعد أن عموا"إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فـــإذا هـــم مبصـــرون" وهو كذلك يفتح قلب قاريء القرآن ويبعد وستوس الشيطان عنه قال تعالى:" فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس لَه سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون" يقول أحد العلماء :

ومعـــنى" استعذ بالله" امتنع به واعتصم به والجأ إليه ومصدره العوذ والعياذ والمعاذ وغالب استعماله في المستعاذ به واصل اللفظة من اللجأ إلى الشـــيء والاقتراب منه وفي كلام العرب" أطيب اللحم عوذه" أي الذي عاذ بالعظم واتصل به.

أ -الاســتعاذة عند قراءة القرآن: فأمر الله سبحانه بالاستعاذة به من الشيطان عند قراءة القرآن وفي ذلك وجوه:

منها: إن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها مـــن الوســـأوس والشـــهوات والإيـــرادات الفاسدة فهو دواء لما أمره فيها الشيطان فأمر أن يطرد مادة الداء ويخلى منه القلب ليصادف الدواء محلا خالـــيا فيتمكن منه ويؤثر فيه فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب وقد خلا من مزاحم ومضاد له فينجح فيه.

ومـــنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب كما أن الماء مادة النبات والشيطان نار يحرق النبات أولا فأول فكلما أحس بنبات الخير في القلب سعى في إفساده وإحراقه فأمر أن يستعيذ بالله عز وجل منه لئلا يفســـد عليه ما يحصل له بالقرآن والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله إن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها وثباتها.

ومـــنها: ان الملائكة تدنو من قارئ القرآن وتستمع لقراءته كما في حديث اسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلمة فيها مثل المصابيح فقال ﷺ :"تلك الملائكة" والشيطان ضد الملك وعدوه فامر القارئ أن يطلب من الله تعالى مباعدة عدوه عنه حتى يحضره خاص الملائكة فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.

ومنها: أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه فـيحرص بجهـده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن فلا يكمل انتفاع القارئ به فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه.

ومـنها: أن القـارئ يناجي الله تعالى بكلامه والشيطان إنما قراءته الشـعر والغـناء فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى واستماع الرب قراءته.

ومـنها: أن الله سبحانه اخبر انه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذ تمـنى ألقى الشيطان في أمنيته والسلف كلهم على إن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلأوته قال الشاعر في عثمان:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر فإذا كان هذا فعله مـع الرسـل عليهم السلام فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلط القارئ تارة ويخلط علـيه القراءة ويشوشها عليه فيخبط عليه لسانه أو يشوش عليه ذهنه وقلبه فـإذا حضـر عـند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا أو هذا أو هذا وربما جمعهما لَه فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه.

ومـنها: أن الشيطان احرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير أو يدخـل فـيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه وفي الصحيح عن ﷺ إن الشيطان تفلت علي البارحة فأراد أن يقطع علي صلاتي الحديث" وكلما كان الفعـل انفـع للعـبد واحـب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان لَه اكثر فالشيطان بالرصيد للإنسان على طريق كل خير فهو بالرصد ولا سيما عند قـراءة القرآن فأمر سبحانه العبد إن يحارب عدوه الذي يقطع عليه الطريق ويسـتعيذ بـالله تعالى منه أولا ثم اخذ بالسير كما أن المسافر إذا عرض لَه

قاطع طريق اشتغل بدفعه ثم اندفع في سيره...

ومنها: ان الاستعاذة قبل القراءة عنوان واعلام بأن المأتي به بعدها القــرآن ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره بل الاستعاذة مقدمة وتنبــيه للسامع ان الذي يأتي بعدها هو التلأوة فإذا سمع السامع الاستعاذة استعد لاستماع كلام الله تعالى ثم شرع ذلك للقارئ وان كان وحده" .

ب – الاستعاذة في الصلاة: والاستعاذة كذلك علاج لما يلقيه الشيطان في الصلاة من وسأوس لينقص الأجر ويبعد الخشوع فنفى بذلك صفة من صــفات المؤمنين فعن ابن العلاء: إن عثمان بن أبى العاص أتى النبي ﷺ فقــال : يــا رســول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله ﷺ :" ذاك شيطان يقال لَه خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا" قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني"

ج –.الاســتعاذة عند الغضب: عن سليمان بن مرد قال: "كنت جالسا مــع النبي ﷺ ورجلان يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبــي ﷺ إني لاعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد فقالوا لَه ان النبي ﷺ قــال: تعــوذ بــالله من الشيطان فقال : وهل بي جنون" ويأتي هذا العلاج متجانســا مع هذا المدخل الشيطاني ذلك" أن الغضب نوع من شر الشيطان ولهذا يخرج به عن صورته ويزين إفساد حاله كتقطيع ثوبه وكسر آنيته أو الإقــدام على من أغضبه ونحو ذلك مما يتعاطاه من يخرج عن الاعتدال" فلا يذهب هذا الا بالاستعاذة من ذات المسبب لَه وامتدادا لهذا العلاج يأتي الدواء الثاني قراءة المعوذتين.

المعوذتين :

فعــن عقــبة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :"ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير

مثلهــن: قــل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وقد روى البخاري بإســناده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كــل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما" قل هو الله أحد " وقل أعوذ برب الفلق" وقل أعوذ برب الناس" ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهمــا على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات" وبلغ مــن أهميــتها أن عائشة رضي الله عنها كانت تنفث عليه بهما في مرض موتــه – عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسحه بيد نفسه لأنها كانت اعظم بركة من يدي.

آية الكرسي

عــن ابن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " يا أبا المنذر اتدري أي آيــة مــن كتاب الله معك اعظم" قال: قلت: الله ورسوله اعلم. قال:" يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم"؟

قــال: قلت: الله لا اله إلا هو الحي القيوم: قال: فضرب في صدري وقــال: " ليهــنك العلم يا أبا المنذر" ومع تلك العظمة التي ألبسها الله مما تحوي من أصول التوحيد كانت كالصواعق تصعق كل شيطان يقترب من المســلم عندما يقرأها قبل أن ينام. فعن أبي هريرة قال:" وكلني رسول الله ﷺ بحفــظ زكــاة رمضـــان فأتانـــي آت فجعــل يحثو من الطعام فأخذته وقلت:لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فاني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه فأصبحت. فقال النبي ﷺ: "يا أبا هريرة ما فعــل أســيرك الــبارحة؟ قال قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمــته وخليت سبيله، قال:" أما أنه قد كذبك وسيعود" فعرفت أنه سيعود

لقــول رســـول الله ﷺ : أنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلــت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال دعني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمـــته وخليـــت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ما فعــل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته وخليت ســبيله قـــال أما انه كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات انك تزعم انك لا تعود ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت وما هي ؟ قال إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي:

"الله لا اله إلا هو الحي القيوم " حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك مـــن الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ :" ما فعل أسيرك البارحة"؟ قلت: يا رسول الله زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال " وما هي قال لي إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية " الله لا اله الا هو الحـــي القيوم"وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصـــبح وكـــانوا احرص شيء على الخير فقال النبي ﷺ : أما انه صدقك وهـــو كـــذوب" تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت لا قال: ذاك شيطان ".

خاتمة سورة البقرة :

فقـــد ثبـــت فـــي الصـــحيح مـــن حديث ابن مسعود الأنصاري قال " قـــال رسول الله ﷺ من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفـــتاه" وقد قيل في معنى كفتاه" من قيام الليل وقيل من الشيطان وقيل من الآفات ويحتمل الجميع.

غض البصر :

والنظر إلى ما نهى الله عنه من العورات من اشد مداخل الشيطان به أغـــرق الكثـــير فـــي نار جهنم وجند به في حزبه الكثير وبسببه يضعف الإيمـــان وتنعدم لذته وتنعدم الفراسة وصفاء الفكر والتفكر يقول الإمام ابن القيم" والنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان فالنظرة تولد خطرة ثـــم تولـــد الخطـــرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة إرادة تقوى فتصير عزيمة حازمة فيقع الفعل ولا بد ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل" الصـــبر علـــى غض البصر ايسر من الصبر على ألم ما بعده "ومن آفات النظر: انه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد ما ليس قادرا علـــيه ولا صـــابرا عنه وهذا اعظم العذاب: أن ترى ما لا صبر لك عن بعضه ولا قدرة على بعضه وهذا هو السبب أو بعضه لإرشاد الله سبحانه وتعالى عباده بغض النظر وذلك علاج نافع وسد منيع لأحد اكبر مدخل من مداخـــل الشيطان كما وصفه رسول الله ﷺ إذ يقول: "ما تركت بعدي في الـــناس فتنة اضر على الرجال من النساء " وأول ضرر على الرجال من النســـاء هـــو النظر إليهن إن كن محارم والسبب في كونها اضر فتنة بعد الرسول على الرجال لأنها تحرق معنى العبودية في قلب صاحبها.

"الـــنظر يؤكد المحبة فيكون علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم صبابة لانصـــباب القلـــب إليه ثم غراما للزومه للقلب كالغريم الملازم لغريمه ثم عشقا إلى أن يكون تتيما والمتيم العبد وتيم الله عبد الله فيقي القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون أخا بل ولا خادما وهذا إنما يبتلى به أهل الأعراض عن الإخـــلاص لله ويتـــبع صوم العين صوم اللسان عن فضول الكلام وإيثار الصمت لسد المداخل.

إمساك فضول الكلام واستبداله بالصمت :

والكلام الذي لا يبنى عليه عمل ولا تقوم به مصلحة هو من فضول الكـــلام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع وهو بذلك مضيعة للوقت أو كما يـــراه الإمـــام ابن القيم اشد من الموت" إضاعة الوقت اشد من الموت لأن إضـــاعة الوقـــت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت بقطعك عن الدنيا وأهلهـــا" والخوض بالكلام الذي لا يفيد إنما هو مدخل من مداخل إبليس قد تصل بصاحبها إلى درجة الضلال ورب كلمة يتلفظ بها المرء لا يلقي لها بـــالا يهـــوي بها في النار ابعد مما بين المغرب والمشرق وذلك ما رواه مسلم" وان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب" وكان رسول الله ﷺ يعلم الرعيل الأول هذا المدخل الشيطاني لئلا يقعوا في شباكه فيهوون في النار فمما ذكره لهم " أن رجلا قـــال: والله لا يغفـــر الله لفلان وان الله قال: من ذا الذي يتالى علي أن لا اغفـــر لفـــلان فإنـــي غفرت لفلان وأحبطت عملك" فهذا الرجل احبط الله أعمالـــه كلها بسبب كلمة لم يلق لها بالا ولم يزنها قبل قولها. ولقد حرص ﷺ علـــى أمته كل الحرص في عدم الوقوع في ذلك فأعطاهم قاعدة منجية يطـــبقها جـــيل بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال" من كان يؤمـــن بـــالله والـــيوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وللصمت منافع أربعة جمعها الأحنف بن قيس في قوله: "الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة مـــن زيف المنطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه"وليس غريبا علـــى الأحنف أن يكون لَه علم بهذا الدواء لذلك المدخل فلقد كان يأخذ هذه الـــدروس علـــى يد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ قال لَه يوما: حياؤه قل ورعـــه ومن قل ورعه مات قلبه " ورب فئة من الناس يأخذون هذا الكلام على ما هو فيصمتون عن الحق والباطل معا ظانين انهم يسلموا بذلك من

آفات اللسان ولا يدرون انهم وقعوا في آفة من آفاته يقول الإمام ابن القيم:" وفـــي اللســـان آفتان عظيمتان ان خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الآخرة آفة الكلام وآفة السكوت وقد يكون كل منهما اعظم من الأخرى في وقـــتها .فالســـاكت عن الحق شيطان اخرس عاص الله مراء مداهن إذا لم يخـــف علـــى نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق مـــنحرف في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين وأهل وسط وهم أهل الصراط المستقيم كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه فـــي الآخـــرة فلا يرى أحدهم انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائقة بلا منفعة فضلا أن تضره في أخراه.

ويكفـــي المســـلم أن يعلـــم أن كـــل لفظـــة يلفظهـــا تســـجل عليه " ونحـــن اقـــرب إلـــيه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" والوريد الذي يجري فيه دمـــه وهـــو تعبير يمثل ويصور القبضة المالكة والرقابة المباشرة الدائمة وحيـــن يتصور الإنسان هذه الحقيقة لا بد يرتعش ويحاسب ولو استحضر القلب مدلول هذه العبارة وحدها ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها بل ما جرؤ على هاجسه في الضمير لا تنال القبول وإنها وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم وخشية دائمة ويقظة لا تغفل عن المحاسبة" الأمر الـــذي حدا بدعاة الحق على مر القرون أن يطلقوا ألسنتهم كما قال الإمام ابن القيم في الحق ويؤثرون الصمت فيما عدا ذلك.

تكلم وسدد ما استطعت فإنما كلامك حي والسكوت جماد فان لم تجد قـــولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد ويتم ذلك الصيام المبارك بصيام الأذن عن سماع ذلك الباطل.

تنقية الاستماع أو صون الأذن عن سماع الباطل

وكمـــا أن أصحاب الباطل يطبقون هذه القاعدة تطبيقا دقيقا يفوق في كثـــير من الأحيان دقة أصحاب الحق فيصمون آذانهم عن سماع الحق كما قـــال الله سبحانه وتعالى على لسان نوح عليه السلام :" واني كلما دعوتهم لتغفر لهـــم جعلـــوا أصـــابعهم فـــي آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا" وتثار مشاعرهم وينزعجون عند سماعهم للحق...

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً** ﴾(الاسـراء:١١٠) " قال نزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشـــركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله ﷻ لنبيه ﷺ :" ولا تجهـــر بصـــلاتك" فيســـمع المشـــركون قـــراءتك " ولا تخافت بها" عـــن أصحابك اسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر" وابتغ بين ذلك سبيلا" يقول بين الجهر والمخافتة.

فـــأولى بأصـــحاب الحق أن يصونوا آذانهم عن سماع الباطل بشتى أنواعـــه مـــن غـــناء ولمـــز وغيـــبة ونميمة واستهزاء وفتنة وتشكيك... والأذن كالـــنحاس في سرعة توصيل الحرارة إلى القلب فإذا كان المسموع بـــاطلا تأثر به القلب فإما أن تزداد الحرارة فينحرق فيصبح مولعا بسماع الباطل ولا يحب سماع غيره أو أن تصل الحرارة ضعيفة فتشغله في كثير من الأحيان عن سماع الحق.

والداعـــية المخلـــص لا يقول قول ذلك الساذج" ساعة لربي وساعة لقلبي"إنما هو يعلم مبادئ المفاصلة بكامله وصون الأذن عن سماع الباطل أحـــد مـــبادئها" إن الجاهلـــية جاهلـــية والإســـلام إســـلام والفارق بينهما

بعـــيد.والســبيل هو الخروج من الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته هو الانســـلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه وأول خطوة في الطريق هي تمييز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن الجاهلية تصورا ومنهجا وعملا.

الانعـــزال الـــذي لا يسمح بالالتقاء في منتصف الطريق والانفصال الـــذي يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية في جاهليتهم بكليتهم إلـــى الإســـلام لا ترقـــيع ولا إنصـــاف حلـــول ولا الـــتقاء في منتصف الطـــريق...مهمـــا تزيـــت الجاهلـــية بزي الإسلام أو ادعت هذا العنوان" وهـــي مـــع ذلك ليست بدعة مستحدثة في منهج الدعوة بل هي اصل من أصولها فقد وجه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أصحاب دعوة الحق إلـــى ذلك فقال. "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضـــوا في حديث غيره وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القـــوم الظالمين" ويجب أن تكون هناك فئة خاصة من الدعاة معدين إعدادا كـــاملا يقومون بمهمة سماع الباطل ليس للاستمتاع به إنما للرد عليه ومع هذا يجب على هذه الفئة أن تضع ميزانا لها بان لا تستمع إلى الباطل اكثر من سماعها للحق ... هذا هو الصيام الذي فقهه أصحاب الحق ولم ينسوا مع ذلك الصيام عن الطعام فان لَه مكانا بين إلا دوية.

الصيام :

والصوم هو العلاج البديل للزواج لمن ليست لَه القدرة على مؤنة الزواج وذكـــر ﷺ الحكمة من استخدام هذا العلاج فقال:" فانه لَه وجاء"... فقولَه – لَه وجـــاء – اصـــله الغمز. ومنه وجاء في عنقه إذا غمزه دافعا لَه ووجَأه بالسيف طعنه به. ووجأ أنثييه غمزها حتى رضها فان الوجاء رض الأنثيين "

وبهـذا يضعف الدافع إلى الشهوة التي تشغل العبد عن مهام الأمور وتوقعـه فـي مشاكل كثيرة وبذلك يكون الصيام سد منيع لمدخل كبير من مداخل الشيطان...

أما أولئك الذين يملكون الباءة وهي مؤنة الزواج فالزواج افضل لهم لمـا فـيه من منافع كثيرة وليس كل زواج يصلح أن يكون دواء بل يكون دواء إذا كانـت الزوجة صالحة أما إن كانت غير ذلك فربما يكون العكس فـتكون عـدوة لَـه بـدل ان تكون معينة هذا ما قاله الله في هذا الصنف " يأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم"

الزواج

والزواج بذاته به علاج لكثير من مداخل الشيطان إذ به يكون الدافع أقوى لغض البصر واحصان الفرج وقطع الخواطر التي يلقيها عدو الله في نفـس العازب وهو تعليم على حمل المسؤولية ومدرسة لتعليم الدعوة إلى آخر ذلك من منافع ...

ﷻﷻ ولقـد حـث الرسول ﷺ الشباب على الزواج وذلك لعلمه. " ان الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ". فقال: " يا معشـر الشـباب مـن استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصـوم فانـه لَـه وجاء" وقوله:" من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض البصر وأحصن للفرج"ولا يقف الشيطان أمام هذا الدواء صامتا بل يحأول أن يجعل ثغرات فيه أو أن يهدمه ومن فيه فلذلك كان يلزم أن يوصف دواء ملازمـا لـدواء الـزواج وهو تقوية الرابطة الأسرية لسد جميع الثغرات وتقوية ذلك الحائط المنيع...

تقوية الرابطة الأسرية

إن تفكـيك الأسـرة هو أحد مداخل الشيطان وهو واضح في قصة يوسـف عليه السلام مـع اخوتـه وكيف أمرهم الشيطان بقتله وكذلك.واضح في الحديث الذي رواه مسلم عن أبى سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ :" إن إبلـيس يضـع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهـم فتـنة يجيء أحدهم فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت والضـمانات التـي تكفل ترابط الأسرة كثيرة في الإسلام منها: أن تختار الـزوجة الصالحة وأبعادها قدر الإمكان عن المجتمع الجاهلي الذي تعيش فيه ولو لفترة والعيش في مجتمع إسلامي...

ومنها: تربية الأطفال تربية إسلامية والعدل فيما بينهم.

ومنها : امتثال حديث الرسول ﷺ حيث يقول :" خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لاهلي وان تكون الابتسامة على وجهه دائما أمام زوجه وأبناءه وملاعبة الزوجة والمزاح معها كما كان يفعل الرسول ﷺ وينصح أصحابه بـه عـندما قال لجابر رضي الله عنه فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وملاعبة الأطفال وتقبـيلهم ومـنها بر الوالدين وهذا ما أمر الله به كي تتكامل صورة البناء الأسـرى فقال تعالى :" وقضى ربك إلا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغـن عـندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهمـا قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا "

ومـنها : أيضا : صلة الرحم فقال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل

رحمـــه ومـــن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت واكبر ضمان في تقوية الرابطة الأسرية والرابطة الأخوية هو القول الحسن.

القول الحسن

القـــول الحســـن هو الدواء لما يلقيه الشيطان من نزغات في نفوس أفراد جماعة الحق " وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن إن الشيطان ينزغ بينهم"

يأمـــرهم الله أن يقولوا التي هي احسن على وجه الإطلاق وفي كل مجـــال فيختاروا احسن ما يقال ليقولوه... بذلك يتقون ان يفسد الشيطان ما بيـــنهم مـــن مودة فالشيطان ينزغ بين الاخوة بالكلمة الخشنة تفلت وبالرد السيئ يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء. والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب تندي جفافها وتجمعها على الود الكريم"

ولا عجـــب أن تـــرقى الكلمة الطيبة إلى منزلة الصدفة حيث يقول الرســـول ﷺ :"والكلمـــة الطيبة صدقة" وكانت وسيلة للاتقاء من النار قال رســـول الله ﷺ :" اتقـــوا النار ولو بشق تمرة. فمن لم يجد فبكلمة طيبة. وحـــتى إذا وصل الحال إلى الجدل فيكون جدلا في إطار الآداب الإسلامية والكلمـــة الطيـــبة وهي الجدال الحسن يكون بلا تحامل على المخالف ولا تـــرذيل لَه وتقبيح حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل لكن الإقناع والوصول إلى الحق .

فالـــنفس البشرية لها كبريائها وعنادها وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة وسرعان ما تختلط على النفس قـــيمة الـــرأي وقيمتها هي عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن

هيبـــتها واحـــترامها وكـــيانها والجـــدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكـــبرياء الحساســـة ويشـــعر المجادل إن ذاته مصونة وقيمته كريمة وان الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله لا فـــي ســـبيل ذاتـــه ونصرة رأيه وخزيمة الرأي الآخر وحتى تكون الكلمة الطيبة اكثر تأثيرا في نفس المخاطب لا بد أن تصطحب بابتسامة هادئة لا تفارق وجه صاحب الكلمة الطيبة...

الابتسامة

إن مـــن أهـــم الخطـــوات التي يخطوها الداعية مع المدعو في بداية الطريق هي كسب القلب... فعندما يخطو الداعية هذه الخطوة بنجاح تنجلي الغرابة والاشمئزاز من المدعو لهذا الدواء الجديد فيبدأ يشرب ويأكل كل ما يقدم لَه من ذلك الدواء بشغف ويشتاق إليه إن تأخر عنه.

كما إن العوامل التي تكفل تحقيق هذه الخطوة كثيرة على رأسها تلك الابتســـامة الصـــافية التي يطلقها الداعية صافية من كل المصالح الدنيوية خالصـــة لله وحده... فهي دائمة لا تنقطع... فكم من الخلق قد نفر من ذلك العـــبوس ...وليت الأمر اقتصر على العامة فقط بل تعدى ذلك إلى إفراد جماعة الدعوة الواحدة وكم من أخ ألقى الشيطان في قلبه على أخيه ما ألقى بسبب العبوس واختل الرباط.

إن الداعية الفقيه بأبعاد الدعوة لا تخفى عليه مثل هذه الخطوة الأساسية والعوامل التي تكفل نجاحها فترى الابتسامة دائما مرتسمة على وجهه باشا في وجوه إخوانه كي تصفى القلوب من نزغات الشيطان ويقوى رباط الاخوة.

❁ عـــن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة ﷺ : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم كثيرا .

كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح - أو الغداة - حتى تطلـــع الشـــمس فإذا طلعت الشمس قام وكانوا يتحدثون فيأخذون من أمر الجاهلـــية فيضـــحكون ويبتسم " بل إن رسول الله ﷺ يجعل من المعروف عندما قال:" لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق". وان أســـاء علـــيه أحد الحمقى أو تعرض لتصرف غريب فانه يقابل تلك الإساءة بابتسامة تخفي من ورائها فقه عميق راجيا ان تكون هذه الابتسامة سببا في إنقاذ عبد قد تدلى بالنار وكاد أن يسقط فيها...

﴿ عـــن انـــس بـــن مالك ﷺ قال :" كنت امشي مع رسول الله ﷺ وعلـــيه رداء نجرانـــي غلـــيظ الحاشية فادركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء مـــن شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر لَه بعطاء.

الإنفاق في سبيل الله

والشيطان يقذف بالنفس الخوف من الفقر والانكماش عن الإنفاق في ســـبيل الله ويصور للإنسان إن ذلك المال ملك لَه وينسيه انه لله وانه جاء إلـــى هذه الدنيا بلا مال عاري الجسد لا يستره شيء ولا يملك شيء والله سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين بأكثر من آية أن ينفقوا في سبيل الله وينبههم انه هو المالك يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ** ﴾(المنافقون:١٠) وكان ﷺ يعلم صحابته هذا الدواء لمحاربة عدو الله فعن أبى هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكـــان يـــنزلان فيقول أحدهما الهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعـــط ممسكا تلفا وما كان يقول (لا) لاحد سأله شيء عن جابر ﷺ قال ما

ســئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكان ينفق نفقة الذي لا يخشى الفقر نفقة الذي هو مستيقن بان المال ليس ملكا له .

فعــن انس ﷺ قال ما سئل رسول الله ﷺ على شيئا إلا أعطاه ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمــدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر هكذا كان رسول الله ﷺ ورعيله يــتعاملون مــع الشيطان ومداخله فلقد عقدوا البيعة مع الله وباعوا أنفسهم وأموالهــم بان لهم الجنة والذين نسوا هذا العقد وأوهمهم إبليس بان المال مالهم وانساهم ذكر الله ومالوا قليلا أو كثيرا إلى الدنيا لا يرفعهم عن ذلك الميلان إلا ذكر الله...

الذكـــر

والإنســان متى ما تذكر الله وشعر انه مراقبه في كل حركة وهمسة ومتى ما تذكر انه مكشوف أمام الله سره وعلانيته وانه قادر على أن يهلكه متى شاء وايقن ذلك في قلبه يكون من الصعب أن يعصيه... وعندما يقول الرسول ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسّرق السارق حين يســرق وهــو مؤمــن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " لدلالة واضحة على أن الزاني حين يزني ينسى أن هناك رقيبا يرقبه وكاتبا يكتب مــا يفعل ينسى أن عليه من بيده هلاكه فلذلك تنتفي صفة الإيمان عنه في تلك اللحظات وكذلك حال السارق وشارب الخمر.

إذن هو ذلك النسيان الذي يسبب الشقاء الأبدي في نار جهنم ومسببه هــو عدو الله إبليس وهو من اكبر مداخله على ابن آدم ويصدكم عن ذكر الله وعــن الصلاة والدواء لهذا الداء هو ذكر الله على كل حال فيه ينتصر أصــحاب الحــق وبدونه يهزم أصحاب الحق وهو السبب الذي انقذ الله به

نبي الله يونس عليه السلام من بطن الحوت والا لمكث في بطن الحوت إلى ما يشاء الله .

وكـل جماعـة معرضة لذلك الانتكاس وكل داعية إلى الله معرض للانـتكاس مـتى نسي ذكر الله وبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب فـان دنـا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجـتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا ؟ فيقال: قد مسه الإنسي" والذكر عنصـر أساسـي في منهج هذا الدين انه ليس منهج معرفة نظرية وجدل لاهوتـي انـه منهج حركة واقعية لتغيير الواقع البشري. وللواقع البشري جذوره وركائزه في نفوس الناس وفي أوضاعهم سواء...وتغيير هذا الواقع الجاهلـي إلى الواقع الرباني الذي يريده الله للناس وفق منهجه مسالة شاقة عسـيرة تحتاج إلى جهد طويل والى صبر عميق. وطاقة صاحب الدعوة محدودة ولا قبل له بمواجهة هذه المشقة دون زاد يستمده من ربه"ومتى ما اسـتيقظ ذلـك الناسي من نومه وذكر الله تكون أول ثمرة يقطفها من تلك الشجرة المباركة هي ثمرة الجهاد في سبيل الله ذلك ألانه تذكر الله...

<u>الجهـــاد</u>

قـال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾(العنكبوت:٦٩) علق سـبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية اعظمهم جهادا وافضل الجهاد جهـاد الـنفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا فمن جاهد هذه الأربعـة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ومن ترك الجهاد فانه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد" ويتسرب عليه الشيطان من كل جهة ويضع مخالبه في جسده حتى يقطعه إربا إربا.

❁ أمـــا من جاهد هذه الأربعة فقد اغلق جميع المنافذ على عدو الله ووضـــع الجـــنود على أبواب القلب تمنع أي مستعمر من الدخول...وهذه الأربعـــة هي الوقود الذي يتزود منه الدعاة في حركتهم لتغيير هذا الواقع الجاهلـــي وبغـــير هذا الوقود تكون حركتهم ميتة لا روح فيها ولا انطلاق مزخرفة من الخارج ولكن داخلها خواء...وللجهاد مراتب أربعة اثنان منها تتعلق بجهاد الفرد لنفسه وهما:

١- جهاد النفس

٢- جهاد الشيطان

والأخرى تتعلق بجهاد الفرد للآخرين وهما :

١- جهاد الكفار

٢- جهاد المنافقين

جهاد النفس: أربع مراتب أيضا

أحدهما: أن يجاهدهـــا على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها الا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: ان يجاهدهـــا على العمل به بعد علمه والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: ان يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما انزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: ان يجاهدها على الصبر لتحمل مشاق الدعوة إلى الله وأذى

الخلــق ويــتحمل ذلــك كله لله فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانييــن فــان السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حــتى يعــرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء.

❁ **وأما جهاد الشيطان: فمرتبتان:**

أحدهما: جهــاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادمة في الإيمان...

الثانــية: جهــاده علــى منع ما يلقى إليه من الارادات والشهوات. فالجهــاد الأول يكون بعده اليقين والثاني بعده الصبر. قال تعالى :"وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون" فأخبر أن أمامه الديــن إنما تنال بالصبر واليقين فالصبر يدفع الشبهات والارادات واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

❁ **وأما جهاد الكفار والمنافقين: فأربع مراتب:**

بالقلب واللسان والمال والنفس.

وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات: فثلاث مراتب:

الأولى: باليد إذا قدر فان عجز انتقل إلى اللسان فان عجز جاهد بقلبه فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق" ولا يستطيع هذا الإنسان الضعيف أن يقوم بهذه المراتــب كلها لوحده ولئن قام بها لوحده فان الثمار ستكون قليلة كثير منها غــير ناضــج وإذا قام بها ضمن جماعة فان ذلك احب إلى الله قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّـــهَ يُحِـــبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (الصف:٤) فيسهل بذلك الطريق وتزداد الثمار الناضجة إن شاء الله.

الالتزام بالجماعة

إن الالتزام بالجماعة الصالحة من الأمور التي يبغضها عدو الله لأن الجماعـــة الصالحة هي أحد الأسباب لإنقاذ الإنسان من النار وهو بطبيعته يدعـــو أولـــياءه إلى عذاب السعير فكل ما يبعد الإنسان عن عذاب السعير يكرهه عدو الله.

والإنســـان يتأثر بالوسط الذي يعيش فيه وغالبا ما يأخذ صفات ذلك المجـــتمع. ومصـــداق ذلـــك ما قاله رسول الله ﷺ :" كل مولود يولد على الفطـــرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" فأبواه لانهما هما المجتمع الأول الـــذي يعـــيش فيه فبهما ترتسم شخصيته ويكتمل بناء الشخصية من تأثيرات المجتمع الآخر الذي يعيش فيه وهو مجتمع الأشخاص الذين يحتك فـــي بعضـــهم ويرافق البعض الآخر ومن هذا كان لا بد أن يلتزم المسلم بالجماعة الصالحة ولا اختيار له في ذلك خاصة بمثل هذا الوقت الذي ابعد فيه منهج الله عن الحياة واستبدلوه بالمناهج الوضعية.

ويروي المفسرون أن بعض المؤلفة قلوبهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يجعل لهم مجلسا خاصا وينحي عنهم فقراء الصحابة فانزل الله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(الكهف:٢٨) .

"أصـــبر نفســـك مع هؤلاء: صاحبهم وجالسهم وعلمهم ففيهم الخير وعلى مثلهم تقوم الدعوات فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها لأنها غالبة ومـــن يعتـــنقونها لـــيقودوا بها الاتباع ومن يتبعونها ليحققوا بها الأطماع

وليـتجروا بهـا في سوق الدعوات تشترى منهم وتباع إنما تقوم الدعوات بهـذه القلـوب التي تتجه إلى الله خالصة لَه لا تبغي جاها ولا متاعا ولا انتفاعا انما تبغي وجهه وترجو رضاه".

ولقـد وعى رسول الله ﷺ ما أراد ربه منه حينما أوصاه بألا يفارق الجماعـة الصالحة ولا تعد عيناك عنهم" فربى أصحابه على هذه الوصية فتارة يبين لهم أن المفارق للجماعة كأنه خلع ثوب الإسلام منه فيقول:" من فـارق الجماعـة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه (العروة في الحبل) وتـارة أخرى يقول لهم" الجماعة رحمة والفرقة عذاب"إذ أن الواحد البعيد عـن الجماعة الصالحة مهيأ لأن يفترسه الشيطان فهو يتصيد الشاة البعيدة عن القطيع .

وكذلـك ما روى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان عندما كان يسـال الرسـول ﷺ عن الشر مخافة أن يقع فيه وكان الرسول ﷺ يصف لَه حالـة المسـلمين بالمستقبل بوحي من الله حتى يقول لَه حذيفة فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت أي حذيفـة) صفهم لنا قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. ثم يقول حذيفة للرسـول ﷺ : فمـا تأمرني ان ادركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وامـامهم ثم قال حذيفة : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك " بهـذا كـان يوصـيهم لعلمه ما للجماعة من الأهمية في إزالة الباطل. ولكن الجماعـة ليست آخر دواء لمحاربة عدو الله والانتصار عليه إنما تتبعها أدوية كثـيرة لعـلاج ما يستجد من أمراض خلال ممارسته العمل الجماعي وكذلك لتقوية النفس على تحمل عبء هذا الطريق الصعب وتزكيتها .

المحاسبة

ولقد اعد هذا الدواء نتيجة للأمراض التي يلاقيها الداعية خلال ممارسته العمل الجماعي من العجب والرياء وحب الرياسة والكبرياء عن اخذ النصيحة وما شابه كل ذلك يزرعه عدو الله في طريق الداعية ليجعله يحيد عن الطريق فتقطع الجذور وتتوقف الأثمار...

فكان من واجبات الداعية أن يتجرع هذا الدواء بين كل أونة واخرى يراجع نفسه ويصفيها مما علق بها من شوائب ويعزم أن يصقلها بالإخلاص والإقلاع عما علق في نفسه...

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾(الحشر:١٨) " يقول الإمام ابن قدامة المقدسي: "وهذه إشارة إلى المحاسبة بعد مضي العمل ولذلك قال عمر ﷺ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

ﷻ وقال الحسن: المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه.

وقال إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وانك لمن حاجتي ولكن والله ما في حيلة إليك هيهات حبل بيني وبينك. ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا مالي ولهذا والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله .

ومعنى المحاسبة أن ينظر في راس المال وفي الربح وفي الخسران لتبين له الزيادة من النقصان فراس المال في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وليحاسبها أولا على الفرائض أو هي كمل يقول أحد الأئمة:" استعراض أعمال اليوم ساعة نوم فان وجد الأخ خيرا

فلـيحمد الله وان وجد غير ذلك فليستغفر ولسئل ربه ثم يجدد التوبة وينام علـى افضـل العزائم" أما ذلك الذي يترك نفسه بلا فطام وبلا حساب ولا تزكـية فهو معرض لمرض قسوة القلب أو الميلان إلى الدنيا فلأولى دواء لَه معرفة حقيقة الدنيا...

معرفة حقيقة الدنيا

وقد مثل القرآن الكريم الدنيا بصورة رائعة اذ يقول تعالى:" واضرب لهـم مـثل الحـياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصـبح هشـيما تـذروه الرياح " بهذه اللمسات السريعة المتلاحقة يرسم القـرآن الدنـيا تناسبا مع قصرها ويقول الرسول ﷺ مصورا قصرها" ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع" وعـن جابـر ﷺ إن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كفتيه.فمر بجندي أسك (به عيب) ميت فتنأوله فاخذ بأذنه ثم قال:

" أيكـم يحـب ان هذا لَه بدرهم"؟ فقالوا :ما نحب انه لنا بشيء وما نصـنع بـه؟ قال: " اتحبون انه لكم"؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا أنه أسـك فكيف وهو ميت؟ فقال :" فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" والغريـب وعابـر السبيل اسمان يطلقان على الذي يمر ببلد ليس هو من أهلهـا ولا هـي موطـنه الأصلي – وهذه هي حقيقة الدنيا – إنها ليست الموطن الأصلي وإننا مسافرون أو عابرو سبيل خلال هذه الدنيا كما عبر عـن ذلك الرسول ﷺ إذ يقول لابن عمر ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وإذا كان كذلك فما اجدر بعابر السبيل أن يتزود لاكمال رحلته لموطـنه الأصـلي فهـناك الراحة الحقيقية... وعندما يصل هناك ينتهي النصـب وهـذا هو الفارق بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل أو قل انه

أحـد الفـوارق بـان أصحاب الباطل يعتبرون الدنيا دار إقامة والموطن الأصـلي لهـم وذلك من تزيين الشيطان ومن هذا المنطلق فانهم يتكالبون علـيه مستصغرين كل منكر يفعلونه عليها ويتجاذبونها حتى تهلكهم . ولقد أجـاد ذلك الشاعر الذي خاطب تلك الفئة المتكالبة على الدنيا ووصف لهم الدنيا بأنها منزل ركب حلوا به ثم رحلوا وان العيش فيها نكد وان ساكنها لا يسـوغ لَـه عـيش لمـا يلاقيه فيها من الروعات المستمرة تريد نفسه الهـروب. والمـوت يتبعها ويسعى الساكن فيها كل حياته لغيره والقبر لا يرث منه إلا الأعمال الصالحة.

ﷺ ولقـد مثل العلماء الدنيا:" بالبحر الذي لا بد لِلخلق كلهم من ركوبه ليقطعوه إلى الساحل الذي فيه دورهم وأوطانهم ومستقرهم ولا يمكن قطعه إلا في سفينة النجاة فأرسل الله رسله لتعرف الأمم اتخاذ سفن النجاة وتأمـرهم بعملهـا وركوبهـا وهـي طاعته وطاعة رسله وعبادته وحده وإخـلاص العمـل والتشـمير للآخرة وإرادتها والسعي لها سعيها فنهض الموفقون وركبوا السفينة ورغبوا عن خوض البحر لما علموا انه لا يقطع خوضا ولا سباحة وأما الحمقى فاستصعبوا عمل السفينة وآلاتها والركوب فـيها وقالوا نخوض البحر فإذا عجزنا قطعناه سباحة وهم اكثر أهل الدنيا فخاضـوه فلما عجزوا عن الخوض اخذوا في السباحة حتى أدركهم الغرق ونجـا أصحاب السفينة كما نجوا مع نوح عليه السلام وغرق أهل الأرض وهكـذا يغـوي الشـيطان من ضل ويغريهم بالسباحة وسط أمواج الفتن والشـهوات حـتى يغرقون في نار جهنم... ويصادف الداعية في طريقه اخبـث الأمـراض علـى الإطلاق وهو الرياء في العبادة ولا دواء لهذا المرض الخبيث إلا الإخلاص لله.

تدهور التجارة بين دول الأمة الإسلامية

س/ حجم التجارة بين الدول العربية هو ٨% من إجمالي التجارة العربية مع العالم هل هذا يليق بأمة العرب ؟

ولا أنا ضد المصطلحات القومية، فنحن أمة إسلامية، ولا أؤمن بقيام كيان عربي مستقل عن الإسلام فالكيان العربي مقوماته فرد لا أمة وأن الحديث عن وحدة عربية هو سبب مشاكل العرب، واحد أسباب العجز عن الحل، فقبل الإسلام كان العرب كأفراد يتسمون بالشجاعة والكرم وغيرها من الصفات الحسنة ولكن لم تكن لهم قيمة في وسط الأمم، وحينما أسلموا صارت كلمتهم هي العليا، وكلمة من أصر على السوء من الروم والفرس هي السفلي، معنى ذلك أن الإسلام هو الذي أعز أمة العرب، وهذا ما ينبغي أن نتمسك به، فعندما نتحدث عن العالم الإسلامي ككل سنجد الحلول في التكامل والتضامن.

الإسلام والمسلمين هدف

س/ يرى بعض مفكري الغرب أن غياب الاتحاد السوفيتي والكتلة الشيوعية سيجعل الإسلام والمسلمين هدفا وعدا للمجتمع الرأسمالي.. ما رأيكم؟

أخبرنا الحبيب ﷺ أن الأمم سوف تتداعى علينا في يوم من الأيام، ولم يكن ذلك لقلة عددنا، وإنما لأن كثرتنا عديمة الجدوى، وإذا كان الغرب يخطط للعداء لنا فهذا أمر طبيعي، وإن كان غير مستحب، هل ننتظر إحسانا من دار الكفر، أن السلام القائم حاليا مع الغرب هو سلام مصانعة

أو هـو هدنة وقتية، لكن الإشكال ليس في كونهم معادون لنا بل ماذا فعلنا لأداء مهمتنا تجاههم وهي هدايتهم أن الردع يعني أولا امتلاك القوة حتى لا يفكـر الآخـر في الغدر بك، وهناك مسألة أخرى هي أن الإنسان مخلوق اجتماعـي إما مؤثر أو متأثر، وهذا يعني أن نحاول جذب الغرب إلى دين الإسلام والى سماحة الإسلام.

دعم المجتمع الإسلامى للانتفاضة

س/ أطفال الحجارة في فلسطين المحتلة هؤلاء الذين حققوا نتائج عظيمة جدا.. هل ترى أن المجتمع الإسلامي قدم الدعم اللازم لهم لكي تستمر هذه الانتفاضة ولكي تحقق مرامها أو هل لك ملاحظات؟

لاشـك هناك ملاحظات.. لكن لفهم المشكلة يجب أن نتفق على أنه يجـب أن تقوم الدول الإسلامية والعربية بتقديم الدعم والمساعدة، دون أن يشـعر الفلسـطينيون بأننا نمن عليهم، وهذه مشكلة في الأساس، وهي إن الـذي يدعم يشعر بأنه يمن عليهم، يشعر بأنه قدم لفلسطين، وهذا لا نريده أن يقـدم، لأن مـا تقدمـه هـو بيـنك وبين الله، والقضية ليست قضية الفلسطينيين ونحن نتكرم عليهم، ولكن القضية قضية المسلمين جميعا وهذا واجـب أوجبه الله عليك، لو حدث هذا الوعي ستختفي المشكلة خاصة إذا آمن كل منا بأن دعم الانتفاضة فريضة على كل مسلم.

يقال أن هناك ضغوطا من قبل الأنظمة الإسلامية تمارس على الدعاة خوفا من أن يتحول مصلوا اليوم إلى حاملي سلاح في الغد فما رأيك؟

إذا كانـت الأنظمة الحاكمة، والقوى الفكرية في الدول الإسلامية لا

تـبرأ البراءة الكاملة مما يحدث، فنحن الدعاة أيضا غير أبرياء فالتجارب السـابقة للعمل الدعوي كانت مثار شكوك للأنظمة الإسلامية مما أوجدت فرصـة للمتصـيدين فـي المياه العكرة للتشنيع على أي عمل إصلاحي، وبالتالي لابد من القول أن العلاقة كانت متوترة مابين العلماء والحكام، لأن الطرف الثاني اعتاد أن يتعامل مع صنفين من الطرف الأول صنف: ينظر إلى ما في يد الحاكم، فهان في نظرهم، وهان الدين بهوان علمائه.

وصـنف آخـر من العلماء: ينظر إلى كراسي الحكام، ويفكر كيف ينـتزع منهم الكرسي ليجلس هؤلاء العلماء مكان الحاكم، إما بالحكم عليهم كفرا أو بالردة أو العمالة، وهي التهم الجاهزة دائما.

وباعـتقادي أنـنا فـي العالم الإسلامي بحاجة إلى صنف ثالث من العلماء: صنف ينظر إلى قلوب الحكام من أجل زيادة الخير للمسلمين.

كان الحكام في السابق يتكفلون بالدعاة ولكن يقال أن التجار هم الذين يقومون بهذا الدور في العصر الحديث ؟

لم يكن العلماء في يوم من الأيام عالة على الحكام أو التجار، واعتقد أن مـن تضـعف ثقـتهم بالله، وينتظروا رزقهم من الحكام أو التجار، لا يصلحوا أن يكونوا دالين على الخير...!

وما دور المسلم الآن لمواجهة هذا الوضع؟

المسلم يحتاج أن يفهم دينه فهما صحيحا، والله عز وجل يقول ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾(الرعد:١١) فربط تغير الواقع المحيط بنا بتغير أنفسنا نحن، وجعل تغيير الواقع منسوبا إليه، وجعل تغيير الأنفـس منسـوبا إلينا. نحن نحتاج الآن أن نرجع إلى ذواتنا ونخرج من

مـــرحلة تعليق أخطائنا على الغير، فلا نفر من أخطائنا بالنظر إلى أخطاء الغـــير. نحن نعاني ضعف الإيمان نعاني، جهلا مركبا لفهم ديننا عند كثير من المهتمين بخدمة الدين فضلا عن غيرهم.

المقاطعـــــــــــة

هل أنت مع الدعوة لمقاطعة المنتجات الأمريكية وهل تفعل ذلك؟

قـــبل المقاطعة لا أرى في يومي ما أحتاجه لأشتريه، ليس لدي وقت للتـــنزه وشراء الكوكاكولا أو البيبسي، فالمقاطعة بالنسبة لي كفرد لم تزد شـــيئا. أما المقاطعة كفكرة فأرى أنها يجب ألا تقف عند هذا الحد، أي لا تكـــون سلاحا كرد فعل فقط، بل يجب أن تتحول إلى بناء لمجتمعنا بإيجاد الـــبديل الوطني، الذي يخدم اقتصادنا، فإذا تحول التعامل مع المقاطعة من الاقتصـــار علـــى فكرة المعاداة فقط، إلى الفكرة التي ندعو إليها وهي نقد الذات وبناؤها وليس فقط ردع العدو، وإلا لو لم يعادنا أحد هل نستسلم لما نحـــن فيه؟ نحن مطالبون شرعا وفرضا علينا أن يكون عندنا اكتفاء ذاتي ليومنا وليلتنا، حتى لا يكون قرارنا بيد غيرنا.

التعامل مع العدو

هل يجوز لنا أن نتعامل مع عدونا إذا كنا سنستفيد منه؟

إذا كان هذا لمرحلة فنعم، أما إذا كان اعتمادا فلا، الرسول صلى الله علـــيه وســـلم، كان في بداية الأمر يأخذ سلاحه من اليهود الذين كانوا في المديـــنة لـــيقاتل المعتديـــن من كفار قريش ومن معهم، إلى أن وجد من

الصـــحابة مـــن يستطيع أن يتقن هذه الصناعة ووجد في موقف اليهود من العـــدأوة والمكر والغش ما يحملهم على أن يغدروا به عند حاجته، فخاطب عددا من المسلمين بأن يفقهوا هذه الصناعة واستغنى عن اليهود.

س/ بالقياس هل يجوز أن تستعين مصر بعلماء من إسرائيل في الزراعة إذا كنا سنستفيد منهم؟

مـــن الناحية الفقهية من الممكن أن ترجع إلى المفتي في هذا الجزء، ومن الناحية العلمية تحتاج إلى الرجوع إلى المتخصص ليقول لنا هل هناك أمانة فيما أعطوه لنا أم أنه أحدث أضرارا بزراعتنا. أي إذا وصلنا إلى أنه لا يوجـــد من يعلمنا الزراعة إلا هم - وهذا غير واقع- فمع الحذر الشديد مـــن الممكـــن أن نـــتعلم منهم. المهم أن تكون لدينا من التقنية العلمية ما نستطيع به أن نميز بين الصالح والطالح مما نأخذه منهم.

الإعـــــــلام

لو جئنا إلى مسألة الإعلام وأهميته لوجدنا ان الناس اما الإعلام فريقان يختصمون فريق يراه رجساً من عمل الشيطان يجب تجنبه وفريق يرى أنه الغاية والمهم وأنه الدنيا كلها في هذا العصر فكيف يمكن الإفادة من الإعلام بالشكل المناسب كيف تكون؟

الـــتطرف مـــن الأمـــور الممقوتة عندنا في الإسلام فالوسائل ليست أصـــولا والتسرع في أن نعتبر أن الوسائل أصولا ليس صحيحا والواقع لا يمثل في كثير من الأحيان ما ينبغي أن يكون.

وهي من الوسائل التي لو أحسن استخدامها لكان أفضل وأمثل وهذا من

المعلـــوم في السيرة النبوية الشريفة من استخدام الوسيلة الشرعية أيام الرسول وكانوا يؤيدون وينصرون الدين وقد قال ﷺ لحسان بن ثابت : (أهجهم وروح القدس معك) والعبرة في القائمين على توجيه الإعلام الإسلامي نفسه وتحويله إلـــى جانب إسلامي قوي وهذا له طرفان طرف ليس في أيدينا نحن لكن على القائميـــن علـــى الإعلام الإسلامي والذين يسيرون دفته وأن المقاصد لا تبرر الوســـائل فـــي كل الأحوال والجانب الذي يعنينا نحن فينبغي أن يكون لنا من الطرح ما يربي النفوس ويبصر شباب الأمة في اختيار الصالح و ترك الطالح وان يثبت معنى التربية الحاضر في البيت وفي العمل وفي كل مكان...

وقد قيل لبعض السلف لقد غلا اللحم فقال أرخصوه فقالوا كيف؟ قال: بالترك فالوسائل الإعلامية السيئة تقوي بالتفاف الناس حولها والإقبال عليها ولـــو وجدت من يعرض عنها ويتحاشاها لفشلت ولما انتشرت ولو تركها الناس بسبب ما تعرضه من أشياء سيئة لرخصت عندهم..

وليس بالفساد وحده ينتشر العلام وينجح فالقناة الأكثر مشاهدة انتشارا فـــي أمـــريكا هي قناة حيوانات أي ليس فيها رجال فضلا عن نساء سيما المتبرجات وعقدة أن الإعلام لا ينتشر إلا بمناظر معينة أو تصرفات معينة أو دراما معينة فيمكن أن نتجأوزها بشيء من الثقافة.

كيف يمكن لأجهزة الإعلام ان توصل ما تريد توصيله من الخير بالطريقة التي يرضى عنها الله تعالى ؟

أجهـــزة الإعلام وسائل وليست الأساس ومن يظن أنها أساس فليس بصحيح وقد كان ﷺ كان القدوة في تعامل الناس فما تيسر منها وفتح بابه وليس وراءه ضرر شرعي فينبغي أن يستفاد منه بغير استشراف له.

الدعوة إلى الله

هل ترون أن الظروف الآنية صالحة للدعوة الآن في هذه البلاد بعد الأحداث الأخيرة في أمريكا؟

نعم وهي الآن أصلح ما كانت عليه وقد وجه سؤال حول تأثر الإسلام بالأحداث التي صارت مؤخرا فوجد أن الإسلام ينتشر كثيرا في هذه البلاد لن الإسلام دين الله ودين الله لا يتأثر بما يحدثه البشر إنما الضرر يقع على المسلمين إذا أساءوا التصرف أما الإسلام في حال الإحسان وحال الإساءة فهو إلى زيادة وانتشار.

لكن الآن توضيح الصورة يحتاج إلى جهد أكبر كيف نوفر هذا الجهد وننسقه؟

الجهد المطلوب أكثر لأن الثمرات المرجوة أكثر مما كانت عليه لوجود الحيرة لدى الناس أكثر ووجود التساؤلات عند الناس أكثر عن حقيقة الإسلام الكثير ينظر إلى مجالس الذكر بتوجس ولا يتسحث نفسه على حضورها ربما خوفا من التصنيف الذي أصابنا به في عصرنا الحاضر كيف نجلي للناس صورة مجلس الذكر الذي يسموا بالروح ويخلصها من شوائب الدنيا ودرنها ويعالج فيها كثيرا من أمراض القلوب والنفوس التي أصبنا بها؟ إحساس الإنسان بحاجته إلى الله وأثر مجالس الذكر الواردة عن الحبيب ﷺ كثيرة ومشهورة ويكفي الناس أن يتحصلوا على المغفرة (أن قوموا مغفورا لكم) إذن ما يحدث في مجالس الذكر من تنقية القلوب والأخذ بالأرواح إلى العالم الأعلى إلى أن يخرج الإنسان من

الحـــياة الهبيمـــية التي فرضت على الناس وكذلك تخرج الناس من الوهن الذي أصابهم وهو (حب الدنيا وكراهية الموت) فعدم حضور مجالس الذكر خوفا من التصنيف فيدل على الوهن وكذلك المنفرون والمتهمون عليهم أن يـــتقوا الله وان يعلمـــوا أن عبوديتهم لله الحقة تجعلهم يخرجون أنفسهم من دائـــرة شـــهود العصـــمة في الحق وأن استشعارهم بالاستعلاء والاستغناء يجعلهم يسمعوا من الغير.

لا تحزن أبداً أبداً أبدا

لأن الحـــزن يـــزعجك من الماضي، ويخوفك من المستقبل ويذهب عليك يومك.

۞ لا تحـــزن لان الحزن يقبض لَه القلب، ويعبس لَه الوجه وتنطفئ منه الروح، ويتلاشى معه الأمل.

۞ لا تحـــزن لان الحـــزن يسرُّ العدو، ويغيظ الصديق ويُشمت بك الحاسد، ويغيِّر عليك الحقائق.

۞ لا تحـــزن لأن الحـــزن مخاصمة للقضاء، وخروج على الأنس ونقمة على النعمة.

استسلم للقدر قبل أن تطوق بجيش السخط والتذمر والعويل، اعترف بالقضاء وبذلت الحيل، ثم وقع ما كنت تحذر، فهذا هو الذي قبل أن يدهمك سيل الندم، إذا فليهدأ بالك إذا فعلت الأسباب، كان ينبغي أن يقع.

۞ لا تحـــزن لأن الحـــزن لا يردُّ مفقوداً، ولا يبعث ميتاً، ولا يردُّ قدراً، ولا يجلب نفعاً.

❁ لا تحزن فالحزن من الشيطان، والحزن يأس جاثم وفقر حاضر، وقنوط دائم وإحباط محقق وفشل ذريع.

❁ لا تحزن إن كنت فقيراً فغيرك محبوس في دَيْن، وإن كنت لا تملك وسيلة نقل فسواك مبتور القدمين، وإن كنت تشكو من آلام فالآخرون مرقدون على الأسرة البيضاء، وإن فقدت ولداً فسواك فقد عدداً من الأولاد في حادث واحد.

❁ لا تحزن إن أذنبت فتب، وإن أسأت فاستغفر، وإن أخطأت فأصلح، فالرحمة واسعة، والباب مفتوح، والتوبة مقبولة.

❁❁ ونورد هنا أمور في التوبة من كتابات الكاتب شريف عزب علها تكون الطريق :

كلمة التوبة كلمة عظيمة، لها مدلولات عميقة، لا كما يظنها الكثيرون، ألفاظ باللسان ثم الاستمرار على الذنب، وتأمل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾(هود:٣) تجد أن التوبة هي أمر زائد على الاستغفار .

ولأن الأمر العظيم لابد لَه من شروط، فقد ذكر العلماء شروطاً للتوبة مأخوذة من الآيات والأحاديث، وهذا ذكر بعضها :

الأول : الإقلاع عن الذنب فوراً .

الثاني : الندم على ما فات .

الثالث : العزم على عدم العودة .

الرابع : إرجاع حقوق من ظلمهم، أو طلب البراءة منهم .

وذكــر بعــض أهل العلم تفصيلات أخرى لشروط التوبة النصوح، نسوقها مع بعض الأمثلة :

الأول : أن يكون ترك الذنب لله لا لشيء آخر، كعدم القدرة عليه أو على معاودته، أو خوف كلام الناس مثلاً .

فــلا يسمى تائباً من ترك الذنوب لأنها تؤثر على جاهه وسمعته بين الناس، أو ربما طرد من وظيفته .

ولا يســمى تائباً من ترك الذنوب لحفظ صحته وقوته، كمن ترك الزنا أو الفاحشة خشية الأمراض الفتاكة المعدية، أو أنها تضعف جسمه وذاكرته .

ولا يسمى تائباً من ترك أخذ الرشوة لأنه خشي أن يكون معطيها من هيئة مكافحة الرشوة مثلاً .

ولا يسمى تائباً من ترك شرب الخمر وتعاطي المخدرات لإفلاسه .

وكذلــك لا يســمى تائباً من عجز عن فعل معصية لأمر خارج عن إرادته، كالكاذب إذا أصيب بشلل أفقده النطق، أو الزاني إذا فقد القدرة على الوقــاع، أو السارق إذا أصيب بحادث أفقده أطرافه، بل لابد لمثل هذا من الــندم والإقلاع عن تمني المعصية أو التأسف على فواتها ولمثل هذا يقول الرسول ﷺ : (الندم توبة) رواه أحمد وابن ماجه، صحيح الجامع ٦٨٠٢ .

والله نــزل العاجــز المتمني بالقول منزلة الفاعل، ألا تراه ﷺ قال: (إنمــا الدنــيا لأربعــة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمــاً، ولــم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمــل فــلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه

علماً يخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء) رواه أحمد والترمذي وصححه صحيح الترغيب والترهيب ١/٩ .

الثاني : أن يستشعر قبح الذنب وضرره .

وهذا يعني أن التوبة الصحيحة لا يمكن معها الشعور باللذة والسرور حين يتذكر الذنوب الماضية، أو أن يتمنى العودة لذلك في المستقبل .

وقد ساق ابن القيم رحمه الله في كتابه الداء والدواء والفوائد أضراراً كثيرة للذنوب منها :

حرمان العلم – والوحشة في القلب – وتعسير الأمور – ووهن البدن – وحرمان الطاعة – ومحق البركة – وقلة التوفيق – وضيق الصدر – وتولد السيئات – واعتياد الذنوب – وهوان المذنب على الله – وهوانه على الناس – ولعنة البهائم لَه – ولباس الذل – والطبع على القلب والدخول تحت اللعنة – ومنع إجابة الدعاء – والفساد في البر والبحر – وانعدام الغيرة – وذهاب الحياء – وزوال النعم – ونزول النقم – والرعب في قلب العاصي – والوقوع في أسر الشيطان – وسوء الخاتمة – وعذاب الآخرة .

وهذه المعرفة لأضرار الذنوب تجعله يبتعد عن الذنوب بالكلية، فإن بعض الناس قد يعدل عن معصية إلى معصية أخرى لأسباب منها :

أن يعتقد أن وزنها أخف .

لأن النفس تميل إليها أكثر، والشهوة فيها أقوى .

لأن ظروف هذه المعصية متيسرة أكثر من غيرها، بخلاف المعصية

التي تحتاج إلى إعداد وتجهيز، أسبابها حاضرة متوافرة .

لأن قرناءه وخلطاؤه مقيمون على هذه المعصية ويصعب عليه أن يفارقهم .

لأن الشخص قد تجعل لَه المعصية المعينة جاهاً ومكانة بين أصحابه فيعز عليه أن يفقد هذه المكانة فيستمر في المعصية، كما يقع لبعض رؤساء عصابات الشر والفساد، وكذلك ما وقع لأبي نواس الشاعر الماجن لما نصحه أبو العتاهية الشاعر الواعظ ولامه على تهتكه في المعاصي، فأنشد أبو نواس :

أتراني يا عتاهي   تاركاً تلك الملاهي

أتراني مفسداً بالنسك   عند القوم جاهي

الثالث : أن يبادر العبد إلى التوبة، ولذلك فإن تأخير التوبة هو في حد ذاته ذنب يحتاج إلى توبة .

الرابع : أن يخشى على توبته من النقص، ولا يجزم بأنها قد قبلت، فيركن إلى نفسه ويأمن مكر الله .

الخامس : استدراك ما فات من حق الله إن كان ممكناً، كإخراج الزكاة التي منعت في الماضي ولما فيها من حق الفقير كذلك .

السادس : أن يفارق موضع المعصية إذا كان وجوده فيه قد يوقعه في المعصية مرة أخرى .

السابع : أن يفارق من أعانه على المعصية وهذا والذي قبله من فوائد حديث قاتل المائة وسيأتي سياقه .

والله يقول : ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (الزخرف:٦٧). وقرناء السوء سيلعن بعضهم بعضاً يوم القيامة، ولذلك عليك

أيهـــا التائــب بمفارقتهم ونبذهم ومقاطعتهم والتحذير منهم إن عجزت عن دعوتهـــم ولا يســـتجرينك الشيطان فيزين لك العودة إليهم من باب دعوتهم وأنت تعلم أنك ضعيف لا تقأوم .

وهـــناك حـــالات كثـــيرة رجـــع فيها أشخاص إلى المعصية بإعادة العلاقات مع قرناء الماضي .

الثامن : إتـــلاف المحـــرمات الموجودة عنده مثل المسكرات وآلات اللهـــو كـــالعود والمزمار، أو الصور والأفلام المحرمة والقصص الماجنة والتماثيل، وهكذا فينبغي تكسيرها وإتلافها أو إحراقها .

ومســـألة خلع التائب على عتبة الاستقامة جميع ملابس الجاهلية لابد مـــن حصـــولها، وكم من قصة كان فيها إبقاء هذه المحرمات عند التائبين ســـبباً فـــي نكوصهم ورجوعهم عن التوبة وضلالهم بعد الهدى، نسأل الله الثبات .

التاسع : أن يختار من الرفقاء الصالحين من يعينه على نفسه ويكون بديـــلاً عن رفقاء السوء وأن يحرص على حلق الذكر ومجالس العلم ويملأ وقته بما يفيد حتى لا يجد الشيطان لديه فراغاً ليذكره بالماضـي .

العاشر : أن يعمـــد إلى البدن الذي رباه بالسحت فيصرف طاقته في طاعة الله ويتحرى الحلال حتى ينبت لَه لحم طيب .

الحادي عشر : أن تكـــون التوبة قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها : والغرغرة الصوت الذي يخرج من الحلق عند سحب الروح والمقصود أن تكون التوبة قبل القيامة الصغرى والكبرى لقوله ﷺ : (من تـــاب إلى الله قبل أن يغرغر قبل الله منه) رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع

٦١٣٢ . وقولـه ﷺ : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) رواه مسلم .

توبة أصحاب الرسول ﷺ

ونذكر هنا نموذجاً لتوبة الرعيل الأول من هذه الأمة، صحابة رسول الله ﷺ:

عن بريدة ﷺ : أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال : (يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت، وإني أريد أن تطهرني فرده، فلما كان من الغد أتاه، فقال : يا رسول الله إني زنيت فرده الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه، فقال : (أتعلمون بعقله بأساً ؟ أتنكرون منه شيئاً ؟) قالوا : ما نعلمه إلا وفيّ العقل، من صالحينا فيما نرى، فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضاً، فسأل عنه فأخبره أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر لَه حفرة، ثم أمر به فرجم، قال : فجاءت الغامدية، فقالت : يا رسول الله إني زنيت فطهرني، وإنه ردها، فلما كان الغد، قالت : يا رسول الله لم تردني ؟ لعلـك أن تردنـي كمـا رددت ماعزاً، فوالله إني لحبلى، قال : (أما لا، فاذهبي حتى تلدي)، قال : فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت : هذا قد ولدته، قال : (اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه)، فلما فطمته أتته بالصبي فـي يده كسرة خبز، فقالت : هذا يا رسول الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفـع الصـبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمـر الـناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضخ الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله سبه إياها، فقال: (مهلاً يا خالد ! فوالـذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس {وهو الذي يأخذ الضرائب } لغفر لَه) رواه مسلم . ثم أمر بها فصلى عليها، ودفنت .

وفي رواية فقال عمر يا رسول الله رجمتها ثم تصلي عليها ! فقال : (لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة وسعتهم، وهل وجدت شيئاً أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل) . رواه عبد الرزاق في مصنفه ٧/٣٢٥ .

التوبة تمحو ما قبلها

وقـد يقول قائل : أريد أن أتوب ولكن من يضمن لي مغفرة الله إذا تبـت وأنا راغب في سلوك طريق الاستقامة ولكن يداخلني شعور بالتردد ولو أني أعلم أن الله يغفر لي لتبت ؟

فأقول لَه ما داخلك من المشاعر داخل نفوس أناس قبلك من صحابة رسول الله ﷺ.

ولو تأملت في هاتين الروايتين بيقين لزال ما في نفسك إن شاء الله .

الأولـى : روى الإمام مسلم رحمه الله قصة إسلام عمرو بن العاص ﷺ وفـيها : " فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت : ابسط يميـنك فلأبـايعك، فبسط يمينه فقبضت يديّ قال : مالك يا عمرو ؟ قال : قلـت أردت أن أشترط، قال (تشترط بماذا؟) قلت : أن يغفر لي . قال : (أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟) .

والثانية : وروى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أناسـاً مـن أهـل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: " إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن، ولو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فـنزل قول الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ الـنَّفْسَ الَّتِـي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً** ﴾

(الفـرقان:٦٨) ونزل : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ** ﴾(الزمر:٥٣) .

هل يغفر الله لي

وقــد تقول أريد أن أتوب ولكن ذنوبي كثيرة جداً ولم أترك نوعاً من الفواحش إلا واقترفته، ولا ذنباً تتخيله أو لا تتخيله إلا ارتكبته لدرجة أني لا أدري هل يمكن أن يغفر الله لي ما فعلته في تلك السنوات الطويلة .

وأقول لك أيها الأخ الكريم : هذه ليست مشكلة خاصة بل هي مشكلة كثير ممن يريدون التوبة وأذكر مثالاً عن شاب وجه سؤالاً مرة بأنه قد بدأ فـــي عمل المعاصي من سن مبكرة وبلغ السابعة عشرة من عمره فقط وله سجل طويل من الفواحش كبيرها وصغيرها بأنواعها المختلفة مارسها مع أشـــخاص مختلفين صغاراً وكباراً حتى اعتدى على بنت صغيرة، وسرق عـــدة سرقات ثم يقول : تبت إلى الله عز وجل، أقوم وأتهجد بعض الليالي وأصوم الاثنين والخميس، وأقرأ القرآن الكريم بعد صلاة الفجر فهل لي من توبة ؟

والمـــبدأ عـــندنا أهل الإسلام أن نرجع إلى الكتاب والسنة في طلب الأحكام والحلول والعلاجات، فلما عدنا إلى الكتاب وجدنا قول الله عز وجل ﴿ **قُـــلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّـــهَ يَغْفِـــرُ الذُّنُـــوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾(الزمر:٥٤،٥٣)

فهذا الجواب الدقيق للمشكلة المذكورة وهو واضح لا يحتاج إلى بيان

أما الإحساس بأن الذنوب أكثر من أن يغفرها الله فهو ناشئ عن عدم

يقين العبد بسعة رحمة ربه أولاً .

ونقص في الإيمان بقدرة الله على مغفرة جميع الذنوب ثانياً .

وضعف عمل مهم من أعمال القلوب هو الرجاء ثالثاً .

وعدم تقدير مفعول التوبة في محو الذنوب رابعاً .

ونجيب عن كل منها .

فأما الأول : فيكفي في تبيانه قول الله تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾(الأعراف:١٥٦) .

وأمـــا الثاني : فيكفي فيه الحديث القدسي الصحيح : (قال تعالى من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت لَه ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً) رواه الطبراني في الكبير والحاكم، صحيح الجامع ٤٣٣٠ . وذلك إذا لقي العبد ربه في الآخرة .

وأما الثالث : فيعالجه هذا الحديث القدسي العظيم : (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) رواه الترمذي، صحيح الجامع ٤٣٣٨ .

وأمـــا الرابع : فيكفي فيه حديث رسول الله ﷺ: (التائب من الذنب كمن لا ذنب لَه) رواه ابن ماجه، صحيح الجامع ٣٠٠٨ .

والى كل من يستصعب أن يغفر الله لَه فواحشه المتكاثرة نسوق هذا الحديث:

توبة قاتل المائة

عـــن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: (كـــان فيمـــن كـــان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فـــدل على راهب، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل لَه من توبة ؟ فقال : لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدّل على رجـــل عـــالم، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل لَه من توبة ؟ فقال : نعم، ومن يحـــول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعـــالى فاعبد معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصـــف الطـــريق أتـــاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العـــذاب، فقالـــت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكـــة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم – أي حكماً – فقال : قيسوا ما بين الأرضيين فالى أيتهما كان أدنى فهو لَه، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة) متفق علـيه وفـــي روايـــة في الصحيح (فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلهـــا) وفي رواية في الصحيح (فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي والى هذه أن تقربي وقال : قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر لَه) .

نعـــم ومن يحول بينه وبين التوبة ! فهل ترى الآن يا من تريد التوبة أن ذنوبك أعظم من هذا الرجل الذي تاب الله عليه، فلم اليأس ؟

بـــل إن الأمر أيها الأخ المسلم أعظم من ذلك، تأمل قول الله تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِـــالْحَقِّ وَلا يَـــزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَه الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ**

يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾(الفرقان:٦٨-٧٠) .

ووقفة عند قوله : (**فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**) الفرقان /٧٠ تبين لك فضل الله العظيم، قال العلماء التبديل هنا نوعان :

الأول : تبديل الصفات السيئة بصفات حسنة كإبدالهم بالشرك إيماناً وبالزنا عفة وإحصاناً وبالكذب صدقاً وبالخيانة أمانة وهكذا .

والثاني : تبديل السيئات التي عملوها بحسنات يوم القيامة، وتأمل قوله تعالى : (**يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**) ولم يقل مكان كل سيئة حسنة فقد يكون أقل أو مساوياً أو أكثر في العدد أو الكيفية، وذلك بحسب صدق التائب وكمال توبته، فهل ترى فضلاً أعظم من هذا الفضل ؟ وانظر إلى شرح هذا الكرم الإلهي في الحديث الجميل :

عن عبد الرحمن بين جبير عن أبي طويل شطب الممدود أنه أتى النبي ﷺ – وفي طرق أخرى – " جاء شيخ هرم قد سقط حاجباه على عينيه وهو يدّعم على عصا حتى قام بين يديّ النبي ﷺ فقال : أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها فلم يترك منها شيئاً وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة أي صغيرة ولا كبيرة إلا أتاها، وفي رواية، إلا اقتطعها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم أي أهلكتهم فهل لذلك من توبة ؟ قال : (فهل أسلمت) قال : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال : (تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن) قال : وغدراتي وفجراتني، قال :

(نعم) قال : الله أكبر فما زال يكبر حتى توارى. قال الهيثمي رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون أبي نشيطة وهو ثقة، المجمع ٣٦/١ وقال المنذري في الترغيب إسناده جيد قوي ١١٣/٤ وقال ابن حجر في الإصابة هو على شرط الصحيح ١٤٩/٤.

وهنا قد يسأل تائب، فيقول : إني لما كنت ضالاً لا أصلي خارجاً عن ملـــة الإسلام قمت ببعض الأعمال الصالحة فهل تحسب لي بعد التوبة أو تكون ذهبت أدراج الرياح .

وإلـــيك الجواب : عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام أخبره أنه قـــال لرســـول الله ﷺ : أي رســـول الله أرأيت أموراً كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عِتاقة أو صلة رحم أفيها أجر ؟ فقال رسول الله ﷺ: (أســـلمت على ما أسلفت من خير) رواه البخاري . فهذه الذنوب تغفر، وهذه الســـيئات تـــبدل حسنات، وهذه الحسنات أيام الجاهلية تثبت لصاحبها بعد التوبة، فماذا بقي !

الذنوب والمعاصى

ونورد هذه الفتاوى الهامة للحبيب على الجفري في الذنوب والمعاصي :

وماذا عن الرقص في الكباريهات؟

الرقص في الكباريهات حرام وليس بكفر، امرأة تعرض جسدها أمام الرجال، هذا حرام، ولكن الحرام لا يورث الكفر؛ إلا إذا استحل الإنسان ما حرم الله شيء مجمع على تحريمه، امرأة تقف أمام الرجال هذا مجمع على أنـــه حرام.. جاءت هذه المرأة وقالت هذا حلال هنا يخشى عليها أن تكفر؛ لأنهـــا استحلت ما حرم الله، لكن قالت أنا مخطئة ولم تتب على الحق بعد، نقول هذه عاصية، لا يتأتى أن نقول هذه كافرة.. فهناك فرق بين المعاصي وبيـــن الكفـــر لا يـــتأتى أن يحكم على أهل الإسلام بالكفر للمعاصي التي يرتكـــبونها.. هذه من سمة الخوارج.. كان من أهم معالمهم أنهم يحكمون

علـــى مرتكبـــي المعصـــية بالكفر وينزلون الآيات التي نزلت على الكفار ينزلونها حكما على المسلمين.. هذا الباطل.

يقال أنك ركزت على إقناع عدد من الفنانات المصريات لترك الاشتغال بالفن وأنك حرضت على ذلك وحرصت أن يعلن توبتهن واعتزالهن على يديك؟

المســائل هــذه لا تأتي بحرص أحد، الهداية هبة من الخالق سبحانه وتعالى.. على أني ليس لي وسيلة للبحث عن الفنانات المصريات وليس لي هدف.. وقد ذكرت لك في إجابة على سؤال سابق، أن الداعية الذي يجعل انتهاجه في خدمة الدعوة مربوطا بأسماء لامعة، فإنه لم يفقه عظمة الدعوة وأن إقباله على الدعوة فيه نقص في الإخلاص..

وأيضـا ليســت الفنانات ممنوعات من أن يسمعن الوعظ والإرشاد والدلالــة علـــى الله عــز وجــل، وإذا حضرن بعض المجالس في القسم المخصص للنساء، فلا أظن أن هذه جريمة ارتكبتها أو ارتكبنها.

وإذا كان اليوم بين أصوات من يعدون بالمثقفين من ينادي بإسقاط حد الــردة المعــروف شرعا بحجة عدم تقييد الحريات فلا أظن إذا ترك أحد مجــالا من مجالات العمل كالفن هو من الخطورة الذي يجعل حريته تقيد- إذا كــان هناك من يطالب بحرية الردة، بعد ذلك يغضب من حرية اعتزال الفــن، فإنـــي أرى ذلــك أمرا غريبا أن يغضب لأن فنانا أو فنانة اختار الاعتزال أو تغيير مهنته.

توبة الفنانات سار فيها لغط كبير وأقحموا اسمك كثيرا وقيل أنها السبب في الضجة التي حدثت في مصر نريد توضيح الصورة المبهمة من قبلكم؟

ســئلت كثــيرا عن هذا الأمر وأذكر ان الفنانين كغيرهم من أوساط المجتمع وفيهم اليخر وإن أخطأ بعضهم أو أساء ففيهم من الخير لو خوطب به لتحركت عوامل الخير في نفوسهم وأن الفن وسيلة لو أحسن استخدامها لأفــادت ولو أسيء استخدامها لعم الفساد. والأمر يحتاد إلى هدف الإعلام وهــو التحقق والتثبت لا للقفزات الإعلامية والسبق الصحفي والبحث عن العنأويــن المثــيرة التــي تحقق الصحيفة أو المجلة الكسب والتوزيع وهنا يتحول الأمر من هذا كله من تجارة ولفت نظر إلى مهمة ورسالة تخدم هذا الديــن والكــل يقــول إنني عندي رسالة الصحافة رسالة ووسائل الإعلام رسالة والفن رسالة ونحن نؤيدكم في ذلك ونسأل: من يقوم بها؟

مســألة توبة الفنانات لها تاريخ طويل وللشيخ الشعرأوي وغيره من الدعــاة دور كبير فيها أي أنا ليس قاصرة على الحبيب الجفري ولم يبتدع طريقها هو فكيف أقحمت فيها؟

ذكــرنا أن الفــن وســيلة وهنا من أساء إلى الفن أو مارسه بطريقة خاطــئة فهــذا يحتاج إلى أن يتوب ثم إن هناك شيئا يجب لفت النظر اليه فالــتوبة ليست لمن يرتكب الكبائر فقط فالحبيب الأعظم ﷺ كان يتوب في الــيوم والليلة أكثر من سبعين مرة كما جاء في الأحاديث الصحيحة ولكن بســبب الجهل المركب الذي أصاب الناس وأصبحوا يعتقدون أنه لا يتوب إلا من ارتكب الحرام فاتوب وأي حرام ارتكبه سيدنا محمد صلى الله عليه وســلم ليــتوب؟!! فكلــنا محتاجون إلى التوبة والندم والمؤمن يتهم نفسه بالحارم أقرب من تبرئتها (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي).

أما صلة ذلك بمغادرة مصر فإنني لم أتحقق منه وما يكتب وما يقال

فلـم أتحقـق منه وكما قلت لك إننا لسنا في حاجة لمعرفة الأسباب الحقيقة التـي أغضـبت الخلق بقدر ما نحن في حاجة إلى الأسباب التي قد تكون أغضبت الخالق سبحانه.

وأيضـا لمعرفة الحكمة الإلهية في مسار الدعوة مدى صبر الداعية لأنـه مـا من داعية إلا وقد تعرض وقد كان شيخ شيخنا الشيخ أحمد بن عـيدروس يـرحمه الله بلغه أن شيخنا الحبيب محمد بن عبد الله الهدار قد سـجن وأوذي علـى يد الشيوعيين في اليمن قبل الوحدة فضحك فقيل لَه: نقول لك إنه أوذي تضحك فقال فرحت لَه وخشيت أن يكون متكلماً صاحب لسان فقط فلما تعرض للأذى عرفت أنه صاحب إرث للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوة الله تعالى، فمثل هذه المفاهيم يجب أن تأخذ طريقها في الحياة.

۞ لا تحـزن لانك تُقلق أعصابك، وتهزُّ كيانك وتتعب قلبك وتُسهر ليلك

ولربَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى *** ذرعاً وعندالله منها المخرَجُ

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها *** فُرِجَت وكان يظنُّها لا تُفرجُ

۞ لا تحزن لان القضاء مفروغ منه، والمقدور واقع والأقلام جفت، والصحف طويت، فحزنك لا يقدم في الواقع شيئاً ولا يؤخر.

۞ لا تحـزن على ما فاتك، فإنه عندك نعماً كثيره، فكِّر في نعم الله الجلـيلة، وفـي أياديه الجزيلة، وأشكره على هذه النعم، قال تعالى " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " .

۞ لا تحزن من كتابة أهل الباطل والعلمانية في الصحف والمجلات والجرائد فذاك غثاء كغثاء السيل ولكن قل " موتوا بغيظكم ".

۞ لا تحـــزن من نقد أهل الباطل والحساد، فإنك مأجور من نقدهم وحســـدهم على صبرك، ثم إن نقدهم يسأوي قيمتك، ثم إن الناس لا ترفسُ كلباً ميتاً.

۞ لا تحـــزن وأكثر من الاستغفار، فإن ربك غفّار " فقلت استغفروا ربكـــم إنـــه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ".

الذكـــر ... الطمأنينه والارتياح

۞ ونذكر هنا فائدة عن الذكر عل ينتفع بها القارئ :

نحـــن المســـلمون ولله الحمد وخاصة الملتزمون بديننا تمتلي نفوسنا بالطمأنينه والارتياح ولا نحس بالقلق والضيق والكابه كما يحس بها منهم بعيدين عن الإسلام لذلك يتضح كثيرا تأثير الإيمان في تلك النفوس المعذبة وكـــيف ينتشلها وينقذها من عذابها وأوصابها ويوصلها إلى بر الأمان بر الســـعادة والبهجه والارتياح النفسي وليس هناك من منقذ سواه مهما سعى وجـــرّب الإنســـان فـــي الحياة كما انه دين العقل والحكمه و المعرفة التي ترتقي بالإنسان وتؤدي إلى تطوره وتحسن أوضاعه لذلك نعرض هنا أربع قصـــص لاخوان لنا هداهم الله للأيمان لنعرف تأثير الإيمان الكبير وفائدته العضيمه في حياة الإنسان .

من هداهم الله للإيمان

القصـــة الأولى :-مع الفنان الإنجليزي المسلم "كات ستيفنز" "يوسف إســلام" رجــل رفــض كل مغريات الدنيا بكل شهرتها وشهواتها بعد أن ضــربت شــهرته الآفــاق خلال فترة قصيرة من عمره، وذلك من خلال الشــرائط المسجلة لأغانيه التي كان يؤلفها ويلحنها وينطلق بها بين الناس فــي عروض فنية جمع منها الكثير من المال بجانب ذيوع صيته، غير أنه كان يشعر أنه ينقصه الكثير.. ينقصه الاطمئنان والسكينة النفسية التي عبر عــنها قائلاً: ".. وعندما كنت في القمة، كنت أنظر إلي أسفل خوفاً من أن أســقط مــن القمة، وبدأ القلق ينتابني، وبدأت أشرب زجاجة خمر كل يوم لأســتجمع الشجاعة كي أغني.. كنت أشعر أن الناس حولي يلبسون أقنعة، ولا أجد من يكشف عن وجهه القناع.. قناع الحقيقية.. كان لابد من النفاق حــتى تبيع وتكسب.. وحتى تعيش!! وشعرت أن هذا ضلال، وبدأت أكره حياتي، واعتزلت الناس، وأصابني المرض، ونُقلت إلى المستشفى مريضاً بالسل.. وكانت فترة المستشقى خيراً لي، حيث إنها قادتني الى التفكير، إلى أن هدانــي الله، حيــث بدأت أفكر وأستعمل عقلي". وقبل أن يسترسل في حديــثه يذكر أنه علم في مدرسة كاثوليكية، حيث درس المفهوم المسيحي للحــياة والعقيدة، وما يفترض أن يؤمن به عن الله وعن المسيح، وأقل من ذلــك عــن الــروح القدس.. كما يذكر أيضاً أنه لم يكن سعدياً في الحياة الصــاخبة التي يعيشها والغنى الفاحش برغم أنه تعلم أن الغنى هو الثروة الحقيقــية.. والفقــر هو الضياع الحقيقي بصرف النظر عن أية اعتبارات أخــرى وهــذا هــو أساس فلسفة الغرب، وظل يبحث عن الحقيقية.. عن

السعادة التي لم يجدها في الغنى، ولا في الشهرة، ولا في الكنسية، فيقول: "بـــدأت أفكر وابحث عن السعادة التي لم أجدها في الغنى ولا في الشهرة، ولا فـــي القمـــة، ولا فـــي الكنيسة، فطرقت باب البوذية والفلسفة الصينية فدرســـتها، وظننت أن السعادة هي أن تتنبأ بما يحدث في الغد حتى تتجنب شروره، فصرت قدرياً، وآمنت بالنجوم والتبؤ بالطالع/ ولكنني وجدت ذلك كله هراء. ثم انتقلت إلى الشيوعية ظناً مني أن الخير هو أن نقسم ثروات هذا العالم على كل الناس، ولكنني شعرت أن الشيوعية لا تتفق مع الفطرة، فـــالعدل أن تحصل على عائد مجهودك، ولا يعود إلى جيب شخص آخر.. ثـــم اتجهـــت إلـــى تعاطي العقاقير المهدئة لأقطع هذه السلسلة القاسية من التفكـــير والحيرة.. وبعد فترة بدأت أدرك أنه ليست هنالك عقيدة تعطيني الإجابـــة، وتوضح لي الحقيقة التي أبحث عنها، ويئست [لم يكن وقتها يعلم شـــيئاً عـــن الإسلام، فكل ما يعرفه عنه أنه دين عنصري عرقي].. فبقيت علـــى معتقدي وفهمي الأول الذي تعلمته من الكنيسة، حيث عدت بفكري إليها بعد أن انسلخت منها إلى البوذية الصينية، والشيوعية حيث أيقنت أن هذه المعتقدات هراء وأن الكنسية أفضل قليلاً منها. وعكفت من جديد على تأليف الأغاني وتلحينها، وشعرت حينئذ أنها هي ديني ولا دين لي سواها. ثـــم أردف يقول: "وفي عام ١٩٧٥ حدثت المعجزة، بعد أن قدّم لي شقيقي الأكـــبر نسخة من القرآن الكريم هدية، فشعرت تجاهه باهتمام بالغ، برغم أني لا أعرف ما بداخله، فأخذت أبحث عن ترجمة للقرآن الكريم، وكانت هـــذه أول مـــرة أفكر فيها عن الإسلام". وتوقف برهة ليعأود حديثه قائلاً: "عـــندما بدأت أقرأ في ترجمة القرآن الكريم شعرت لأول وهلة أن القرآن يـــبدأ "بســـم الله" وليس باسم غير الله.. ولا تعلم كم كانت عبارة "بسم الله الرحمـــن الرحيم" مؤثرة في نفسي.. وكذلك فاتحة الكتاب: "الحمد لله رب

العالمين.." ثم وجدت مفهوماً جديداً في "رب العالمين".. فحتى ذلك الوقت كانــت فكرتي ضئيلة عن الإله، حيث كانوا يقولون لي إن الله الواحد مُقسّم إلى ثلاثة.. كيف لأدري؟!.. وكان يقولون لي إن إلهنا ليس إله اليهود!!.. أمــا القرآن الكريم فقد أكد أن الله واحد، خالق العالمين ورب المخلوقات، ولــيس لَــه شــريك في الملك، وهو قوي قادر، فهو على كل شيء قدير، واقــترن ذلــك بالإيمان باليوم الآخر، وأن الحياة الآخرة خالدة". واستطرد يقــول: "معنى ذلك إذن أنك لست كتلة من اللحم تتحول يوماً ما إلى رماد كما يقول علماء البيولوجيا.. وإن ما تفعله في هذه الحياة يحدد الحالة التي ستكون عليها في الحياة الآخرة". ونظر بعيداً في حالة من التأمل والتفكير ليقول بعدها: "القرآن هو الذي دعاني للإسلام، فأجبت دعوته، أما الكنيسة التــي حطمتني وجلبت لي التعاسة والعناء فهي التي أرسلتني لهذا القرآن، عــندما عجزت عن الإجابة على تساؤلات النفس والروح.. يكفي أنني قد لاحظت في القرآن شيئاً غريباً، هو أنه لا يُشبه باقي الكتب، ولا يتكون من مقاطع وأوصاف تتوفر في الكتب الدينية التي قرأتها، ولم يكن على غلاف القــرآن الكريم اسم مؤلف، ولهذا أيقنت مفهوم الوحي الذي أوحى إلى هذا النبي المرسل بهذا القرآن من الله تعالى.. لقد تبين لي الفارق، حيث قرأت الإنجيل الذي كُتب على يد مؤلفين مختلفين من قصص متعددة.. حاولت أن أبحث عن أخطاء في القرآن الكريم.. ولكني لم أجد!! بل كان كله منسجماً مــع فكرة الوحدانية الخالصة..". ثم تنهد تنهيدة ارتياح وهو يقول: "بدأت أعــرف ما هو الإسلام.. وعرفت أنه الطريق إلى السلوك القويم.. فهمت مــن القرآن الكريم كيف تسلسلت الرسالات منذ بدء الخليقة، وأنه هو نفس الدين الذي أوحى به إلى الخلق منذ عهد آدم، وأن الناس على مدى التاريخ صنفان: إما مؤمن وإما كافر.. لقد أجاب القرآن عن كل تساؤلاتي، وبذلك

شـــعرت بالسعادة، سعادة العثور على الحقيقة. ويواصل حديثه قائلاً: "لقد ولدت من جديد، وعرفت إلى أين أسير مع إخواني من عباد الله المسلمين.. لقـــد اتجهـــت للإســـلام من أفضل مصادره، وهو القرآن الكريم، ثم بدأت أدرس ســـيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف أنه بسلوكه وسُنته علّم المســـلمين الإسلام، فأدركت الثروة الهائلة في حياة الرسولﷺ وسنته". ثم يبتســـم ابتسامة عريضة وهو يقول: "لقد نسيت الموسيقى والأغاني. فإني أراها تُشغل عن ذكر الله، وهذا خطر عظيم.. أما الملايين التي كسبتها من عملـــي السابق فوهبتها كلها للدعوة الإسلامية". ومما هو جدير بالذكر أنه عـــندما أجريـــت مقابلة مع "يوسف إسلام" (كات ستيفنز سابقاً) على شاشة التليفزيون البريطاني سأله المذيع أسئلة كثيرة تتعلق بالإسلام والنصرانية، وكانـــت إجاباته رائعة، تدل على ثقة الرجل وفهمه للإسلام وعمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى.

وكـــان مما سأله: إنك تخسر أموالاً كثيرة لأنك لا تستفيد من الأموال التي تأتيك من أعمالك السابقة في الغناء فماذا تقول؟ فأجاب يوسف إسلام: "إننـــي لا أخسر شيئاً، لأن من وجد الله لم يخسر شيئاً". وسأله المذيع: "هل تشـــعر بالســـعادة بعد إسلامك؟ ألا تتعذّب أو تتألم؟ أجاب قائلاً: "إنني أشعر بمنتهى السعادة.. أما الألم والعذاب فهو من خصائص الدنيا هذه، ولا راحة لمؤمـــن إلا بلقـــاء الله". ثـــم عاد المذيع يسأله: لماذا اخترت الإسلام على غـــيره؟ أجـــاب ببساطة: "لأنه الدين الحق الأخير، ولأن القرآن حق، ولم يســـتطع أحد من العلماء أو غيرهم أن يجد أي تناقض في القرآن الكريم، فضـــلاً عـــن ذلك أنه قد احتوى على كل شيء يحتاج إليه البشر لهدايتهم. وعـــندما طلـــب منه أن يُوجه كلمة لإخوانه المسلمين.. اعتدل في جلسته وتـــنهد ثـــم قـــال: "إن وصيتي هي الدعوة إلى القرآن الكريم، ولو بكلمة

واحـــدة، وأن نســـتعمل لغـــة القرآن، ولا ينبغي أن يكتفي الواحد بهدايته، وينطوي على ذلك .. إن مهمتنا التبليغ والدعوة، وهي مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً، والهادي هو الله سبحانه وتعالى.. علينا أن نتواضع ونترك المظاهر التي لا يهتم بها المسلم عادة، وننتبه إلى دورنا القيادي في أننا أصحاب رسالة ودعوة.. وأذكر أن الخطر على الإسلام يأتي من عدم الفهم الصحيح للإسلام، ومن أولئك المسلمين الذين يعطون مثالاً سيئاً عن الإسلام، كالذين يرتادون دور (القمار) واللهو، وكذلك الحروب القائمة بين الدول الإسلامية تعطي انطباعاً عكسياً ضاراً".

القصـــة الثانـــية –المستشار روبرت ديكسن رئيس جمعية المحامين الأمريكيين وهو من الشخصيات البارزة سياسيا في أمريكا كان مستشارا سياسـيا للرئـيس السـابق نيكسون وهو يتمتع بنفوذ بالغ في كل الأوساط السياسية حتى أواخر الثمانينات أشهر إسلامه وغير اسمه إلى فاروق عبد الحـق فحـرم مـن كل امتيازاته وقبل مدة ؛ اسلم شقيقه وهو عضو في الكونجـرس وفـي مقـال نشره فاروق مؤخرا بمناسبة إشهار الألاف من الأمريكيين إسلامهم بعد أحداث ١١ سبتمبر تحدث عن تجربته في التحول للإسـلام والأسـباب التـي قادته لذلك وجاء في مقاله : (بعد أن أشهرت إسـلامي حضر إلي العديد من كبار رجال الدين والمختصين بفقه الأديان وقـالوا سمعنا أنك تعاني من مشكلة فقلت لهم أبدا لقد اختفت كل المشاكل التـي أعاني منها وتبخرت وكأنما بفعل معجزه وهي كذلك فقد كانت لدي مشكلة هي أنني كنت أجد استحالة بين الصلاة للمحدود والمطلق ولم أقتنع أن المحدود يمكن أن يكون مطلقا والعكس وبالتالي فإنني لم استوعب كيف يمكـن أن يكون الأب والابن وروح القدس إلها واحدا ويكون الأب مطلقا والآخريـن محدودين قالوا لي حسنا ولكنك لست مضطرا للتحول للإسلام

فنحـــن نعاني من هذه المشكلة أيضا ولكننا بقينا على يقيننا ولم يتمكن أحد من إقناعي وطوال السنوات الماضية كنت أبحث عن كلمة لوصف الله كما عرفـــته في قلبي وكنت أتجنب الإسلام وأحاربه دون هوادة وأعتبره مسخا للحقـــيقة لسبب واحد هو أن كل ما كنت أعرفه من هذا الدين هو التشويه الـــذي زرعـــه رجال الدين المسيحيين في نفسي فقد كانوا يقولون لي أن المســـلم لا يصـــح دينه إلا إذا قتل مسيحيا وأيضا أن الإسلام صور الجنة باعتـــبارها مجلس أنس يستمتع فيه المسلم بالحور العين وأنهار الخمر ولم يخطر ببالي على الإطلاق أن أعبد الله من أجل الحور العين وأنهار الخمر فقـــط وقلـــت إنني أبحث عن كلمة لوصف الله كما أحسه في قلبي وعندما قـــرأت شـــيئا من القرآن بدافع الفضول بعد الأحداث لم أجد وصفا للخالق أســـمى مـــن الوصف الذي ورد في آية ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ (النور:٣٥) والمسلمون يتكاثرون في أمريكا هذه الأيام بنسبة كبيرة أكثر من أي مكـــان فـــي العالم وخصوصا بعد ١١سبتمبر فهل خطر ببالنا أن نسال أنفســـنا لمـــاذا ؟؟ ربمـــا كان الجواب يكمن في أنماط الحياة التي نعيشها والـــتجارب التـــي يمـــر بها الإنسان في مجتمعنا وتجربتي شخصيا مثيرة وفـــريدة أكثر من أي شخص آخر ولكنها نموذجية أيضا وكسائر المسلمين اليوم فإنني فرد من أمة عظيمة هي أمة الإيمان والإسلام وجزء من حركة تغيـــير جذريـــة في هذا المنعطف التاريخي وهذا سبب مهم لجعلنا جميعا نتمســـك بإيماننا وأن نتفهم المسؤوليات الكبيرة التي تترتب علينا و بسبب ذلـــك فنحـــن المسلمون نتعلم بقراءة القرآن الكريم ونعرف أن التغيير في عالمـــنا مهم عندما يكون لَه هدف رغم أننا نتجاهل غالبا الجمال الموجود فـــي هـــذه الحقـــيقة لقـــد شاهدنا جميعا السحب وهي تتجمع قبل العاصفة ومعظمنا راقب قدوم الفجر وتابعنا التغيير الذي يجري في أجسامنا ويدفعها

نحو الشيخوخة وكل هذه التغييرات لها هدف ولكن قلة من المفكرين راقبوا دورة الحضارات ونشوئها وسقوطها وهذا النشوء والسقوط جزء من مشيئة الله ولذلك فإن لَه هدف ،. ويسألني البعض : لماذا تحولت للإسلام ؟ فأقول إنني لم أتحول فقد كنت دائما كشخص أخلاقي أؤمن بالقيم والمثل والأخلاق الفاضـــلة اكتشـــفت فيما بعد أن الإسلام يدعو إليها وتحولي لم يكن كبيرا وإنما اقتصر على النطق بالشهادتين اكثر إيمانا بأن الإسلام هو دين الفطرة وربمـــا كان الأجدى بي أن يكون السؤال لماذا أنا مسلم؟ والجواب هو أن الإســـلام دين التوحيد والسعادة والراحة النفسية والعيشة الهانئة إذا التزمت بـــه وطبقـــت تعاليمه وهو دين العدل الإلهي ، أما لماذا هداني الله للإسلام فإننـــي لا أستطيع الجواب عن هذا السؤال شخصيا ولا أحد يملك الجواب وربمـــا يظهر الجواب يوم الحشر الذي أخشاه أكثر من أي شئ آخر خشية أن أذهب لمقابلة وجه الله الكريم وأنا مثقل بالخطايا والذنوب).

القصـة الثالـثة :- يروي البروفسور جفري لانغ أستاذ الرياضيات في الجامعـــات الأميركي كيفيّة اعتناقه للدين الإسلامي وذالك في كتاب صدر لَه بعنوان – حتى الملائكه تسأل– فالكتاب يسطر قصة اسلام لانغ ويترأوح بين لحضات روحانيّه غامره وبين أفكار فلسفيّه عميقه . ويقول المؤلف في اليوم الذي اعتنقت فيه الإسلام قدم لي إمام المسجد كتيبا يشرح كيفيّة أداء الصلاة غير أنى فوجئت بما رايته من قلق الطلاب المسلمين فقد الحوا علي بعبارات مـــثل (خـــذ راحتك – لا تضغط على نفسك كثيرا – من الأفضل أن تأخذ وقـــتك – ببطء .. شيئا فشيئا) وتسائلت في نفسي – هل الصلاة صعبه إلى هـــذا الحـــد– لكنـــي تجاهلـــت نصائح الطلاب فقررت أن إبداء فورا باداء الصـــلوات الخمـــس في أوقاتها . وفي تلك الليلة امضيت وقتا طويلا جالسا علـــى الاريكـــه فـــي غرفتي الصغيرة باضاءتها الخافته حيث كنت ادرس

حــركات الصلاة و أكررها وكذالك الآيات القرانيّه التي سانلوها و الادعيه الواجب قراءتها في الصلاة وبما أن معظم ما كنت سائلوه كان باللغة العربيّة فقـد لزمنـــي حفـظ النصوص بلفضها العربي وبمعانيها باللغة الانجليزيّة وتفحصـــت الكتيـــب ساعات عدّه قبل ان اجد في نفسي الثقة الكافيه لتجربة الصــــلاة الأولى وكان الوقت قد قارب منتصف الليل لذلك قررت أن اصلي صـــلاة العشاء ودخلت الحمام ووضعت الكتيب على طرف المغسلة مفتوحا علـــى الصـــفحه التي تشرح الوضوء وتتبعت التعليمات الواردة فيه خطوه خطـــوه بـــتان ودقـــه مثل طاه يجرب وصفه لأول مرّه في المطبخ وعندما انتهيـــت مـــن الوضوء أغلقت الصنبور وعدت إلى الغرفه والماء يقطر من اطرافـــي إذ تقـــول تعليمات الكتيب بأنه من المستحب إلا يجفف المتوضيء نفسه بعد الوضوء . ووقفت في منتصف الغرفه متوجها إلي ما كنت احسبه اتجـــاه القـــبله . نضـــرت إلى الخلف لاتاكد من أنني أغلقت باب شقتي ثم توجهـــت إلـــى الإمام واعتدلت في وقفتي وأخذت نفسا عميقا ثم رفعت يدي وبراحتين مفتوحتين ملامسا شحمتي الأذنين بإبهامي ثم بعد ذلك قلت بصوت خافـــت (الله اكبر) كنت أمل أن لا يسمعني أحد فقد كنت اشعر بشيء من الانفعـــال إذ لم استطع التخلص من قلقي من كون أحد يتجسس علي وفجئه أدركـــت إنني تركت الستائر مفتوحة و تسائلت ماذا لو راني أحد الجيران – تركت ما كنت فيه وتوجهت إلى النافذة ثم جلت بنضري في الخارج لا تأكد من عدم وجود أحد . وعندما رأيت الباحة الخلفيّة خاليه أحسست بالارتياح . فأغلقـــت الستائر وعدت إلى منتصف الغرفة ومرّة أخرى توجهت إلى القبلة واعتدلـــت في وقفتي ورفعت يدي إلى أن لامس الإبهامان شحمتي أذني ثم همســـت (الله و اكـــبر) وبصوت خافت لا يكاد يسمع قرأت فاتحة الكتاب بـــبطء وتلعثم ثم اتبعتها بسوره قصيرة باللغة العربية وان كنت اضن إن أي

عربـــي لـــم يكـــن ليفهم شيئا لو سمع تلأوتي تلك الليلة ثم بعد ذلك تلفضت بالتكبير مرّة أخرى بصوت خافت وانحنيت راكعا حتى صار ظهري متعامدا مـــع ساقي واضعا كفي على ركبتي وشعرت بالإحراج إذ لم انحن لأحد في حياتي ولذلك فقد سررت لأنني وحدي في الغرفة وبينما كنت ما أزال راكعا كررت عبارة (سبحان ربي العظيم) عدّة مرات ثم اعتدلت واقفا وأنا إقراء (ســمع الله لمـــن حمده) ثم (ربنا ولك الحمد) أحسست بقلبي يخفق بشدّه وتـــزايد انفعالـــي عندما كبرت مرة أخرى بخضوع فقد حان وقت السجود وتجمـــدت في مكاني بينما كنت أحدق في البقعة التي أمامي حيث كان علي أن اهوي إليها على أطرافي الأربعة واضع وجهي على الأرض . لم استطع إن أذل نفســـي بوضع انفي على الأرض شان العبد الذي يتذلل أمام سيده . لقد خيل إلى أن ساقي مقيدتان لا تقدران على الانثناء لقد أحسست بكثير من العـــار و الخـــزي وتخيلـــت ضـــحكات أصدقائي ومعارفي وقهقهاتهم وهم يراقبونني وأنا اجعل من نفسي مغفلا أمامهم وتخيلت كم ساكون مثيرا للشفقة والســـخرية بينهم وكدت اسمعهم يقولون (مسكين جفري فقد أصابه العرب بمـــس فـــي سان فرانسيسكو أليس كذلك) وأخذت أدعو (أرجوك أرجوك اعنـــي علـــى هذا) أخذت نفسا عميقا وأرغمت نفسي على النزول . الآن صـــرت على اربعتي ثم ترددت لحظات قليلة وبعد ذلك ضغط وجهي على السجادة أفرغت ذهني من كل الأفكار وتلفظت ثلاث مرات بعبارة (سبحان ربـــي الأعلـــى) (الله اكـــبر) قلتها ورفعت من السجود جالسا على عقبي وابقيـــت ذهنـــي فارغا رافضا السماح لأي شيء أن يصرف انتباهي (الله واكـــبر) ووضعت وجهي على الأرض مرة أخرى وبينما كان انفي يلامس الأرض رحـــت اكرر عبارة (سبحان ربي الأعلى) بصوره اليّه فقد كنت مصمما على إنهاء هذا الأمر مهما كلفني ذلك (الله واكبر) وانتصبت واقفا

فـيما قلـت لنفسـي لاتزال هناك ثلاث جولات أمامي وصارعت عواطفي وكبريائي في ما تبقى لي من الصلاة . لكن الأمر صار أهون في كل شوط حـتى إنني كنت في سكينه شبه كاملة في اخر سجده . ثم قرأت التشهد في الجلـوس الأخير واخيرا سلمت عن يميني وشمالي . وبينما بلغ بي الإعياء مبلغه بقيت جالسا على الأرض وأخذت أراجع المعركة التي مررت بها لقد أحسسـت بالإحـراج لأننـي عاركت نفسي كل ذلك العراك في سبيل أداء الصلاة إلى آخرها ودعوت براس منخفض خجلا (اغفر لي تكبري وغبائي فقـد أتيـت من مكان بعيد ولا يزال أمامي سبيل طويل لاقطعه) وفي تلك اللحظة شعرت بشيء لم أجربه من قبل ولذلك يصعب علي وصفه بالكلمات فقد اجتاحتني موجه لا أستطيع أن أصفها إلا بأنها كالبروده وبدا لي إنها تشع مـن نقطه ما في صدري وكانت موجة عارمة فوجئت بها في البداية حتى إننـي اذكر أنني كنت ارتعش غير أنها كانت اكثر من مجرد شعور جسدي فقـد أثرت في عواطفي بطريقه غريبة أيضا لقد بدا كان الرحمة قد تجسدت في صوره محسوسة وأخذت تغلفني وتتغلغل في ثم بدأت بالبكاء من غير أن اعـرف السبب فقد أخذت الدموع تنهمر على وجهي ووجدت نفسي انتحب بشده وكلما ازداد بكائي ازداد إحساسي بان قوه خارقة من اللطف و الرحمة تحتضنني ولم اكن ابكي بدافع من الشعور بالذنب رغم انه يجدر بي ذلك ولا بدافـع من الخزي أو السرور لقد بدا كان سدا قد انفتح مطلقا عنان مخزون عظيم من الخوف والغضب بداخلي . وبينما أنا اكتب هذه السطور لا يسعني إلا أن أتساءل عما لو كانت مغفرة الله عز وجل لا تتضمن مجرد العفو عن الذنـوب بل وكذلك الشفاء والسكينه أيضا ضللت لبعض الوقت جالسا على ركبتـي منحنـيا إلى الأرض منتحبا وراسي بين كفي . وعندما توقفت عن الـبكاء أخيرا كنت قد بلغت الغاية في الإرهاق فقد كانت تلك التجربة جارفه

وغير مالوفه إلى حد لم يسمح لي حينئذ إن ابحث عن تفسيرات عقلانيه لها وقـد رأيت حينها إن هذه التجربة اغرب من أن أستطيع أخبار أحد بها أما أهم ما أدركته في ذلك الوقت فهو إنني في حاجه ماسه إلى الله والى الصلاة وقـبل إن أقوم من مكاني دعوت بهذا الدعاء الأخير (اللهم إذا تجرأت على الكفـر بك مرة أخرى فاقتلني قبل ذلك خلصني من هذه الحياه ومن الصعب جدا أن احيا بكل ما عندي من النواقص والعيوب لكنني لا أستطيع أن أعيش يوما واحدا آخر وأنا أنكر وجودك)

القصة الرابعة : اصـغر طالـب ينال الماجستير في أمريكا ذهب لينـتحر فأصبح داعية قصة الطالب جيف الذي التحق بجامعة شهيرة حيث ولـج الطالب الأمريكي جيف على مدير الجامعة وقد دعاه ليهنئه بحصوله علـى درجـة الماجستير التي نالها بتقدير ممتاز مع درجة التفوق ودرجة الشـرف الأولى بل إن التهنئة كانت أيضا بسبب انه كان اصغر طالب في الولايات المتحدة الأمريكية ينال درجة الماجستير في ذلك التخصص وهذا إنجاز غير مسبوق بالنسبة للجامعة فكان عليها أن تفخر بالطالب جيف لانه حقـق إنجازا تاريخيا. وبعد انتهاء اللقاء والوعد بالاحتفال بجيف في حفل الـتخرج فـي نهايـة العـام الدراسي توجه جيف خارجا من مكتب مدير الجامعـة الذي لاحظ عليه الهم والحزن وعلى غير عادة الطلاب في مثل هـذه المناسـبات.. الذين يصيحون باللهجة الأمريكية: (ياهووو).. على طريقة الكأوبوي أو رعاة البقر الأمريكان أو يصرخون قائلين أولرايت) .. فتعجب المدير ولكنه لم يسأل ولم يستفسر عما بداخل جيف.. وفي الموعد المحدد لحفل التخرج حضر الطالب جيف بكامل أناقته مرتديا بزته الخاصة بالمناسبات ومرتديا روب التخرج واضعا قبعة التخرج الشهيرة واخذ مكانه المخصص لَه وسمع اسمه يتردد عبر مكبرات الصوت مصحوبة بعبارات

المدح والثناء التي انهالت عليه من الجميع لإنجازه الرائع ثم صعد المنصة الرئيسية ليتسلم شهادته وسط هتاف وتصفيق عائلته وأصدقائه ووسط الحضور الكثيف في مثل هذه المناسبات وما أن تسلم جيف الشهادة حتى انخرط في البكاء فأخذ مدير الجامعة يداعبه قائلا: -أنت تبكي فرحا من فرط سعادتك بهذا الموقف فرد عليه جيف: -لا فأنا ابكي من فرط تعاستي فتعجب مدير الجامعة وسأله: -لماذا يا بني ؟ فأنت يجب إن تكون سعيدا فرحا في هذا اليوم وفي هذه اللحظات بالذات فرد جيف: - لقد ظننت بأنني سأكون سعيدا بهذا الإنجاز ولكنني اشعر بأنني لم افعل شيئا من اجل إسعاد نفسي فأنا اشعر بتعاسة كبيرة فلا الشهادة ولا الدرجة العلمية ولا الاحتفال أسعدني ثم تناول جيف شهادته وانسحب من المكان بسرعة كبيرة وسط ذهول الجميع فهو لم يكمل الحفل ولم يبق ليتلقى التهاني من الأصدقاء والأقرباء.. ذهب جيف لمنزله و شهادته بين يديه يقلبها يمنة ويسرة ثم اخذ يخاطبها ماذا افعل بك؟ لقد أعطيتني مكانة تاريخية في جامعتي ومركزا مرموقا ووظيفة ستكون في انتظاري وأنظار الناس ووسائل الإعلام ستحوم حولي لما حققته من إنجاز ولكنك لم تعطني السعادة التي انشدها.. أريد أن أكون سعيدا في داخلي ليس كل شيء في هذه الدنيا شهادات ومناصب وأموال وشهرة هناك شيء آخر يجب أن يشعرنا بأن نكون سعداء .. لقد مللت النساء والخمر والرقص أريد شيئا يسعد نفسي وقلبي.. يا الهي ماذا افعل؟.. ومرت الأيام وجيف يزداد تعاسة فوق تعاسته فقرر أن يضع حدا ونهاية لحياته ففكر ثم فكر حتى وجد أن افضل طريقة ينهي بها حياته هي أن يلقي بنفسه من فوق الجسر الكبير الشهير الذي يطلق عليه الأمريكان اسما أصبح شهيراً في العالم كله وهو: (القولدن قيت) أو البوابة الذهبية الذي يتألق شامخا كمعلم حضاري أمريكي وكثيرا ما يشاهد وقد غطاه

الضـــباب ويعتـــبر هذا الجسر من أهم معالم أمريكا التقنية والعلمية. ذهب جـــيف يخطـــو نحو البوابة الذهبية وقبل إن يصل إليها كان هناك نفر من الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى ليقوموا بواجب الدعوة إلى الله من شباب المسلمين ذهبوا ليدرسوا في أمريكا وكانوا يسكنون قريبا من مدخل البوابة الذهبية في غرفة وكان همهم أيضا أن يدعون إلى الله سبحانه وتعالى همهم إن يدخـــل الـــناس فـــي دين الله.. همهم أن ينقذوا البشرية ويخرجوها من الظالمـــات إلى النور.. همهم ان يدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وان يكونوا مثالا ومثلا طيبا للمسلم الحقيقي فخرجوا في ذلك اليوم ليتجولوا فـــي الـــناس يدعونهـــم للدخول إلى الإسلام كانوا يرتدون الزي الإسلامي وكانـــت وجوههم مضيئة بنور الإيمان كانت جباههم تحمل النور من اثر السجود واثناء تجوالهم اليومي ذاك وعلى مقربة من مدخل البوابة الذهبية إذا هم بهذا الأمريكي المهموم كان الأمريكي هو الطالب جيف فإذا به ينظر متعجـــبا مندهشـــا فهو لم ير في حياته أناسا بهذا الزي ولا بهذه الهيئة ولا بذلـــك النور ولا بتلك الجاذبية التي جذبته إليهم فاقترب منهم ليتحدث معهم فقـــال لهم: –هل من الممكن أن أسألكم؟ فرد أحدهم: –نعم تفضل .. فقال جيف: –من انتم ولماذا ترتدون هذا الزي؟!. فرد عليه أحدهم قائلا: –نحن مـــن المســـلمين أرســـل الله إلينـــا النبي محمد ليخرجنا ويخرج الناس من الظالمـــات إلى النور وليجلب للبشر السعادة في الدنيا والآخرة ... وما أن ســـمع جـــيف كلمة (السعادة) حتى صاح فيهم : السعادة؟!.. أنا ابحث عن السعادة.. فهل أجدها لديكم؟!!.

فـــردوا علـــيه: –ديننا الإسلام دين السعادة دين كله خير فانصرف معـــنا لعل الله أن يهديك وتتذوق طعم السعادة فقال لهم إنني سأذهب معكم لاعرف إن كان لديكم السعادة التي انشد وهي السعادة الحقيقية .. لقد كنت

قـــبل قلـــيل سأنتحر كنت سأرمي بنفسي من فوق هذا الجسر واضع نهاية لحياتي لأنني لم أجد السعادة لا في المال ولا في الشهوات ولا في شهادتي التي تحصلت عليها فقالوا لَه: -تعال معنا نعلمك ديننا لعل الله ان يقذف في قلـــبك الإيمان ولذة العبادة فتتعرف على السعادة ولذتها فالله على كل شيء قديــــر.. انصرف جيف مع الشباب المسلم الشباب الداعي إلى الله ووصلوا الغرفة التي كانوا يقطنون والتي حولت إلى مصلى لهم ولمن أراد أن يتعبد الله فـــيها وعرضوا على جيف الإسلام وشرحوا لَه الإسلام ومزايا الإسلام ومحاســـن الإســـلام وعظمة الإسلام.. فقال: هذا دين حسن والله لن ابرح حـــتى ادخـــل فـــي دينكم فأعلن جيف بسلامه. وبادر أولئك الدعاة بتعليمه الإســـلام فأخذ جيف يمارس فرائض الإسلام فوجد ضالته وجد أن السعادة التـــي كان ينشدها هي حب الله وعبادته وحب رسوله وطاعتهما في الخير والبعد عن الشر لذلك زال قلقه وانشرح صدره وأحس بالأمل والمحبّه التي يمنحها الإيمان بالله عز وجل بل كان جيف سعيدا بأنه اصبح داعية إلى الله ســـبحانه وتعالى في أمريكا وابدل اسمه إلي (جعفر) وكما نعرف من كتب السير ان رسول الله ﷺ بشّر ابن عمه الصحابي الجليل جعفر بن أبى طالب ﷺ بـــأن يكـــون لَه جناحان يطير بهما في الجنة فقد كان جعفر الأمريكي يطـــير بجناحيـــن من الفرحة والسعادة لاعتناقه الدين الإسلامي فقد أوقف نفسه وحياته وماله وجهده في سبيل نشر الدين في أمريكا.

وها قد عرفنا قصة جعفر الذي وجد سعادته في دين الله وفي التمسك بتعالـــيم الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه محمد ﷺ فما بال كثير من المسلمين لايـــزالون يعتقدون بأنهم لن يجدوا سعادتهم إلا بالتشبه باليهود والنصارى مـــأكلا، وملبســـا، ومشـــربا ، ومركبا ، ومسكنا ، ومعشرا؟!!.. والله أن السعادة كل السعادة في أن يكون الإنسان مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله

، وبالـــيوم الآخـــر، وبالقدر خيره وشره. السعادة كل السعادة في أن يعمر قلب الإنسان بمحبة الله ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّه** ﴾(البقرة:١٦٥) والسعادة كل السعادة في طاعة رسول الله ومحبته و أن يكون الإنسان داعيا إلى الله ســبحانه وتعالى ، مشمرا، ومضحيا من اجل إخراج الناس من الظالمات إلى النور وهاديا يهديهم طريق الرشاد .السعادة كل السعادة في مناجاة الله في الثلث الأخير من الليل السعادة كل السعادة في أن تمسح على رأس يتيم ، وان تصل رحمك، وان تطعم الطعام وتفشي السلام وتصلي والناس نيام، الســعادة كل السعادة في أن تبر والديك ، وان تحسن لاقاربك وان تحسن لجـــارك ، وان تتبســم في وجه أخيك وان تتصدق بيمينك حتى لاتعلم بها شـــمالك.. هـــذه الســعادة في الدنيا فكيف بسعادة الآخرة.. لقد دخل جيف الإســـلام لأنـــه شـــاهد أولئك النفر المتمسكين بدينهم والداعين إلى الله في ارض غـــير المســـلمين .. والله لو أخلصنا النية والعزم لله سبحانه وتعالى واجـــتهدنا من اجل إيصال هذا الدين لوصل للعالم كله، لماذا ؟ لانه طريق الســـعادة و التطور و النجاح التي يحتاجها هذا العالم في هذه الحياة و بعد الممات .

۞ لا تحـــزن فإن المرض يزول، والمصاب يحول، والذنب يُغفر، والدَّيْـــن يُقضى، والمحبوس يُفك، والغائب يَقدم، والعاصي يتوب، والفقير يَغتني.

۞ لا تحـــزن ولا تراقب تصرفات الناس فإنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ولا ثواباً ولا عقاباً، ، وقديماً قيل : من راقب الناس مات همًّا.

۞ لا تحـــزن مـــا دمت تُحسن إلى الناس، فإنَّ الإحسان إلى الناس

طريق السعادة.

❁ لا تحــزن فــإن الحســنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها.

❁ لا تحــزن فإنــت مــن روَّاد التوحيد، وحملة الله، وأهل القبلة، وعندك أصل حب الله وحب رسوله ﷺ، فعندك خير وأنت لا تدري.

❁ لا تحــزن فأنــت على خير في ضرائك وسرائك وغناك وفقرك وشــدتك ورخائك " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله لَه خير وليس ذلك إلا للمؤمــن، إن أصابته سرَّاء فشكر كان خيراً لَه وإن إصابته ضرَّاء فصبر كان خيراً لَه ".

❁ لا تحــزن فإن هناك أسباباً تُسهِّل المصائب على المُصاب .من ذلك :

انــتظار الأجــر والمثوبة من عند الله " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب " .

رؤية المصابين من حولك .

إن المصيبة أسهل من غيرها .

أنها ليست في دين العبد .

إن الخــيره لله رب العالمين " وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .... "

❁ لا تحزن وعندك القرآن والذكر والدعاء والصلاة والصدقة وفعل المعروف والعمل النافع المثمر.

" رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي "

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾

هذه الآية الجميلة سوف تكون أولى الموضوعات التي سوف نتحدث عـنها، وهي: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيم ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِيَ صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾ صدق الله العظيم

بِسْــمِ اللهِ الرَّحْمَــنِ الرَّحِيمِ : هذه الآية في سورة طه ونحن نعلم أن سورة طه كلها حنان ومودة وعطف وعناية وحب من الحق سبحانه وتعالى للنبي ﷺ وهي تشتمل على قصة سيدنا موسى، تقول الآية الكريمة: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ ﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي** ﴾ إلى الآية ﴿ **إِنَّــكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا** ﴾، مع هذا الدعاء، كان الجواب من الكريم ﴿ **قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى** ﴾.

أيها الأحباب: شاء الله تعالى أن تكون البداية مع هذه الآية الكريمة، إن هــذا الــبرنامج لــم يكن دعاء، ولكن نحن أردنا أن نتفاءل بهذه الآية الكــريمة، أن نقــول ونحن ندعو ربنا: ﴿ **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي** ﴾، وإذا شـــرح الله الصدر، ويسر الأمر، وجعل اللسان سلسبيلاً، فكل ذلك بقدرته ﴿ **رَبِّ اشْــرَحْ لِي صَدْرِي** ﴾. كان دعاء موسى، وشرح الصدر يؤدى إلى الحالة النفسية السعيدة .

سر السعادة

س١: يقـــول الله فـــي كـــتابه العزيز ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِـــكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ هذه المعادلة الإيمانـــية للـــزواج والأســـرة السعيدة، وفيها سر السعادة، وهي معادلة بسيطة جداً، وهي السكن والمودة والرحمة، وأحيانا تتعرض هذه المعادلة لـــنقص في أطرافها مما يهدد سعادة الأسرة، واستقرارها، وتبدأ المشاكل والخلافات، وأحيانا تنتهي هذه المشاكل إلى هدم الأسرة، والطلاق نريد أن نـــتعرف علـــى كـــيانات الأسرة السعيدة، ومقوماتها، ثم نتعرض لكيفية معالجة الإسلام لهذه المشاكل والخلافات التي قد تعرض للأسرة؟

ج١: ســـوف تجـــد أنـــنا ننتقل من الدين إلى الدنيا أو إلى الأحوال الشخصية، وسوف نجد أن الإسلام يعطى اهتمام كبيرا بالأسرة أو بتكوين الـــنشء والأســـرة وتربتها. بعض الناس يظن أن الزوجة يجب أن تكون جميلة، ويجب أن يكون عندها رصيد كبير في البنك، أو والد غنى، أو ما إلى ذلك، وهناك مقاييس عند بعض الناس أو عند الشباب لاختيار الزوجة، وقـــد قـــال الرسول ﷺ "تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفـــر بذات الدين تربت يداك"، لا مانع أن تكون المرأة لها مال أو تكون لها جمال، بل ورد في الحديث الصحيح، يقول ﷺ: "انظر إليها فإنه أحرى أن يـــؤدم بينكما"، قد تكون مقبولة لك وغير مقبولة للآخرين؛ لأن الجمال الـــباهر ربمـــا يدفع المرأة إلى الغرور، وقد ورد في الحديث "لا تزوجوا النســـاء لمالهـــن فعســـى مالهن أن يطغيهن ولا تزوجوهن لجمالهن فعسى جمالهـــن أن يرديهـــن ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة سوداء ذات دين

أفضـــل". فهـــذا الكلام للنبي ﷺ يجعلنا ننظر إلى الأحاديث الشريفة كباقة جميلة ومتكاملة. فالقرآن الكريم ما عندما تحدث عن حقوق الزوجة، قال: أول الحقـــوق المهـــر والصـــداق، فقـــال القرآن الكريم: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَـــدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾، قـــال المفسرون: لم يقل: عقلاً؛ لأن الإنسان قد يضر المرأة فتفكر بعضهن أن تفـــتدى نفســـها أو أن تعطيه شيئا وتشترى رضاه، لكن إذا أحست أنها دخلـــت نفســـه بشيء من الصداق يعنى إنسان مرغوب فيه لذاته ﴿ **فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾ وضع القرآن الأصول، أن المرأة يجب أن تنال المهر، وهو الصداق، أي الصدق، قال تعالى (**صَدُقَاتِهِن**) وهو جمع "صداق"، والله سماه صـــداق أي دلـــيل الصـــدق، (**نِحْلَةً**) هبة وعطية طابت بها نفسه، ولأن الزوج في حاجة للتطوع، والمقاربة والهدية تطيب القلوب، أيضا النفقة لأن الـــزوج ينفق على زوجته. وهذه النفقة أوجبها الله على الرجل مهما كانت زوجته، غنية أو ذات مال أو ذات وظيفة، حتى تستقيم الحياة، قال تعالى : ﴿ **لِيُـــنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لاَ يُكَلِّـــفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ وهناك حقوق بيـــن الـــرجل والمـــرأة، وهي حسن العاشرة، قال تعالى : ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْـــرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِـــيرًا** ﴾ في بعض القرى والمدن، نجد فكرة سائدة، هي أنه يجب أن يقوم الـــزوج بذبح القطة، ويكون شديدا، وكثير مما يظنه بعض الناس أنه قطع الخيط الرفيع بين الزوج والزوجة، فلابد ألا نعيش على الأساطير أو على رمـــوز الجاهلـــية، أو غـــيرها، ولكـــن نعيش على القرآن (**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْـــرُوفِ**) أي أن فيها عشرة، أي أنك تحب المرأة وتحبك، والمعروف كلمـــة واســـعة، تشـــمل البسمة، والكلمة الطيبة والبعد أيضا عن إغضاب

المـــرأة. هـــناك بعـــض الناس يقوم بتسجيل كل أفعال وأخطاء المرأة مثل الكشـــكول والآلـــة الحاسبة، أي تجدهم يقولوا: في يوم كذا فعلت كذا... لا تكـــون هكـــذا، وقول النبي ﷺ : "لا يفرق مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضـــي منها آخر"، أي لا تقوم بتجسيم أمور زوجتك، ولا تكون كالجالس فـــي مطعم للطلبات، ينظر إلى الطلبات التي تنزل للآخرين؛ لأن زوجتك ربما تكون بها بعض الأخطاء :

كفـــى المرء نبلا أن تعد معايبه ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
إن أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفوا مشاربه
فعـــش وحـــدك أو صل أخاك فإنـــه مقارف ذنبا مرة ومجانبه

وذلـــك المعني في قلب الحديث الشريف الذي رواه البخاري، هو أن الرجل يتواضع ويقبل بعض الأخطاء من الزوجة، ولكن هناك كبائر يجب على الزوج ألا يقبل تلك الكبائر ولا يصبر عليها، إنما هناك صغائر يجب أن يصبر عليها الزوج. روى البخاري في الحديث الشريف عن النبي ﷺ "استوصـــوا بالنســـاء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلعها، فاستمتع بها وبها عـــوج واستوصـــوا بالنساء خيرا "، وهذا الحديث معناه ورد في التوراة، ولكـــن مـــن غـــير أي مســـبة للمرأة لأن في شكلها وتكوينها وأعصابها وعواطفهـــا لـــتكون أم، وتبقى٩ أشهر لحمل هذا الجنين، و٣٠ شهر على رضـــاعته وفصاله وتربيته، لابد أن تكون لها أعصاب معينة وجهد معين، ولذلـــك أمـــرنا الدين أن نتسامح في بعض الأخطاء التي يمكن أن تفعلها المرأة حتى تستقيم الحياة

علاج الهموم والأحزان

فإن من طبيعة الحياة الدنيا الهموم والغموم التي تصيب الإنسان فيها، فهي دار الشدة والضنك، ولهذا كان مما تميزت الجنة به عن الدنيا أنه ليس فـيها هم ولا غم " لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين"، وأهلها لا تتكدر خواطرهم ولا بكلمة " لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سـلاماً " وطبيعة الحياة الدنيا المعاناة والمقاساة التي يواجهها الإنسان في ظـروفه المختلفة وأحواله المتنوعة، كما دل عليه قول الحق تعالى : " لقد خلقـنا الإنسـان في كبد ". فهو حزين على ما مضى، مهموم بما يستقبل، مغموم في الحال.

والمكـروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماض أحدث الحزن، وإن كان من مستقبل أحدث الهم، وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم.

والقلـوب تتفأوت في الهم والغمّ كثرة واستمراراً بحسب ما فيها من الإيمـان أو الفسوق والعصيان فهي على قلبين : قلب هو عرش الرحمن، ففـيه الـنور والحياة والفرح والسرور والبهجة وذخائر الخير، وقلب هو عرش الشيطان فهناك الضيق والظلمة والموت والحزن والغم والهم . من فوائد ابن القيم.

والناس يتفأوتون في الهموم بتفأوت بواعثهم وأحوالهم وما يحمله كل واحد منهم من المسئوليات.

فمن الهموم هموم سامية، ذات دلالات طيبة، كهموم العالم في حلّ المعضلات التي يحتاج المسلمون فيها إلى جواب وخصوصا إذا استعصت

المســـألة واســـتغلقت، وكذلك همّ إمام المسلمين بمشكلات رعيته وهذا مما أقلـــق العمرين وغيرهما فكان الأول يجهّز الجيش في الصلاة وهو معذور في ذلك ويحمل همّ الدواب أن تعثر بأرض العراق، والثاني كان يعبّر عما يعانـــيه بقولـــه : إني أعالج أمرا لا يعين عليه إلا الله قد فني عليه الكبير وكـــبر علـــيه الصغير وفصح عليه الأعجمي وهاجر عليه الأعرابي حتى حسبوه دينا لا يرون الحقّ غيره.سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص : ٣٧

وكلما كان القرار أكثر تعلقاً بمصير المسلمين كان الهمّ أعظم ولذلك لمـــا أوكل إلى عبد الرحمن بن عوف اختيار خليفة المسلمين بعد عمر لم يكتحل بنوم ليشأور المسلمين حتى العجائز البخاري الفتح ٧٢٠٧.

ومن الهموم الشريفة :

هـــمّ الداعـــية في نشر الدين وحمل الرسالة والأخذ بيد المدعو إلى طـــريق الهداية، وهموم العابد في تصحيح عبادته في القصد والأداء، وهم المسلم بما يصيب إخوانه في أقطار الأرض..

ومن الهموم ما يكون ناشئاً عن المعاصي:

كـــالهموم التي تصيب المذنب بعد ذنبه كما يحدث في هم من أصاب دماً حراماً، أو هم الزانية بحملها.

ومن الغموم ما يكون بسبب ظلم الآخرين:

كظلم الأقرباء كما قال الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

وكذلك الغموم الحاصلة بسبب مصائب الدنيا:

كالأمــراض المزمــنة والخطيرة، وعقوق الأبناء وتسلط الزوجة، واعوجاج الزوج.

ومن الهموم ما يكون بسبب الخوف من المستقبل وما يخبئه الزمان:

كهمــوم الأب بذريته من بعده وخاصة إذا كانوا ضعفاء وليس لديه ما يخلفه لهم .

وهكذا تتنوع الغموم والهموم، وفيما يلي شيء من البيان والتفصيل :

الهم الذي يعتري الداعية أثناء دعوته لقومه:

وقــد نال منه الأنبياء النصيب الأوفى، فهذه عائشة رضى الله عنها تحــدث ابن أختها عروة (أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِــنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْــتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْــتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَــالَ إِنَّ اللَّــهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَــالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُــو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)

رواه البخاري الفتح ٣٢٣١

وكذلك أصابه الكرب ﷺ لما كذبه قومه في مسراه فروى مسلم رحمه الله تعــالى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ

وقُـريْشٌ تَسْأَلُني عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِبْـتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ) .. صحيح مسلم، ط. عبد الباقي، رقم ١٧٢

ومن الهموم هم العبادات:

فهذا رسول الله ﷺ يهمه أمر إعلام الناس بالصلاة : (فعَنْ أَبِي عُمَيْرِ بْـنِ أَنَسٍ عَنْ عُمُومَةٍ لَه مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ اهْتَمَّ النَّبِيُّ ﷺ للصَّلاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ الـنَّاسَ لَهَا فَقِيلَ لَه انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلاةِ فَإِذَا رَأَوهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ قَالَ فَذُكِرَ لَه الْقُنْعُ يَعْنِي الشَّبُّورَ وَقَالَ زِيَادٌ شَبُّورُ الْيَهُودِ فَلَـمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ وَقَالَ هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ قَالَ فَذُكِرَ لَه النَّاقُوسُ فَقَالَ هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَأُرِيَ الأَذَانَ فِي مَنَامِهِ قَالَ فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَه يَـا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الأَذَانَ...) رواه أبو دأود في سننه : كتاب الصلاة باب بدء الأذان .

ومنها همّ الصادق بتكذيبه:

كما وقع للصحابي الجليل زيد بن الأرقم ﷺ لما سمع رأس المنافقين يقول لأَصْحَابِهِ : (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ (يعني بالأعز نفسه، ويقصد بالأذل رسول الله ﷺومن معه)، قَالَ زَيْدٌ : فَأَخْبَرْتُ عَمِّي فَانْطَلَقَ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَلَفَ وَجَحَدَ قَـالَ فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وكَذَّبَنِي قَالَ فَجَاءَ عَمِّي إِلَيَّ فَقَالَ مَا أَرَدْتَ إِلا أَنْ مَقَـتَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وكَذَّبَكَ وَالْمُسْلِمُونَ قَالَ فَوَقَعَ عَلَيَّ مِنَ الْهَمِّ مَا لَمْ يَقَـعْ عَلَـى أَحَدٍ قَالَ فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ قَدْ خَفَقْتُ بِرَأْسِي مِنَ الْهَمِّ إِذْ أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي فَمَا

كَانَ يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الْخُلْدَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَحِقَنِي فَقَالَ مَا قَالَ لَكَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ مَا قَالَ لِي شَيْئًا إِلا أَنَّهُ عَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي فَقَــالَ أَبْشِــرْ ثُمَّ لَحِقَنِي عُمَرُ فَقُلْتُ لَه مِثْلَ قَوْلِي لأَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ) رواه الترمذي وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، السنن ط. شاكر رقم ٣٣١٣.

وفـــي رواية مسلم للقصة (قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَأَرْسَلَ إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ فَسَأَلَهُ فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ فَقَالَ كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَــالَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقِي (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ). صحيح مسلم رقم ٢٧٧٢

<u>ومنها هم البريء بسبب التهمة الباطلة :</u>

وقــد نالت زوجة رسولنا الكريم عائشة رضى الله عنها من هذا الهم نصيبا وافرا فعندما رماها المنافقون في غزوة المريسيع بما رموها به من الفاحشــة، وكانــت مريضــة، علمت بالخبر من إحدى نساء بيتها فازداد مرضــها، وركــبها الهم، (قَالَتْ فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ أولَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ حَتَّى أَصْــبَحْتُ أَبْكِي.. ثم قَالَتْ : فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِــنَوْمٍ قَالَتْ فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَلا يَــرْقَأُ لِي دَمْعٌ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي قَالَتْ فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي قَالَتْ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِــسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي قَالَــتْ فَتَشَــهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ

بَلَغَنِـــي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِـــنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لأَبِي أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُـــولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لأُمِّي أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ مَا أَدْرِي مَا أَقُـــولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُـــرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلاً إِلا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ قَالَ (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) قَالَـــتْ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّـــهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْـــيًا يُـــتْلَى وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى وَلَكِـــنْ كُنْـــتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَـــرَقِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ قَالَتْ فَلَمَّا سُرِّيَ عَـــنْ رَسُـــولِ اللَّهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَتْ أَولُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ فَقَالَتْ أُمِّي قُومِي إِلَيْهِ قَالَتْ فَقُلْتُ لا وَاللَّهِ لا أَقُـــومُ إِلَـــيْهِ وَلا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (**إِنَّ الَّذِينَ جَـــاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ**) الْعَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا). رواه البخاري الفتح رقم ٢٦٦١

وكذلـــك قصة المرأة التي اتُّهمت ظلماً وروت قصتها عَائِشَةُ رَضِي

اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (أَسْلَمَت امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ لِبَعْضِ الْعَرَبِ وَكَانَ لَهَا حِفْشٌ فِي الْمَسْــجِدِ قَالَتْ فَكَانَتْ تَأْتِينَا فَتَحَدَّثُ عِنْدَنَا فَإِذَا فَرَغَتْ مِنْ حَدِيثِهَا قَالَتْ وَيَوْمُ الْوِشَاحِ مِنْ تَعَاجِيبِ رَبِّنَا أَلا إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي فَلَمَّا أَكْثَرَتْ قَالَتْ لَهَا عَائِشَــةُ وَمَا يَوْمُ الْوِشَاحِ قَالَتْ خَرَجَتْ جُوَيْرِيَةٌ لِبَعْضِ أَهْلِي وَعَلَيْهَا وِشَاحٌ مِنْ أَدَمٍ فَسَقَطَ مِنْهَا فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِ الْحُدَيَّا وَهِيَ تَحْسِبُهُ لَحْمًا فَأَخَذَتْهُ فَاتَّهَمُونِي بِهِ فَعَذَّبُونِي حَتَّى بَلَغَ مِنْ أَمْرِي أَنَّهُمْ طَلَبُوا فِي قُبُلِي فَبَيْنَاهُمْ حَوْلِي وَأَنَا فِي كَرْبِــي إِذْ أَقْبَلَت الْحُدَيَّا حَتَّى وَازَتْ بِرُءُوسِنَا ثُمَّ أَلْقَتْهُ فَأَخَذُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ) . البخاري الفتح ٣٨٣٥

ومنها الهم بما قد يحصل للزوجة والذرية بعد الموت

عــن عَائِشَــةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (كَانَ يَقُولُ إِنَّ أَمْرَكُنَّ مِمَّا يُهِمُّنِي بَعْدِي وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إِلا الصَّابِرُونَ قَالَ ثُمَّ تَقُولُ عَائِشَةُ فَسَقَى اللَّهُ أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ تُرِيدُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَكَانَ قَدْ وَصَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَــالٍ يُقَــالُ بِيعَتْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفاً). رواه الــترمذي وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، سنن الترمذي رقم ٣٦٨٢ وحسنه في مشكاة المصابيح رقم ٦١٢١

ومــنها الهمّ بسبب الدَّيْن ومن أمثلة ذلك ما وقع للزبير ﷺ كما روى قصــته ولــده عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ (لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ دَعَانِي فَقُمْــتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ يَا بُنَيِّ إِنَّهُ لا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلا ظَالِمٌ أو مَظْلُومٌ وَإِنِّي لا أُرَانِــي إِلا سَأُقْتَلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِــنْ مَالِنَا شَيْئًا فَقَالَ يَا بُنَيِّ بِعْ مَالَنَا فَاقْضِ دَيْنِي وَأَوصَى بِالثُّلُثِ وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ ثُلُثُ الثُّلُثِ فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ قَالَ هِشَامٌ وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازَى بَعْــضَ بَنِي الزُّبَيْرِ خُبَيْبٌ وَعَبَّادٌ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ قَالَ عَبْدُ

اللَّـــه فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ يَا بُنَيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَعِنْ عَلَـيْهِ مَوْلايَ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلاكَ قَالَ اللَّـــهُ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلاَّ قُلْتُ يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَـنْهُ دَيْـنَهُ فَيَقْضِـيهِ.. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ.. (واستبعد بعض أصحاب الزبير ﷺ إمكان قضاء الدّين من هوله وكثرته ولكن بارك الله في أرض كانت للزبير بركة عظـيمة ومدهشـــة فقسّمت وبيعت وسُدّد الدّين وبقيت بقية) فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا قَالَ لا وَاللَّهِ لا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ أَلا مَنْ كَانَ لَه عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِه قَالَ فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ قَالَ فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ وَرَفَعَ الثُّلُثَ فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ). البخاري : الفتح رقم ٣١٢٩

ومنها الهم للرؤيا يراها المرء:

وقـد وقـــع ذلك للنبي ﷺ فقال : (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِخَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِـــعَ فِي كَفِّي سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَكَبُرَا عَلَيَّ فَأَوحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنِ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا فَأَوَّلْتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ). البخارى : الفتح رقم ٤٣٧٥ .

ووقـــع لابن عمر رضي الله عنهما همّ بسبب رؤيا رآها وقد حدثنا عن ذلك فقَالَ (كُنْتُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا لِي مَبِيتٌ إِلا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ وكَانَ النَّبِـــيُّ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ يَأْتُونَهُ فَيَقُصُّونَ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا قَالَ فَقُلْتُ مَا لِي لا أَرَى شَيْئًا فَرَأَيْتُ كَأَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ فَيُرْمَى بِهِمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ فِي رَكِيٍّ فَأُخِذْتُ فَلَمَّا دَنَا إِلى الْبِئْرِ قَالَ رَجُلٌ خُذُوا بِهِ ذَاتَ الْيَمِينِ فَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ هَمَّتْنِي رُؤْيَايَ وَأَشْفَقْتُ

مــنْهَا فَسَأَلْتُ حَفْصَةَ عَنْهَا فَقَالَتْ نِعْمَ مَا رَأَيْتَ فَقُلْتُ لَهَا سَلِي النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَتْهُ فَقَــالَ نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ خَالِدٍ عَنْ إِبْرَاهِــيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَــالَ ابْــنُ عُمَــرَ وَكُنْتُ إِذَا نِمْتُ لَمْ أَقُمْ حَتَّى أُصْبِحَ قَالَ نَافِعٌ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي اللَّيْلَ) . رواه الدارمي، كتاب الصلاة، باب النوم في المسجد .

وروى الــبخاري رحمــه الله تعــالى القصة عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عــنهما قَالَ (إِنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَــا شَــاءَ اللَّهُ وَأَنَا غُلامٌ حَدِيثُ السِّنِّ وَبَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ فَقُلْتُ فِي نَفْســي لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلاءِ فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْراً فَأَرِنِي رُؤْيَا فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقْبِلانِ بِي إِلى جَهَنَّمَ وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ فَقَــالَ لَنْ تُرَاعَ نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلاةَ فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ لَه قُرُونٌ كَقَرْنِ الْبِئْرِ بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ وَأَرَى فِيهَا رِجَالاً مُعَلَّقِينَ بِالسَّلاسِلِ رُؤوسُهُمْ أَسْــفَلَهُمْ عَرَفْــتُ فِــيهَا رِجَــالاً مِــنْ قُرَيْشٍ فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ عَــبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ نَافِعٌ فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلاةَ) . البخاري : الفتح رقم ٧٠٢٩ .

وفــي الشــريعة علاجــات للهمّ الحاصل بسبب المنامات والأحلام المقلقــة. ومــنها التفل عن الشمال ثلاثاً والاستعاذة بالله من الشيطان ثلاثاً

والاستعاذة بالله من شرّ ما رأى ثلاثاً وأن يغير الجنب الذي كان نائماً عليه أو يقوم يصلي ولا يحدّث برؤياه تلك أحداً من الناس.

علاج هموم الدنيا

وبعد هذا العرض لطائفة من أنواع هموم الدنيا فقد آن الأوان للحديث عن العلاج.

ولا شك أن العقيدة تؤثر في المعالجة، فترى كثيراً من الكفار وكذلك ضـعفاء الإيمان يُصابون بالانهيار أو يُقدمون على الانتحار للتخلص من الكآبـة والحـبوط واليأس إذا ما وقعوا في ورطة أو أصابتهم مصيبة وكم ملئت المستشفيات من مرضى الانهيارات العصبية والصدمات النفسية وكم أثـرت هذه الأمور على كثير من الأقوياء، فضلاً عن الضعفاء، وكم أدت إلى العجز التام أو فقدان العقل والجنون.

أما من اهتدى بهدي الإسلام فإنه يجد العلاج فيما أتى من لدن العليم الخبـير الـذي خلق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " .

فهلـم إلى استعراض شيء من أنواع العلاجات التي جاءت في هذه الشريعة :

أولاً : التسلّح بالإيمان المقرون بالعمل الصالح

قـال الله تعـالى: " مـن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون "

وسبب ذلك واضح، فإن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، معهم أصول وأسس يتعاملون بها مع كلّ ما يرد عليهم من أنواع المسرات والأحزان. فيتلقون النّعم والمسارّ بقبول لها، وشكر عليها، ويستعملونها فيما ينفع، فإذا فعلوا ذلك أحسوا ببهجتها وطمعوا في بقائها وبركتها ورجاء ثواب شكرها وغير ذلك من الأمور العظيمة التي تفوق بخيراتها وبركاتها تلك المسرات.

ويتلقون المكاره والمضار والهم والغم بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه، والصبر الجميل لما ليس لهم عنه بد، فيحصّلون منافع كثيرة من جراء حصول المكاره، ومن ذلك: المقاومات النافعة، والتجارب المفيدة، وقوة النفس، وأيضا الصبر واحتساب الأجر والثواب وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة، والطمع في فضل الله وثوابه، كما عبّر النبي ﷺ عن هذا المعنى في الحديث الصحيح بقوله : عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَه وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَه رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٩٩٩

وهكذا يكون النظر الإيجابي إلى الابتلاء، ومن ذلك :

ثانياً : <u>النظر فيما يحصل للمسلم من تكفير الذنوب وتمحيص القلب ورفع الدرجة، إذا أصابته غموم الدنيا وهمومها</u> :

قال رسول الله ﷺ : (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) رواه البخاري الفتح ٥٦٤٢

وفي رواية مسلم : (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلا نَصَبٍ وَلا سَقَمٍ

وَلا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ) صحيح مسلم رقم ٢٥٧٣

فليعلم المهموم أن ما يصيبه من الأذى النفسي نتيجة للهمّ لا يذهب سدى بل هو مفيد في تكثير حسناته وتكفير سيئاته، وأن يعلم المسلم أنه لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس كما ذكر بعض السلف ولذلك كان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

وإذا علم العبد أن ما يصيبه من المصائب يكفّر عنه سيئاته فرح واستبشر، وخصوصاً إذا عوجل بشيء بعد الذنب مباشرة كما وقع لبعض الصحابة رضي الله عنهم فيما رواه عَبْد اللَّهِ بْن مُغَفَّلٍ رضي الله عنه (أَنَّ رَجُلا لَقِيَ امْرَأَةً كَانَتْ بَغِيًّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَجَعَلَ يُلاعِبُهَا حَتَّى بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ مَهْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَهَبَ بِالشِّرْكِ وَقَالَ عَفَّانُ مَرَّةً ذَهَبَ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَجَاءَنَا بِالإِسْلامِ فَوَلَّى الرَّجُلُ فَأَصَابَ وَجْهَهُ الْحَائِطُ فَشَجَّهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ أَنْتَ عَبْدٌ أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْراً عَجَّلَ لَه عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرّاً أَمْسَكَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَفَّى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ عَيْرٌ) رواه أحمد رحمه الله المسند ٤/ ٨٧ والحاكم في المستدرك ٣٤٩/١ وفي إسناده الحسن عن عبد الله بن مغفل والحسن مدلس .

وقد عنعن ولكن روى صالح بن أحمد ببن حنبل قال : قال أبي : سمع الحسن من أنس بن مالك ومن ابن مغفل – يعني عبد الله بن مغفل – : كتاب المراسيل لابن أبي حاتم ص: ٤٥ باب ما يثبت للحسن البصري سماعه من أصحاب رسول الله ﷺ. وقال الذهبي رحمه الله : قال قائل : إنما أعرض أهل الصحيح عن كثير مما يقول فيه الحسن : عن فلان، وإن كان مما قد ثبت لقيُّه فيه لفلان المعين لأن الحسن معروف بالتدليس ويدلّس عن الضعفاء فيبقى في النفس من ذلك.. السير ٥٨٨/٤

وقـــال النبـــي ﷺ : (إن الله إذا أراد بعبد خيراً عجل لَه العقوبة في الدنـــيا، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه حتى يوافى يوم القيامة بذنبه) رواه الترمذي السنن رقم ٢٣٩٦ وهو في صحيح الجامع رقم ٣٠٨

ثالثاً : معرفة حقيقة الدنيا

فإذا علم المؤمن أن الدنيا فانية، ومتاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدّرة ولا تصفو لأحد. إن أضحكت قليلاً أبكت طويلاً، وإن أعطت يسيراً منعت كثيراً، والمؤمن فيها محبوس كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ) رواه مسلم رقم ٢٩٥٦ .

وهـــي كذلـــك نصب وأذى وشقاء وعناء ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقهـــا كمـــا جاء عن أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ (أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ قَالَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَـــا إِلَـــى رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) رواه البخاري : الفتح رقم ٦٥١٢ .

ومـــوت المؤمن راحة لَه من غموم دار الدنيا وهمومها وآلامها كما فـــي الحديـــث : (إِذَا حُضِـــرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَـــيَقُولُونَ اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلى رَوْحِ اللَّهِ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْـــبَانَ فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الأَرْضِ فَـــيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحاً بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلانٌ مَاذَا فَعَلَ فُلانٌ فَيَقُولُونَ دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا فَإِذَا قَالَ أَمَا أَتَاكُمْ قَالُوا ذُهِبَ بِهِ إِلى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ

مَلائِكَـــةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطاً عَلَيْكِ إلى عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الأَرْضِ فَيَقُولُونَ مَـــا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ) المجتبى من سنن النسائي رقم ١٨١٠ وصححه الألباني في صحيح النسائي ١٣٠٩

إن هذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا يهوّن عليه كثيراً من وقـــع المصـــاب وألـــم الغمّ ونكد الهمّ لأنه يعلم أنه أمر لا بدّ منه فهو من طبيعة هذه الحياة الدنيا.

رابعاً : ابتغاء الأسوة بالرسل والصالحين واتخاذهم مثلاً وقدوة

وهـــم أشد الناس بلاءً في الدنيا، والمرء يبتلى على قدر دينه، والله إذا أحب عبداً ابتلاه وقد سأل سعد ﷺ النبي ﷺ فقَالَ : (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَـــدُّ بَلاءً قَالَ الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَـــانَ دِينُهُ صُلْباً اشْتَدَّ بَلاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَـــبْرَحُ الْـــبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) رواه الـــترمذي وقَـــالَ : هَـــذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، السنن : رقم ٢٣٩٨ . وهو في صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ١٩٥٦ .

خامساً : أن يجعل العبد الآخرة همه

لكي يجمع الله لَه شمله لما رواه أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ كَانَت الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَه شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِـــيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَت الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَه) رواه الترمذي رقم ٢٣٨٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٥١٠ .

سادساً : علاج مفيد ومدهش وهو ذكر الموت

لقوله ﷺ : (أكثروا ذكر هادم اللذات : الموت فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولا ذكره في سعة إلا ضيّقها عليه) رواه البزار عن أنس وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم ١٢١١ وصححه كذلك في إرواء الغليل رقم ٦٨٢ .

سابعاً : دعاء الله تعالى

وهذا نافع جداً ومنه ما هو وقاية ومنه ما هو علاج، فأما الوقاية فإن على المسلم أن يلجأ إلى الله تعالى ويدعوه متضرعاً إليه بأن يعيذه من الهموم ويباعد بينه وبينها، كما كان يفعل النبي ﷺ ؛ فقد أخبرنا خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه عن حاله معه بقوله: (كنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل فكنت أسمعه كثيراً يقول :(**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**) رواه البخاري الفتح رقم ٢٨٩٣

﴿﴾ **وهذا الدعاء مفيد لدفع الهم قبل وقوعه والدفع أسهل من الرفع.**

ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور استعمال هذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) رواه مسلم رقم ٢٧٢٠.

فإذا وقع الهم وألمّ بالمرء، فباب الدعاء مفتوح غير مغلق، والكريم عز وجل إن طُرق بابه وسُئل أعطى وأجاب.. يقول جلّ وعلا : " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون " .

ومــن أعظــم الأدعية في إذهاب الهمّ والغم والإتيان بعده بالفرج : الدعــاء العظــيم المشــهور الذي حثّ النبي ﷺ كلّ من سمعه أن يتعلّمه ويحفظه :

قَــالَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ (مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَو عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَو أَنْزَلْتَهُ فِي كِــتَابِكَ أَو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَــدْرِي وَجِلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَــرَجا قَــالَ فَقِــيلَ يَــا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا) رواه الإمام أحمد في المسند ١/٣٩١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ١٩٨

هذا الحديث العظيم الذي يتضمن اعتراف العبد أنه مملوك لله وأنه لا غــنى لَــه عــنه ولــيس لَه سيد سواه والتزام بعبوديته وإعلان الخضوع والامتــثال لأمــره ونهيه، وأن الله يصرّفه ويتحكّم فيه كيف يشاء وإذعان لحكــم الله ورضـــى بقضائه وتوسل إلى الله بجميع أسمائه قاطبة ثم سؤال المطلوب ونشدان المرغوب .

أدعية الهم والغم والكرب

وقد ورد في السنّة النبوية أدعية أخرى بشأن الغم والهم والكرب ومنها :

(عَـنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ لا إِلَهَ إِلا اللَّـهُ الْعَظِـيمُ الْحَلِيمُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) رواه البخاري، الفتح رقم ٦٣٤٦

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر قال : (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) الترمذي رقم ٣٥٢٤ وحسنه في صحيح الجامع ٤٦٥٣

(عَـنْ أَسْـمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أو فِي الْكَرْبِ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. رواه أبو دأود كتاب الصلاة : باب في الاستغفار) وهو في صحيح الجامع ٢٦٢٠

ومـن الأدعـية النافعة في هذا الباب أيضا ما علمناه رسول الله ﷺ بقوله : (دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلا تَكِلْنِي إِلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْـنٍ وَأَصْـلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ) رواه أبوداود في كتاب الأدب رقم ٥٠٩٠.وحسنه في صحيح الجامع ٣٣٨٨ وفي صحيح سنن أبي دأود رقم ٤٢٤٦.

فـإذا لهج العبد بهذه الأدعية بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده في تحصيل أسباب الإجابة، حقق الله لَه ما دعاه ورجاه وعمل لَه، وانقلب همه فرحاً وسروراً.

ثامناً : الصلاة على النبي ﷺ

وهي من أعظم ما يفرج الله به الهموم :

(روى الطُّفَيْلُ بْنُ أُبَيِّ بْنُ كَعْب عَنْ أَبِيه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فيه جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فيه قَالَ أُبَيٌّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ منْ صَلاتي فَقَالَ مَا شئْتَ قَالَ قُلْتُ الرُّبُعَ قَالَ مَا شئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ النِّصْفَ قَالَ مَا شئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قَالَ قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ قَالَ مَا شئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاتي كُلَّهَا قَالَ إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)

رواه الترمذي وقَالَ : هَذَا حَديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. السنن رقم ٢٤٥٧/وحسنه الألباني في المشكاة ٩٢٩

تاسعاً : التوكل على الله عز وجل وتفويض الأمر إليه

" فمن علم أن الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير. وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه وأنه أعلم بمصلحة العبد من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه وأنصح للعبد لنفسه وأرحم به منه بنفسه، وأبرّ به منه بنفسه. وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر. له التصرف في عبده بما شاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه، فاستراح حينئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات. وحمل كل حوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملها ولا يثقله ولا يكترث بها. فتولاها دونه وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من

العـبد ولا نصب، ولا اهتمام منه، لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه وجعله وحده همه. فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه، وفرغ قلبه منها، فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه.

وأما من أبى إلا تدبيره لنفسه واختياره لها واهتمامه بحظه دون حق ربـه، خلاه وما اختاره وولاه ما تولى فحضره الهم والغم والحزن والنكد والخـوف والتعـب، وكسف البال وسوء الحال، فلا قلب يصفو، ولا عمل يزكو، ولا أمل يحصل، ولا راحة يفوز بها، ولا لذة يتهنى بها، بل قد حيل بينه وبين مسرته وفرحه وقرة عينه . فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش ولا يظفر منها بأمل ولا يتزود منها لمعاد. الفوائد لابن القيم ص : ٢٠٩

" ومـتى اعـتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشـراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، والمعافى من عافاه الله ووفقه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة المقوية للقلب، الدافعة لقلقه، قال تعالى " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " أي كافيه جميع ما يهمه من أمر دينه ودنياه

فالمـتوكل علـى الله قـوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحـوادث لعلمـه أن ذلك من ضعف النفس ومن الخور والخوف الذي لا حقـيقة لـه، ويعلم مع ذلك أن الله قد تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة، فيـثق بالله ويطمئن لوعده، فيزول همه وقلقه، ويتبدل عسره يسرا، وترحه فرحا، وخوفه أمنا فنسأله تعالى العافية وأن يتفضل علينا بقوة القلب وثباته بالـتوكل الكامل الذي تكفل الله لأهله بكل خير، ودفع كل مكروه وضير. "

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة : ابن سعدي

عاشراً : ومما يدفع الهم والقلق الحرص على ما ينفع واجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وعن الحزن على الوقت الماضي

ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن، فالحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها والهم الذي يحدث بسببه الخوف من المستقبل، فيكون العبد ابن يومه، يجمع جده واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإن جمع القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، ويتسلى به العبد عن الهم والحزن والنبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء فهو يحث مع الاستعانة بالله والطمع في فضله على الجد والاجتهاد في التحقق لحصول ما يدعو لدفعه لأن الدعاء مقارن للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده. ويستعينه على ذلك كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) رواه مسلم ٢٦٦٤.

فجمع ﷺ بين الأمر بالحرص على الأمور النافعة في كل حال والاستعانة بالله وعدم الانقياد للعجز الذي هو الكسل الضار وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة، ومشاهدة قضاء الله وقدره وجعل الأمور قسمين : قسماً يمكن للعبد السعي في تحصيله أو تحصيل ما يمكن منه، أو دفعه أو تخفيفه فهذا يبدي فيه العبد مجهوده ويستعين بمعبوده. وقسماً لا يمكن فيه ذلك، فهذا يطمئن له العبد ويرضى ويسلم، ولا ريب أن مراعاة هذا الأصل سبب للسرور وزوال الهم والغم. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة : ابن سعدي

والحديث المذكور يدلّ على السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفـــي تحصـــيل الأسباب الجالبة للسرور وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكر فيها وكذلك يجاهد قلـــبه عـــن قلقه لما يستقبله، مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته . فيعلم أن الأمور المستقبلة مجهول مـــا يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العـــباد مـــنها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك صلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه.

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة : ابن سعدي

الحادي عشر : ومـــن أكـــبر الأســـباب لانشراح الصدر وطمأنينته الإكثار من ذكر الله

فـــإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه، قال الله تعالى ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾(الرعد:٢٨) .

وأعظم الأذكار لعلاج الهمّ العظيم الحاصل عند نزول الموت : **لا إله إلا الله**

وذلك لما حدّث به طلحة عمر ﷺ فال (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ كَلِمَةٌ لا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِه إلا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا إلا الْقُدْرَةُ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ فَقَالَ لَه عُمَرُ ﷺ إِنِّي لأَعْلَمُهَا فَقَالَ لَه طَلْحَةُ وَمَا هِيَ فَقَالَ لَه عُمَرُ ﷺ هَلْ تَعْلَمُ كَلِمَةً هِيَ أَعْظَمَ مِنْ كَلِمَةٍ أَمَرَ بِهَا عَمَّهُ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ فَقَالَ طَلْحَةُ هِيَ وَاللَّهِ هِيَ) رواه أحمد ١٦١/١

الثاني عشر: اللجوء إلى الصلاة .

قـــال الله تعـــالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾(البقرة:٤٥) (وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى) رواه أبو داود كتاب الصلاة باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل وحسنه في صحيح الجامع رقم ٤٧٠٣

الثالث عشر : ومما يفرج الهم أيضا الجهاد في سبيل الله

كما قال عليه الصلاة والسلام : (عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَـــالى فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ) رواه أحمد عن أبـــي أمامة عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنهما ٥/ ٣١٩ وصححه في صحيح الجامع ٤٠٦٣ وعزاه السيوطي للطبراني في الأوسط عن أبي أمامة.

الرابع عشر : التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة

فـــإن معرفتها والتحدث بها يدفع الهم والغم، ويحث العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها حتى ولو كان العبد في حالة فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا . فإنه إذا قابل بين نعم الله عليه التي لا تحصى ولا تعـدّ وبيـــن ما أصابه من مكروه، لم يكن للمكروه إلى النعم نسبة، بل المكـــروه والمصـــائب إذا ابـــتلى الله بها العبد، وأدى فيها وظيفة الصبر والرضى والتسليم، هانت وطأتها، وخفت مؤنتها، وكان تأميل العبد لأجرها وثوابها والتعبد لله بالقيام بوظيفة الصبر والرضا، يدع الأشياء المرة حلوة فتنسيه حلأوة أجرها مرارة صبرها.

ومـــن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْظُرُوا إِلـــى مَـــنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا

تَــزْدَرُوا نِعْمَــةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) رواه الــترمذي في سننه رقم ٢٥١٣ وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وهو في صحيح الجامع ١٥٠٧

فــإن العبد إذا نصب بين عينيه هذا الملحظ الجليل، رأى نفسه يفوق قطعاً كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها .

وكلمــا طــال تــأمل العــبد فــي نعم الله الظاهرة والباطنة، الدينية والدنــيوية، رأى ربه قد أعطاه خيراً كثيراً ودفع عنه شروراً متعددة، ولا شك أن هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجب الفرح والسرور. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة : ابن سعدي

الخــامس عشر : الانشــغال بعمــل مــن الأعمال أو علم من العلوم النافعة

فإنهــا تلهــي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه . وربما نسي بســبب ذلــك الأســباب التي أوجبت له الهم والغم، ففرحت نفسه، وازداد نشــاطه، وهــذا السبب أيضا مشترك بين المؤمن وغيره . ولكن المؤمن يمــتاز بإيمانـــه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلمه أو يعلمـــه، ويعمل الخير الذي يعمله، إن كان عبادة فهو عبادة وإن كان شغله دنــيوياً أو عادة دنيوية أصحبها النية الصالحة، وقصد الاستعانة بذلك على طاعــة الله، فلذلك أثره الفعال في دفع الهموم والغموم والأحزان، فكم من إنســان ابتلي بالقلق وملازمة الأكدار، فحلت به الأمراض المتنوعة فصار دواءه الناجح : نسيانه السبب الذي كدره وأقلقه، واشتغاله بعمل من مهماته.

وينبغي أن يكون الشغل الذي يشتغل فيه مما تأنس به النفس وتشتاقه؛

فـــإن هـــذا أدعى لحصول هذا المقصود النافع والله أعلم. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة : ابن سعدي .

السادس عشر : الـــنظر إلى الجوانب الإيجابية للأحداث التي يظهر منها بعض ما يُكره

(عَـــنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ) رواه مسلم ١٤٦٩.

ومن فوائد هذا الحديث : زوال الهم والقلق وبقاء الصفاء، والمدأومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة وحصول الراحة بين الطرفين، ومن لـــم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي ﷺ بل عكس القضية فلحظ المسأوىء، وعمـــي عـــن المحاسن، فلا بد أن يقلق، ولابد أن يتكدر ما بينه وبين من يتصـــل بـــه مـــن المحـــبة، ويخلّ بكثير من الحقوق التي على كل منهما المحافظة عليها. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة : ابن سعدي

السابع عشر : معـــرفة القـــيمة الحقيقية للحياة وأنها قصيرة وأنّ الوقت أغلى من أن يذهب في الهمّ والغمّ

فالعاقل يعلم أن حياته الصحيحة حياة السعادة والطمأنينة وأنها قصيرة جداً، فلا ينبغي لَه أن يقصرها بالهم والاسترسال مع الأكدار فإن ذلك ضد الحـــياة الصحيحة، فيشح بحياته أن يذهب كثير منها نهباً للهموم والأكدار ولا فـــرق فـــي هـــذا بين البر والفاجر، ولكن المؤمن لَه من التحقق بهذا الوصف الحظ الأوفر، والنصيب النافع العاجل والآجل . وينبغي أيضا إذا أصابه مكروه أو خاف منه أن يقارن بين النعم الحاصلة لَه دينية أو دنيوية. وبين ما أصابه من مكروه فعند المقارنة يتضح كثرة ما هو فيه من النعم، واضـــمحلال ما أصابه من المكاره وكذلك يقارن بين ما يخافه من حدوث

ضـــرر عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السلامة منها فلا يدع الاحتمال الضعيف يغلب الاحتمالات الكثيرة القوية وبذلك يزول همه وخوفه، ويقدر أعـــم ما يكون من الاحتمالات التي يمكن أن تصيبه، فيوطن نفسه لحدوثها إن حدثت، ويسعى في دفع ما لم يقع منها وفي رفع ما وقع أو تخفيفه.

جعـــل الأمور النافعة نصب عينيك واعمل على تحقيقها، ولا تلتفت إلـــى الأمور الضارة لتلهو بذلك عن الأسباب الجالبة للهم والحزن واستعن بالـــراحة وإجمـــاع الـــنفس علـــى الأعمال المهمة. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة: ابن سعدي

<u>الثامن عشر : ومـــن الأمـــور النافعة عدم السماح بتراكم الأعمال والواجبات</u>

وذلك بحسمها في الحال والتفرغ للمستقبل، لأن الأعمال إذا لم تُحسم اجتمع عليك بقية الأعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة، فتشتد وطأتها، فإذا حسمت كل شيء في وقته تفرّغت للأمور المستقبلة بقوة تفكير وقوة عمل.

وينبغي أن تتخير من الأعمال النافعة الأهم، فالأهم وميز بين ما تميل نفســك إلـــيه وتشـــتد رغبتك فيه، فإن ضده يحدث السآمة والملل والكدر، واستعن على ذلك بالفكر الصحيح والمشأورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريد فعله درساً دقيقاً، فإذا تحققت المصلحة وعزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين الوسائل المفيدة للحياة السعيدة : ابن سعدي، بتصرف.

التاسع عشر : التوقع المستمر والاستعداد النفسي لجميع الاحتمالات

فـإن الإنســان إذا استحضر في نفسه فقد عزيز أو مرض قريب أو وقوعــاً في دين أو قهر عدو أو أي احتمال سيئ مما لم يحدث بعد – مع اســتعاذته بــالله من ذلك ورجاء السلامة – فإنه لو وقع له شيء من ذلك حقيقة سيكون أهون عليه وأخف وطأة لتوقعه المسبق.

وممــا ينبغــي التنــبّه لَه أن كثيراً من الناس من ذوي الهمم العالية يوطنون أنفسهم عند وقوع الكوارث والمزعجات على الصبر والطمأنينة . لكــن عند الأمور التافهة البسيطة يقلقون، ويتكدر الصفاء، والسبب في هذا أنهــم وطــنوا نفوســهم عند الأمور الكبار، وتركوها عند الأمور الصغار فضــرتهم وأثــرت في راحتهم فالحازم يوطن نفسه على الأمور الصغيرة والكبــيرة ويسأل الله الإعانة عليها، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين فعند ذلك يسهل عليه الصغير، كما سهل عليه الكبير ويبقى مطمئن النفس ساكن القلب مستريحاً.

العشرين : ومــن العلاجــات أيضــا الشكوى إلى أهل العلم والدين وطلب النصح والمشورة منهم

فــإن نصائحهم وآراءهم من أعظم المثبتات في المصائب. وقد شكى الصحابة لرسول الله ﷺ ما كانوا يلقون من تعذيب...

فهــذا خَبَّاب بْن الأَرَتِّ ﷺ يقول : (شَكَوْنَا إِلى رَسُولِ اللَّه ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَه فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَه أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ كَــانَ الــرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَه فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيه فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَــعُ عَلَى رَأْسِه فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيــدِ مَــا دُونَ لَحْمِه مِنْ عَظْمٍ أو عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه وَاللَّه

لَيُتِمَّــنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ أو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ) البخاري الفتح ٣٦١٢

وكذلك شكى التابعون إلى صحابة رسول الله ﷺ .

يقول الزبير بن عدي : (أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِك فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ) رواه البخاري الفتح رقم ٧٠٦٨

فيســمع المســلم مــن أهل العلم والقدوة ما يسليه ويخفف عنه آلام غمومه وهمومه.

ومــن هذا الباب أيضا : اللجوء إلى إخوان الصدق والأقرباء العقلاء والأزواج والــزوجات الأوفــياء والوفيات فهذه فاطمة رضى الله عنها لمّا أصــابها الهــمّ شكت إلى زوجها عليّ ﷺ كما روى القصة (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى فَاطِمَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا فَوَجَدَ عَلَــى بَابِهَا سِتْراً فَلَمْ يَدْخُلْ قَالَ وَقَلَّمَا كَانَ يَدْخُلُ إِلا بَدَأَ بِهَا فَجَاءَ عَلِيٌّ ﷺ فَرَآهَا مُهْتَمَّةً فَقَالَ مَا لَك قَالَتْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيَّ فَلَمْ يَدْخُلْ فَأَتَاهُ عَلِيٌّ رَضِي اللَّه عَنْه فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ فَاطِمَةَ اشْتَدَّ عَلَيْهَا أَنَّكَ جِئْتَهَا فَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا قَــالَ وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا وَمَا أَنَا وَالرَّقْمَ (أي النقش والرسم) فَذَهَبَ إِلى فَاطِمَةَ فَأَخْــبَرَهَا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَتْ قُلْ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ قَالَ قُــلْ لَهَــا فَلْتُرْسِــلْ بِــهِ إِلى بَنِي فُلانٍ [وَكَانَ سِتْراً مَوْشِيّاً] (أي مزخرفاً منقوشاً) رواه أبو داود كتاب اللباس باب في اتخاذ الستور وهو في صحيح أبي داود ٣٤٩٦.

<u>الحادي والعشرون : أن يعلــم المهمــوم والمغموم أن بعد العسر يسراً، وأن بعد الضيق فرجاً</u>

فليحسن الظن بالله فإنه جاعل لَه فرجاً ومخرجاً .

وكلما استحكم الضيق وازدادت الكربة قرب الفرج والمخرج .

وقــد قال الله تعالى في سورة الشرح ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَـــعَ الْعُسْرِ يُسْراً** ﴾(الشـرح:٥-٦) فذكر عسراً واحداً ويسرين فالعسر المقترن بـــأل في الآية الأولى هو العسر في الآية الثانية أما اليسر في الآية الثانية فهو يسر آخر غير الذي في الآية الأولى.

وقال النبي ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما (النَّصْرَ مَعَ الصَّـــبْرِ وَأَنَّ الْفَـــرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) رواه أحمد ٢٩٣/١ السلسلة الصحيحة ٢٣٨٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع برواية الخرائطي عن أنس بلفظ رقم ٦٨٠٦

<u>الثاني والعشرون : ومن علاجات الهموم ما يكون بالأطعمة</u>

فقد روى البخاري رحمه الله (عن عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَأْمُـــرُ بِالتَّلْبِيـــنِ لِلْمَرِيضِ وَلِلْمَحْزُونِ عَلَى الْهَالِكِ وَكَانَتْ تَقُولُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ) الفتح رقم ٥٦٨٩

وروى رحمـــه الله أيضا (عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَـــاتَ الْمَيِّـــتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ كُلْـــنَ مِـــنْهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ) الفتح ٥١٤٧

والتلبيـــنة : هـــي حســـاء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيه عسل وسميت تلبينة لشبهها باللبن، وهي تطبخ من الشعير مطحوناً .

ومعنى مُجِمَّة : أي تريح وتنشط وتزيل الهمّ .

وروى أحمد رحمه الله (عنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قِيلَ لَه إِنَّ فُلانًا وَجِعٌ لا يَطْعَمُ الطَّعَامَ قَالَ عَلَيْكُمْ بِالتَّلْبِينَةِ فَحَسُّوهُ إِيَّاهَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَغْسِلُ بَطْنَ أَحَدِكُمْ كَمَا يَغْسِلُ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ مِنَ الْوَسَخِ رواه احمد ١٥٢/٦ .

ورواه الــترمذي (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَخَذَ أَهْلَهُ الْوَعَــكُ أَمَرَ بِالْحِسَاءِ فَصُنِعَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ فَحَسَوْا مِنْهُ وَكَانَ يَقُولُ إِنَّهُ لَيَرْتُقُ) (وفــي روايــة أحمد وابن ماجة : ليرتو) (فُؤَادَ الْحَزِينِ وَيَسْرُو عَنْ فُؤَادِ السَّــقِيمِ كَمَــا تَسْرُو إِحْدَاكُنَّ الْوَسَخَ بِالْمَاءِ عَنْ وَجْهِهَا) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ : السنن رقم ٢٠٣٩

ويرتو أو يرتق : أي يشدّ ويقوي، ويسرو: أي يكشف

وهذا الأمر – وإن استغربه بعض الناس – هو حق وصدق ما دام قد ثبــت مــن طريق الوحي عن المعصوم ﷺ، والله خلق الأطعمة وهو أعلم بخصائصــها وبالتالي فإن حساء الشعير المذكور هو من الأغذية المفرحة، والله اعلم . يُراجع زاد المعاد لابن القيم رحمه الله ١٢٠/٥.

أما عن طريقة طبخه لمريض الجسد ومحزون القلب فيقول ابن حجر رحمه الله : ولعل اللائق بالمريض ماء الشعير إذا طبخ صحيحاً وبالحزين ماؤه إذا طبخ مطحوناً والله أعلم انظر فتح الباري ١٤٧.

وقد لخص ابن القيم هذه الأدوية والعلاجات في خمسة عشر نوعاً من الدواء يذهب الله بها الهم والحزن وهي :

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الإلهية.

الثالث: التوحيد العلمي الاعتقادي (وهو توحيد الأسماء والصفات).

الرابع : تنزيه الرب تعالى عن أن يظلم عبده، أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك .

الخامس: اعتراف العبد بأنه هو الظالم.

الســـادس : التوســل إلـــى الرب تعالى بأحب الأشياء، وهو أسماؤه وصفاته، ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات : الحي القيوم.

السابع : الاستعانة به وحده .

الثامن : إقرار العبد لَه بالرجاء .

التاســـع : تحقــيق الــتوكل عليه، والتفويض إليه، والاعتراف لَه بأن ناصيته في يده، يصرفه كيف يشاء، وأنه ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه .

العاشـــر: أن يرتع قلبه في رياض القرآن، ويتعزى به عن كل مصيبة، ويستشفي به من أدواء صدره، فيكون جلاء حزنه، وشفاء همه وغمه .

الحادي عشر : الاستغفار.

الثاني عشر : التوبة.

الثالث عشر : الجهاد.

الرابع عشر : الصلاة.

الخامس عشر : البراءة من الحول والقوة وتفويضهما إلى من هما بيده.

نسأل الله تعالى أن يعافينا من الهموم وأن يفرج عنا الكروب ويزيل عنا الغموم إنه هو السميع المجيب، وهو الحي القيوم.

وبعد ذكر هذه الطائفة من أنواع هموم الدنيا وعلاجها يجدر التذكير بأن هموم الآخرة أعظم وغمومها وكروبها أشدّ، ومن أمثلة ذلك ما يُصيب الـــناس فـــي أرض المحشر فقد روى البخاري رحمه الله تعالى (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ.. أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأولينَ وَالآخرينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَـــنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ وَلا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ).. رواه البخاري الفتح ٤٧١٢

ولا عـــلاج لغمـــوم وكربات ذلك اليوم إلا بالإقبال على الله في هذا اليوم .انظر رسالة علاج الهموم للمنجد بتصرف

لا تغـضب

يقول شريف كمال عزب : ثبت علميا أن الغضب كصورة من صور الانفعـال النفسـي يؤثـر على قلب الشخص الذي يغضب تأثيرا العدو أو الجـري علـى القلب وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضاته في الدقيقة الواحدة فيضاعف بذلك كمية الدماء التي يدفعها القلب أو التي تخرج مـنه إلى الأوعية الدموية مع كل واحدة من هذه الانقباضات أو النبضات وهـذا بالتالي يجهد القلب لأنه يقسره على زيادة عمله عن معدلات العمل الـذي يفـترض أن يؤديه بصفة عادية أو ظروف معينة إلا أن العدو أو الجـري في إجهاده للقلب لا يستمر طويلا لأن المرء يمكن أن يتوقف عن الجـري إن هـو أراد ذلك إما في الغضب فلا يستطيع الإنسان أن يسيطر علـى غضبه لا سيما وإن كان قد اعتاد على عدم التحكم في مشاعره وقد لوحـظ أن الإنسـان الذي اعتاد على الغضب يصاب بارتفاع ضغط الدم ويـزيد عـن معدلـه الطبيعى حيث إن قلبه يضطر إلى أن يدفع كمية من الدماء الزائدة عن المعتاد المطلوب كما أن شرايينه الدقيقة تتصلب جدرانها وتفقـد مرونـتها وقدرتهـا على الاتساع لكي تستطيع أن تمرر أو تسمح بمـرور أو سـريان تلك الكمية من الدماء الزائدة التي يضخها هذا القلب المـنفعل ولهـذا يـرتفع الضـغط عند الغضب هذا بخلاف الآثار النفسية والاجتماعـية التي تنجم عن الغضب في العلاقات بين الناس والتي تقوّض من الترابط بين الناس ومما هو جدير بالذكر أن العلماء كانوا يعتقدون في الماضـي أن الغضب الصريح ليس لَه أضرار وأن الغضب المكبوت فقط هـو المسؤول عن كثير من الأمراض ولكن دراسة أمريكية حديثة قدمت

تفســيرا جديدا لتأثير هذين النوعين من الغضب مؤداه أن الكبت أو التعبير الصــريح للغضب يؤديان إلى الأضرار الصحية نفسها وإن اختلفت حدتها ففــي حالة الكبت قد يصل الأمر عند التكرار إلى الإصابة بارتفاع ضغط الدم وأحيانا إلى الإصابة بالسرطان أما في حالة الغضب الصريح وتكراره فإنه يمكن أن يؤدى إلى الإضرار بشرايين القلب واحتمال الإصابة بأزمات قلبــية قاتلــة لأن انفجــار موجات الغضب قد يزيده اشتعالا ويصبح من الصــعب الــتحكم في الانفعال مهما كان ضئيلا فالحالة الجسمانية للفرد لا تنفصــل عن حالته النفسية مما يجعله يسري بسرعة إلى الأعضاء الحيوية فــي إفــراز عصاراتها ووصول معدل إفراز إحدى هذه الغدد إلى حد سدّ الطــريق أمــام جهــاز المناعة في الجسم وإعاقة حركة الأجسام المضادة المنطلقة من هذا الجهاز عن الوصول إلى أهدافها الأخطر من ذلك كله أن بعض الأسلحة الفعالة التي يستخدمها الجسم للدفاع عن نفسه والمنطلقة من غــدة حيوية تتعرض للضعف الشديد نتيجة لإصابة هذه الغدة بالتقلص عند حــدوث أزمات نفسية خطيرة وذلك يفسر احتمالات تحول الخلايا السليمة إلــى سرطانية في غيبة النشاط الطبيعي لجهاز المناعة وصدق رسول الله ﷺ الذي أوصانا بعدم الغضب ومن هنا تظهر الحكمة العلمية والعملية في تكرار الرسول ﷺ بعدم الغضب .

الغضب وآثاره السلبية .... يقول الدكتور أحمد شوقي إبراهيم عضو الجمعــية الطبية الملكية بلندن واستشاري الأمراض الباطنية والقلب .. أن المــيول الإنســانية تنقســم إلى أربعة أقسام ، ويختلف سلوك وتصرفات الأشــخاص باختلاف هذه الميول ومدى السيطرة عليها : الميول الشهوانية وتــؤدي إلــى الــثورة والغضــب .. الميول التسلطية وتؤدي إلى الكبر والغطرســة وحب الرياسة .. الميول الشيطانية وتسبب الكراهية والبغضاء

للآخرين . ومهما كانت ميول الإنسان فانه يتعرض للغضب فيتحفز الجسم ويرتفع ضغط الدم فيصاب بالأمراض النفسية والبدنية مثل السكر والذبحة الصـــدرية . وقد أكدت الأبحاث العلمية أن الغضب وتكراره يقلل من عمر الإنســـان . لهـــذا ينصح الرسول ﷺ المسلمين في حديثه لا تغضب وليس معـــنى هـــذا عـــدم الغضب تماما بل عدم التمادي فيه وينبغي أن يغضب الإنســـان إذا انتهكـــت حرمات الله ورسول الله ﷺ يقول لمن يغضب وإذا غضـــب أحدكم فليسكت .. لان أي سلوك لهذا الغاضب لا يمكن أن يوافق علـــيه هـــو نفسه إذا ذهب عنه الغضب ولهذا يقول الرسول ﷺ لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان .. والقرآن الكريم يصور الغضب قوة شيطانية تقهـــر الإنســـان وتدفعه إلى أفعال ما كان يأتيها لو لم يكن غاضبا فسيدنا موســـى .. ألقـــى الألـــواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه .. فلما ذهب عنه الغضـــب .. ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الألواح .. وكأن الغضب وســـواس قـــرع فكـــر موسى ليلقي الألواح .. وتجنب الغضب يحتاج إلى ضبط النفس مع إيمان قوي بالله ويمتدح الرسول ﷺ هذا السلوك في حديثه .. ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب .. ولا يكون تجنب الغضب بتناول المهدئات لان تأثيرها يأتي بتكرار تناولها ولا يســـتطيع متعاطـــي المهدئات أن يتخلص منها بسهولة ولان الغضب يغير الســـلوك فـــإن العلاج يكون بتغيير سلوك الإنسان في مواجهة المشكلات اليومـــية فيتحول غضب الإنسان إلى هدوء واتزان .... ويضيف الدكتور أحمـــد شـــوقي .. أن الطـــب النفسي توصل إلى طريقتين لعلاج المريض الغاضـــب .. الأولـــى : من خلال تقليل الحساسية الانفعالية وذلك بتدريب المـــريض تحت أشراف طبيب على ممارسة الاسترخاء مع مواجهة نفس المواقف الصعبة فيتدرب على مواجهتها بدون غضب أو انفعال .. الثانية :

مـــن خــــلال الاســـترخاء النفسي والعضلي وذلك لأن يطلب الطبيب من المـــريض أن يتذكر المواقف الصعبة وإذا كان واقفا فليجلس أو يضطجع ليعطيه فرصة للتروي والهدوء .. هذا العلاج لم يتوصل إليه الطب إلا في السنوات القليلة الماضية بينما علمه الرسول ﷺ لأصحابه في حديثه .. إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه الغضب أو فليضطجع.

فالغضب – والعياذ بالله – مرتبط بالكبر والاستعلاء والظلم والتعدي، ولهـــذا كـــان طريقاً مهلكة وأرضاً موحشة! تأباه القلوب الكريمة، والعقول الكبيرة، والفطر السليمة.

وقـــد مـــدح الله عز وجل المؤمنين بصفات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **الَّذِيـــنَ يُـــنفِقُونَ فِـــي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾(آل عمران:١٣٤) فهذه ثلاث صفات عظيمة

أولها: كظم الغيظ وإيقاف .

والثانية: العفو والصفح مع المقدرة والتمكن .

والثالثة: وهي أعلاها مرتبة: الإحسان إلى الناس مقابل إساءتهم.

وقال ﷺ خلافاً لما تعارف عليه الناس اليوم:]ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب[(متفق عليه). وقال: [وإن الله رفيق يحـــب الـــرفق في الأمر كله](متفق عليه) ومَنْ أولى الناس بالرفق من زوجك وأبـــنائك وإخوانك المسلمين؟!. والبعض اليوم يكون مستعداً لنتائج الغضب الوخـــيمة، فتراه يجعل بجواره في السيارة مثلاً حديدةً أو خشبة أعدها لهذه المواقف!

وهاهو رسول الله ﷺ يدخل مكة فاتحاً، فيجد فيها أعداءه الذين آذوه

وقاتلوه، وعذبوا أصحابه، وأخرجوه من بلده التي هي أحب أرض الله إلى الله وأحبها إليه، لكنه ما لبث بعد ثمانية أعوام أن عاد إليهم وقلبه مفعم بشكر الله على نصره، وإنجاز وعده لَه، كان ممتطيا ناقته القصواء وسار بها حتى بلغ الكعبة فطاف بالبيت سبعا، وجلس رسول الله ﷺ في المسجد والناس من حوله والعيون شاخصة إليه، ينتظرون ما هو فاعل بأهل مكة، في تلك اللحظات تَطَلَّعَ القوم إلى معرفة صنيعه بأعدائه فخطبهم ثم سألهم يا معشر قريش ما تظنون أي فاعل بكم . قالوا : خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال : فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته ﴿ **قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ** ﴾(يوسف:٩٢) اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ما أجمل العفو عند المقدرة وما أجمل الحلم والصفح بدلا من الغضب والثأر، إن إيذاء أو مقاتلة أولئك الجهال لم يطيش لَه حلم رسول الله ﷺ لأن الشُقَّة بعيدة بين رجل اصطفاه الله رسولا خاتما وبين قوم سفهوا أنفسهم وتهأووا على عبادة الأصنام .

إنها جاهلية عالج رسول الله ﷺ محوها، كانت تقوم على نوعين من الجهالة: جهالة ضد العلم وأخرى ضد الحلم، فأما الأولى فتقطيع ظلامها يتم بأنواع المعرفة وفنون الإرشاد، وأما الأخرى فكف ظلمها يعتمد على كبح الهوى ومنع الفساد والجهل الذي كان العرب يفتخرون بأنهم يلقونه بجهل أشد .

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فجاء الإسلام يكفكف من هذا النزوات، ويقيم أركان المجتمع على الفضل، فإن تعذر فالعدل، ولن تتحقق هذه الغاية إلا إذا هيمن العقل الراشد على غريزة الجهل والغضب، كثير من النصائح التي أسداها رسول الله ﷺ

للناس كافة كانت تتجه إلى تشجيع الحلم علاجا لغريزة الغضب، ولذلك عد المسلمون مظاهرا الطيش والتصدي، والعنف والأذى، شرودا من القيود التي ربط بها الإسلام الجماعة المسلمة، لئلا تميد ولا تضطرب يقول ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)رواه البخاري .

إن من الناس من لا يسكت عن الغضب فهو في ثورة دائمة، وتغيظ يطبع على وجهه العبوس، إذا مسه أحد بأذى ارتعش كالمحموم، وأنشأ يرغي يزبد، ويلعن ويطعن، والإسلام برئ من هذه الخلال الكدرة، قال رسول الله ﷺ (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذئ) رواه الترمذي وقال حديث حسن ولقد حرم الإسلام المهاترات وتبادل السباب وكم من معارك ضارية تبتذل فيها الأعراض وتنتهك فيها الحرمات، وما لهذه الآثام من علة إلا تسلط الغضب، وضياع الأدب، وأوزارها تعود على المُوقِد الأول لجمرتها يقول ﷺ (المستبّان ما قالا فعلى البادئ منهما، حتى يعتدي المظلوم) رواه مسلم .

۞ إن المسلك الأمثل في ذلك كله والذي يدل على العظمة والمروءة دائما هو أن يبلغ المرء غضبه فلا يفْجُر، وأن يقبض يده فلا يقتص، وأن يجعل عفوه عن المسيء نوعا من شكر الله الذي أقدره على أن يأخذ حقه إذا شاء، قال الأحنف بن قيس " احذروا رأي الأوغاد. قالوا وماهم قال الذين يرون الصفح والعفو عارا ".

الحلـــــــم :

إن كمال العلم في الحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب يستطيع المسلم من خلاله أن يعالج أمراض النفوس وهو هادي النفس مطمئن القلب، لا يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق، فلو كان الداعي سيئ الخلق، جافي

النفس، قاسي القلب، لانفض من حوله الناس، وانصرفوا عنه فحرموا الهداية بأنوار دينهم، فعاشوا ضُلَّالا وماتوا جّهالا وذلك هو الشقاء وهو سببه وعلته .

وتتفاوت درجات الناس في الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه، فيستحمق على عجل، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم، محتفظا برجاحة فكره، وسجاحة خُلُقه وأما الرجل الحليم حقا، هو من إذا حلّق في آفاق دنيا الناس اتسع صدره وامتد حلمه، وعذر الناس والتمس المبررات لأغلاطهم، فإذا ما عدا غرٌ يريد تجريحه، نظر إليه من علوّ وفعل ما كان قال الأحنف بن قيس رحمه الله: ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث : إن كان فوقي عرفت لَه فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، انتهى كلامه رحمه الله وهو المشهور بالحلم وبذلك ساد عشيرته .

❁ اعلموا أن الحليم، إما أن يكون حليما مفطورا على الخير مجبولا عليه، وهذا كأشج عبد القيس الذي قال لَه ﷺ (إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة، فقال : أشي تخلقت به أم جبلت عليه يا رسول الله؟ فقال : لا بل جبلت عليه، فقال الحمد لله جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله) رواه مسلم .

وإما أن يكون الحليم ثائر النفس أزعجه مَن ظلَمه فيصبر محتسبا ويصفح قادرا ويأمره إيمانه بالعرف، والعفو عن الجاهلين، وهذا هو المثاب في الدنيا والآخرة، والمشكور عند الله وعند خلقه، وهو الموصوف بالشدة والقوة، كما في قول الرسول ﷺ : (ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) رواه البخاري ومسلم، وقال ﷺ فيما رواه أحمد وغيره

بسند صحيح (من كتم غيظا وهو قادر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء) .

قلة الحلم وكثرة الغضب آفتان عظيمتان، إذا انتشرتا في مجتمع ما قوضتا بنيانه، وهدمتا أركانه وقادتا المجتمع إلى هوة سحيقة، ونخرتا كما السوس في جسر المجتمع المسلم حتى يؤدي به إلى الهلاك والعياذ بالله، ألسنا نرى ضياع المجتمعات الإسلامية، واندثار آدابها وكثرة الخلافات بين دولها وشعوبها فساعد ذلك على تقطيع الأواصر والروابط، وإشاعة أجواء التباغض والتدابر والتحاسد وإظهار الشماتة على الأمة المسلمة من قبل أعدائها يقول ﷺ : (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه) رواه مسلم .

انظروا مثلا إلى الحالات المتعددة والمنتشرة للطلاق أو ما يكون بين الزوجين من شقاق، مما أدى إلى التفريق، وهدم البيوت، وتفويض الأسر، أليس ذلك في الغالب نتيجة من الغضب وقلة الحلم ؟ حيث ترى الزوج بعد ذهاب غضبه يندم، ويتأسف على ما مضى، ويرى أنه قد جنى على نفسه بالحرمان وعلى زوجته بالعقوبة ولا ذنب لها، ويتّم أولاده وهو لم يزل حيا ثم يبحث لنفسه عن المعاذير، ويقلب في الفتأوى لدى المفتين لمحو غلطة ارتكبها دون تفكير أو روية، أو تدرجٍ في التأديب، مما تسبب في هدمٍ كان بإمكانه علاجه لو ملك عقله، وأشهر حلمه، وكف غضبه، من نتائج الغضب وثمراته أنك ترى إخوة من أب واحد يختلفون فيما بينهم لأتفه الأسباب فيعمل الغضب فيهم عمله فيتعادون ويتقاطعون، فيتبدد بذلك شمل الأسر وتراهم يتسابُّون ويتشاتمون وقد أخذهم الغضب كل مأخذ .

يقول الله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا**

السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.[آل عمران:١٣٣-١٣٤]

الغضب يختلف في دنيا الناس باختلاف الأحوال والظروف لكنه غالبا لا يخرج عن ثلاثة أحوال :

الأول : حال الاعتدال بأن يغضب ليدافع عن نفسه أو دينه أو عرضه أو ماله، ولولا ذلك لفسرت الأرض بانتشار الفوضى وتقويض نظام المجتمع لكن غضبه هذا ينبغي أن يكون مقترنا بالحكمة والمعرفة والعقل الرشيد .

الحالة الثانية : أن يخطوَ الغضب عن الاعتدال بأن يضعف في الإنسان أو يفقد بالكلية وهذه الحال مذمومة شرعا، لا سيما إن تعلقت بانتهاك حرمات الله تقول عائشة رضي الله عنها : (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله تعالى) رواه مسلم.

الحالة الثالثة : أن يطغى الغضب على العقل والدين وربما جر صاحبه إلى ارتكاب جرائم كبيرة، وموبقات كثيرة .

ولا يمكن التخلص من هذه العقبة إلا بفعل ما أرشد إليه ﷺ: (إذا غضب أحدكم فليسكت) روه احمد . واستَبَّ رجلان عند النبي ﷺ فاحمر وجه أحدهما غضبا فقال ﷺ: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد) رواه البخاري وقد ثبت عنه ﷺ أنه أمر الغضبان بالوضوء لأنه يطفئ الغضب كما يطفئ الماءُ النارَ .

الغضب
يولد الرغبة في الإيذاء

توصــلت دراسة جديدة إلى أن الإنسان يلجأ إلى العنف والإيذاء في الظــروف التــي تتطلب اتخاذ قرار سريع في وقت الغضب وذلك إذا كان الشخص المقابل مختلفاً في الجنس أو الدين أو المعتقد.أجريت الدراسة في جامعــة نــيويورك حيــث تــم فــرز الأشــخاص المشاركين إلى ثلاث فــئات.أشــخاص غاضــبون وأشــخاص حزينون بالإضافة إلى أشخاص عاديــن.ثم تم تعريضهم لصور أشخاص مختلفين في الأديان و الأجناس وطلب منهم وضع الوصف المناسب لهم من بين عدة صفات للاختيار من بينها.

كانت نتيجة الاختبار أن الأشخاص الحزينين والعاديين لا يحملون أي مشــاعر تحيز للأشخاص المختلفين عنهم سواء كان الاختلاف بالشكل أو بالمعــتقد.أمــا الأشــخاص الغاضــبون فقــد كانت ردة فعلهم سلبية تجاه الأشخاص الذين يختلفون عنهم في الشكل أو في المعتقد.

يشير العلماء أن نتيجة هذا الكشف تشير إلى أن الإنسان تحت سورة الغضــب تكــون ردة فعله للأشخاص المختلفين عنه باللون أو في الديانة عــبارة عــن ردة فعل متحيزة و خالية من المنطق.يخلص العلماء أنه في حالة النزاع يقوم دماغ الإنسان بالتحليل على الشكل الآتي «الاختلاف يعني أمراً سيئاً» ولهذا يتصرف الدماغ بطريقة مؤذية مع هذا الشخص المختلف و بغض النظر عن نوع الاختلاف.

قــد تجــد هــذا الدراسة تفسيرا علميا لسبب تصرف الناس بطريقة عنصــرية أثناء تعرضهم لضغوط شديدة أثناء العمل أو أثناء اضطرارهم لاتخاذ قرارات سريعة أثناء الظروف الاستثنائية.هذا ومن جانب آخر، وفي المقــابل فقد يكون التنفيس عن الغضب ضرورياً في بعض الحالات حيث قــال العلمــاء فــي الاجــتماع السنوي لجمعية القلب الأميركية في سان فرانسيســكو، إن المراهقيــن الذين يكتمون شعورهم بالغضب يتعرضون لخطر السمنة وهو ما قد يؤدي إلى تعرضهم لأمراض مثل مرض القلب أو السكري.

حيــث وجــد الأطباء من خلال دراسة، أن المراهقين الذين يمكنهم الــتحكم فــي غضبهم والتصرف بشكل مناسب عند الغضب يكونون أقل عرضة لزيادة الوزن، في حين أن من يعانون من مشكلات في التعامل مع الغضــب فهم الأكثر عرضة لزيادة الوزن.وقال البروفيسور ويليام موللر الــذي قاد فريق البحث في الدراسة، «ترتبط السمنة بالطرق غير الصحية في التعبير عن الغضب.فمشكلات التعبير عن الغضب يمكن أن تؤدي إلى اضــطرابات في الأكل وزيادة الوزن وهو ما قد يؤدي بدوره إلى الإصابة بمرض القلب في سن مبكرة».

ليس هذا وحسب بل هناك المزيد من الآثار الضارة لكتمان الغضب للكبار أيضا، حيث قال باحثون من جامعة سانت لويس إن كتمان الغضب يمكــن أن يــؤدي إلى آلام الرأس أيضا. وقد نشرت الدراسة التي أجراها الباحــثون في مجلة «الصداع» واشتمل البحث على ٤٢٢ من البالغين كان ١٧١ منهم يعانون من آلام في الرأس.

وقــد بحــث رئيس الفريق روبرت نيكلسون الحالة التي يكون عليها

الشخص الغاضب، كيف يضغط نفسه وشدة وعدد المرات التي يصاب بها بـــآلام في الرأس.كذلك بحث ما إذا كان الغاضب قلقا أو مصابا بالاكتئاب حيــث أن كلتا الحالتين لها علاقة بالصداع.قال نيكلسون: وجدنا أن كتمان الغضـــب أكبر مسبب للصداع، وأضاف «أن الغضب يمكن أن يكون أحد تلــك الأشياء العديدة التي تثير آلام الرأس». ونصح نيكلسون الناس باتباع عــدد مـــن الاستراتيجيات مثل أخذ نفس عميق ثلاث مرات، فهم الغضب والشعور به والتعبير عن النفس بطريقة بعيدة عن المجابهة.

وقـــال: «هـــناك مناســـبات لا يكون التعبير فيها عن الغضب أفضل الأشـــياء.إن الصراخ على رئيسك في العمل قد يفقدك وظيفتك. كذلك فان إيمـــاءة بذيئة نحو سائق تركك وسط الزحام يمكن أن تؤدي إلى هياج في الشـــارع» وأضاف: «ما آمل أن أفعله هو مساعدة الناس على تعلم الطرق الكفيلة بتعزيز صبرهم حتى يتمكنوا من تجنب الغضب».

وأكـــد الباحـــث أيضـــا أنه ربما كان من الأهمية بمكان أن يتعلم الناس التســـامح وختم قائلا، «سواء كان الجرح بسبب الآخرين أو من داخل الذات، فـــإن اعظـــم قوة لديك تتجلى في قدرتك على التسامح وجعل المسألة تمضي على خير.. إن ذلك سوف لن يغير الماضي ولكن أحدا لن يكون غاضبا».

أمـــا بخصوص التسامح وتأثيره على صحة الإنسان بشكل عام، فقد نصـــح باحثون أميركيون بالصفح والتسامح مع الآخرين إذا أردت أن تقلل ضغط دمك والقلق وتخفف التوتر في حياتك... وفق الحكمة القائلة «العفو عـــند المقـــدرة».فقـــد أظهـــرت دراسة عرضت في اجتماع جمعية الطب الســـلوكي فـــي ولايـــة تينيسي الأميركية أن العفو والتسامح يساعدان في تخفيض ضغط الدم والتوتر النفسي والقلق.

ويقــول علمــاء النفس إن التسامح عبارة عن استراتيجية تحميل تسمح للشــخص بإطلاق مشاعره والسلبية الناتجة عن غضبه من الآخرين بطريقة ودية.ولاحظ الباحثون أن النساء كن الأقل تسامحاً من الرجال والأكثر احتمالا لحمل الضغائن ضد الشخص الذي شعرن تجاهه بالخيانة حيث أظهرت هؤلاء النساء أيضاً ارتفاعا في معدلات ضغط الدم وتوترات نفسية أكبر.

وأشــار الخبراء إلى ضرورة عدم إساءة فهم المعاني السامية للصفح بــل التخلي عن المشاعر السلبية بصورة ودية ومتابعة الحياة، منوهين إلى أن هــذه الدراســة تضــيف إثباتاً جديداً على أن للمشاعر السلبية تأثيرات ضارة على الصحة العامة.

علاج الغضب والبعد عنه :

هذا الداء الخطير جعل لَه النبي ﷺدواء نافعاً وعلاجاً شافياً والمسلم مطالب بكسر حدة الغضب وإبعاده بهذه الأمور التي منها:

﴿ **أولاً**: تتــبع وصية النبي ﷺ في ذلك الأمر، فقد جاءه رجلٌ وقال: أوصــني. قال ﷺ : {لا تغضب} فردد مراراً وقال: {لا تغضب} رواه البخاري وإيقاف الغضب ودواعيه قبل بدايته، خير من التمادي فيه ومحاولة إصلاح نتائجه الوخيمة.

﴿ ثانياً: معرفة فضل الله عز وجل لمن تجرع الغضب وكتمه، قال ﷺ : {مــا تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى} رواه ابن ماجه.

﴿ **ثالثاً**: معرفة أن الغضب من الشيطان، قال ﷺ : { إن الغضب من الشيطان...} والشيطان يورد الإنسان موارد الهلاك.

ﷲ **رابعاً**: الطمع فيما أعد الله عز وجل لمن كتم غيظه، قال ﷺ {من كظـم غـيظاً وهـو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخبره من الحور العين ما يشاء} رواه ابو داود.

ﷲ **خامســاً**: الالتزام بالهدي النبوي، ومن ذلك تغير الهيئة التي عليها الغضبان وليلصق بالأرض، فذلك أدعى لإذلال النفس وطرح الكبر، قالﷺ : {ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء فليلصق بالأرض } رواه أحمد.

ﷲ **سادســاً**: الوضــوء، إمتثالاً لقول الرسول ﷺ { إن الغضب من الشـيطان، خُلــق مــن النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ} [رواه أبو داود].

ﷲ **ســابعاً**: السكوت حال الغضب وحبس اللسان وإلجامه، قال ﷺ : {علمــوا وبشروا ولا تعسروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت} رواه أحمد.

ﷲ **ثامــناً**: التعوذ من الشيطان الرجيم فهو رأس البلاء، قال تعالى: ﴿ **وَإِمَّـا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾(الأعراف: ٢٠٠) وعــن سلمان ابن صرد ﷺ قال: {إستب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه، قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.} رواه مسلم.

ﷲ **تاسعاً**: ذكر الله في كل موطن خاصة عند حالات الغضب، ﴿ **إِنَّ الَّذِيــنَ اتَّقَــواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ (الأعراف:٢٠١)

﴿﴾ **عاشراً:** أنت في حالة كتم الغيظ في مراتب أعلى من غيرك، وقد مــر حديــث الشديد الذي يكتم الغضب وكذلك أمر الله تعالى: ﴿ **خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُــرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾(الأعراف:١٩٩) وقوله تعالى ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمُور** ﴾(الشورى:٤٣).

﴿﴾ **الحــادي عشر:** إنك في حالة الغضب قد تظلم وتتعدى فتأثم، قال ﷺ : (كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه)(رواه مسلم).

﴿﴾ **الثاني عشر:** التقرب إلى الله عز وجل بحسن الخلق مع المؤمنين والــتجاوز عــن مسيئهم، قال ﷺ: { إن المؤمن ليُدرك بحُسن خلقه درجة الصائم القائم }(رواه ابوداود).

وقال ﷺ : { ألا أخبركم بمن يحرُمُ على النار؟ - أو بمن تحرم عليه النار؟ - تحرم على كل قريب هينٍ لينٍ سهل }[رواه الترمذي].

﴿﴾ **الثالث عشر:** معرفة نتائج الغضب وعواقبه ! وكيف أودى ربال بحــياة رجليــن، وكــيف أدت كلمة في ساعة هيجان إلى فراق الزوجة، وحرمان الأبناء، وتضييع الحقوق، والاعتداء على الضعفاء والاخوان. عن ابــن مســعود ﷺ قــال: (لما كان يوم حنين آثر الرسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائه من الإبل، وأعطى عُينيةُ بن حصن مــثل ذلك، وأعطى ناساً من أشرف العرب وآثرهم يومئذ في القسم. فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخــبرن رســول الله ﷺ فأتيــته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه حتى كان كالصيرف (صبغ أحمر) ثم قال: } فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، { ثم قال: } يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر، { فقلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً [رواه البخاري].

بهذا لن يخزيك الله

يا خالق الأكوان أنت المرتجى	وإليك وحدك ترتقي صلواتي
يـــا خالقـــي ماذا أقول وأنت	تعلمني وتعلم حاجتي وشكاتي
يـــا خالقـــي ماذا أقول وأنت	مطلـــع على شكواي والأناتي

اللهم يا موضع كل شكوى، ويا سمع كل نجوى، ويا شاهد كل بلوى، يا عالم كل خفية، و يا كاشف كل بلية، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضـــمائر الصـــامتين ندعوك دعاء من أشدت فاقته، وضعفت قوته، وقلت حيلته دعاء الغرباء المضطرين الذين لا يجدون لكشف ما هم فيه إلا أنت.

يـــا أرحم الراحمين أكشف ما بنا وبالمسلمين من ضعف وفتور وذل وهوان.

يـــا ســـامعا لكل شكوى أعن المساكين والمستضعفين وأرحم النساء الثكالى والأطفال اليتامى وذي الشيبة الكبير، إنك على كل شيء قدير.

إن فـــي تقلـــب الدهـــر عجائب، وفي تغير الأحوال مواعظ، توالت العقبات، وتكاثرت النكبات، وطغت الماديات على كثير من الخلق فتنكروا لربهم ووهنت صلتهم به.

اعـــتمدوا علـــى الأســـباب الماديـــة البحـــتة، فسادة موجات القلق والاضطراب، والضعف والهوان، وعم الهلع والخوف من المستقبل، خافوا علـــى المســـتقبل، تخلوا عن ربهم فتخلى الله عنهم: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾(فاطر:١٥) .

جمــيعُ الخلــق مفتقرون إلى الله، مفتقرون إلى الله في كل شؤونهم وأحوالهم، وفي كلِ كبيرةٍ وصغيره، وفي هذا العصرُ تعلقَ الناسُ بالناسِ، وشــكا الناسُ إلى الناس، ولا بئسَ أن يُستعانُ بالناس في ما يقدرون عليه، لكــن أن يكونَ المُعتمَدُ عليهم، والسؤال إليهم، والتعلقُ بهم فهذا هو الهلاكُ بعينه، فإن من تعلق بشيٍ وكلَ إليه.

نعــتمدُ على أنفسِنا وذكائنا بكل غرورٍ وعجب وصلف، أما أن نسأل اللهَ العونَ والتوفيق، ونلحَ عليه بالدعاء، ونحرصِ على دوام الصلة باللهِ في كلِ الأشياء، وفي الشدةِ والرخاء، فهذا أخرُ ما يفكرُ به بعض الناس.

فقــيراً جئــتُ بابك يا إلهي	ولســتُ إلــى عبادك بالفقيرِ
غنــياً عــنهمُ بيقيــنِ قلبــي	وأطمعُ منك في لفضلِ الكبيرِ
الهــي ما سألتُ سواك عونا	فحسبي العونُ من ربٍ قديرِ
الهــي ما سألتُ سواك عفوا	فحسبي العفوُ من ربٍ غفورِ
الهــي ما سألتُ سواك هديا	فحسبي الهديُ من ربٍ بصيرِ
إذا لــم أســتعن بك يا الهي	فمن عوني سواك ومن مجيرِ

إن الفرار إلى الله، واللجوء إليه في كلِ حالٍ وفي كل كربٍ وهم، هو السبيلُ للتخلصَ من ضعفنا وفتورنا وذلنا و هواننا.

إن فــي هــذه الدنيا مصائبَ ورزايا، ومحناً وبلايا، آلامُ تضيقُ بها النفوس، ومزعجاتُ تورث الخوفَ والجزع، كم في الدنيا من عينٍ باكيةٍ ؟

وكم فيها من قلب حزين؟

وكم فيها من الضعفاءِ والمعدومين، قلوبُهم تشتعل، ودموعُهم تسيل ؟

هذا يشكُ علةً وسقما.

وذاك حاجةً وفقرا.

وآخر هماً وقلقا.

عزيــزٌ قد ذل، وغنيٌ افتقر، وصحيحٌ مرض، رجل يتبرم من زوجه وولده، وآخرُ يشكُ ويئنُ من ظلمِ سيده.

وثالــثٌ كســدة وبــارت تجارته، شاب أو فتاة يبحث عن عروس، وطالب يشكو كثرة الامتحانات والدروس.

هــذا مســحور وذاك مدين، وأخر ابتليَ بالإدمان والتدخين، ورابعُ أصابه الخوفُ ووسوسةُ الشياطين.

تلــك هي الدنيا، تضحكُ وتبكي، وتجمعُ وتشتت، شدةُ ورخاءُ وسراءٌ وضراءُ.

وصــدق الله العظــيم: ﴿ **لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾(الحديد:٢٣) .

❁ الســؤال الذي يجب أن يكون، هؤلاء إلى من يشكون، و أيديَهم إلى من يمدون؟

يجيبك واقعُ الحال على بشرٍ مثلُهم يترددون، وللعبيدِ يتملقون، يسألون ويلحون وفي المديح والثناء يتقلبون، وربما على السحرة والكهنة يتهافتون.

نعم والله تألمنا شكأوي المستضعفين، وزفراتُ المساكين، وصرخاتُ المنكوبين، وتدمعُ أعُيننا – يعلم الله– لأهات المتوجعين، وأناتُ المظلومين، وانكسارِ الملذوعين، لكن أليس إلى اللهِ وحدَه المشتكى ؟

أين الإيمان بالله ؟ أين التوكلُ على الله ؟ أين الثقةُ و اليقينُ بالله ؟

وإذا عرتك بليةٌ فأصبر لها...........صبرُ الكريمِ فإنه بك أرحمُ

وإذا شكوتَ إلى ابنِ أدم إنما.....تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحمُ

ألــم نسمع عن أناس كانوا يشكون إلى الله حتى انقطاع سير نعلهم، نعم حتى سير النعل كانوا يسألونه الله، بل كانوا يسألون الله حتى الملح.

يا أصحابَ الحاجات.

أيها المرضى.

أيها المدينون.

أيها المكروب والمظلوم.

أيها المُعسرُ والمهموم.

أيها الفقيرُ والمحروم.

يا من يبحث عن السعادة الزوجية.

يا من يشكو العقم ويبحث عن الذرية.

يا من يريد التوفيق بالدراسة والوظيفة.

يا من يهتم لأمر المسلمين.

يا كلُ محتاج، يا من ضاقت عليه الأرضُ بما رحبت.

لمـــاذا لا نشكوُ إلى اللهِ أمرنا وهو القائل: ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ (غافر:٦٠) .

لمـــاذا لا نـــرفعُ أكفَ الضراعة إلى الله وهو القائل: ﴿ **فَإِنِّي قَرِيبٌ**

أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(البقرة:١٨٦).

لمـــاذا ضَعُفَ الصلة بالله، وقلةُ الاعتماد على الله، وهو القائل: ﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ** ﴾(الفرقان:٧٧). لولا دعاؤكم.

أيهـــا المؤمـــنون، أيها المسلمون يا أصحابَ الحاجات، ألم نقرأ في القـــرآنِ قـــول الحق عز وجل: ﴿ **فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ** ﴾ لماذا ؟ ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ** ﴾(الأنعام:٤٢).

فأين نحن من الشكوى لله، أين نحن من الإلحاح والتضرعِ الله؟

سبحان الله، ألسنا بحاجةٍ إلى ربنا؟

أنعتمدُ على قوتنا وحولِنا، والله ثم واللهِ لا حول لنا ولا قوةَ إلا بالله.

واللهِ لا شـــفاء إلا بـــيد الله، ولا كاشفَ للبلوى إلا الله، لا توفيق ولا فلاح ولا سعادةَ ولا نجاح إلا من الله.

العجيـــبُ والغريـــب أن كلَ مسلمٍ يعلمُ ذلك، ويعترفُ بهذا بل ويقسمُ على هذا، فلماذا إذاً تتعلقُ القلوبُ بالضعفاءُ العاجزين ؟

ولماذا نشكو إلى الناسِ ونلجأ للمخلوقين ؟

سل الله ربك ما عنده......... ولا تسأل الناس ما عندهم

ولا تبتغي من سواه الغنى...... وكن عبده لا تكن عبدهم

فمن يا إذا بُليت سلاك أحبابك، وهجرك أصحابك.

يا من نزلت بها نازلة، أو حلت به كارثة.

يـــا مـــن بليت بمصيبةٍ أو بلاءٍ، ارفع يديك إلى السماء وأكثر الدمعَ والبكاء، وألحَ على اللهِ بالدعاء وقل:

﴿الله﴾ يا سامعاً لكلِ شكوى.

إذا استعنت فأستعن بالله، وإذا سألت فأسأل الله، وقل يا سامعاً لكل شكوى.

توكـل علـى الله وحده، وأعلن بصدقٍ أنك عبده واسجد لله بخشوع، وردد بصوتٍ مسموع:

﴿الله﴾ يا سامعاً لكلِ شكوى.

أنـت الملاذُ إذا ما أزمةٌ شملت	وأنت ملجأُ من ضاقت بهِ الحيلُ
أنـتَ المنادى به في كلِ حادثةٍ	أنـت الإلهُ وأنت الذخرُ والأملُ
أنـت الرجاءُ لمن سُدت مذاهبهُ	أنت الدليلُ لمن ضلت بهِ السبلُ
إنـا قصـدناك والآمال واقعةٌ	علـيكَ والكلُ ملهوفُ ومبتهلُ

إن الأنبياء والرسلَ، وهم خيرُ الخلق، وأحبُ الناسَ إلى الله، نزل بهم البلاء واشتدَ بهم الكرب، فماذا فعلوا والى من لجئوا.

حُسنُ الصلة بالله

أخـي الحبيب، أختصرُ لك الإجابة، إنه التضرعُ والدعاء، والافتقارُ لربِ الأرضِ والسماء، إنها الشكايةُ لله وحُسنُ الصلةِ بالله.

﴿الله﴾ هذا نوحٌ عليه السلام يشكو أمرَه إلى الله ويلجأُ لمولاه:

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ** ﴾ (الصافات:٧٥-٧٦).

كانتِ المناداة، كانتِ المناجاة، فكانتِ الإجابةُ من الرحمن الرحيم.

وقـــال تعالى: ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَه فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ (الأنبياء:٧٦).

وقال عز من قائل: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾(القمر:١٠-١١).

﴿ هذا أيوبُ عليه السلام، ابـــتلاهُ اللهُ بالمـــرضِ ثمانيةَ عشر عاماً حتى أن الـــناسُ ملـــوا زيارتـــه لطـــولِ المدة، فلم يبقى معه إلا رجلانِ من إخوانه يـــزورانه، لكنه لم ييئس عليه السلام، بل صبرَ واحتسب، وأثنى الله عليه : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾(ص:٤٤)، أواب أي رجاعٌ منيبٌ إلى ربه، ظل على صلته بربه وثقته به، ورضاهُ بما قُسم الله له، توجه إلى ربه بالشكوى ليرفع عنه الضراء والبلوى قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(الأنبياء:٨٣). فماذا كانتَ النتيجة؟

قـــال الحـــقُ عز وجل، العليمُ البصيرُ بعباده، الرحمنُ الرحيم قالَ : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَه فَكَشَفْنَا مَا بِه مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾(الأنبياء:٨٤).

﴿هذا يونسُ عليه السلام، رفع الشكاية لله فلم ينادي ولم يناجي إلا الله قال تعـــالى: ﴿ وَذَا الـــنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَـــاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾. فماذا كانتَ النتيجة ؟ ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَه وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(الأنبياء: ٨٧-٨٨).

﴿ وزكريا عليه السلام قال الحق عز وجل عنه: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾(الأنبياء:٨٩). ماذا كانت النتيجة ؟

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾(الأنبياء:٩٠). الذين يشكون العقم وقلة الولد.

لماذا استجاب الله دعاء الأنبياء ؟

لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات، وكانوا لا يملون الدعاء، بل كان القلب متصل متعلق بالله، لذلك قال الله عنهم: ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾.

خاشعين متذللين، معترفين بالتقصير، فالشكاية تخرج من القلب قبل اللسان.

يعقوبُ عليه السلام قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(يوسف:٨٩)، انظروا لليقين، انظروا للمعرفة برب العالمين: ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾، فاستجاب اللهُ دعائَه وشكواه وردَ عليه يوسفَ وأخاه.

وهذا يوسف عليه السلام ابتلاه الله بكيد النساء، فلجأ إلى الله، وشكى إليه ودعاه فقال:

﴿ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(يوسف: ٣٣)، إنه التضرع والدعاء، والافتقار لرب الأرض والسماء، إنها الشكاية لله، وحسن الصلة بالله.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(يوسف:٣٤).

وأخبر الله عن نبينا محمد ﷺ وأصحابه فقال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾(الأنفال:٩). استغاثة لجاءة إلى الله، شكوى وصلة بالله سبحانه وتعالى.

وهكـــذا أيها الأحبةِ حينما نستعرضُ حياةَ الرسلِ جميعاً، كما قصها علينا القـــرآن الكـــريم، نـــرى أن الابتلاء والامتحان كان مادتُها ومائُها، وأن الصبرَ وحسنُ الصلةِ بالله ودوام الالتجاءِ وكثرةُ الدعاءِ وحلأوة الشكوى كان قوَمُها.

ومـــا أشرنا إليه إنما هي نماذج من الاستجابة للدعاء، ومن في كتب الســـير والتفاســـير وقـــف على شدةِ البلاء الذي أصاب الأنبياء، وعلم أن الاستجابةَ جاءت بعد إلحاحٍ ودعاء، واستغاثةٍ ونداء.

إنهـــا آياتُ بينات وبراهينُ واضحات، تقول بل وتعلن أن من توكلَ واعتمد على الله، وأحسن الصلة بمولاه استجاب الله دعاه، وحفظه ورعاه، فإن لم يكن ذلك في الدنيا كان في الآخرة: ﴿ **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾(القصص:٦٠).

أنهـــا صفحاتٌ من الابتلاء والصبر معروضةٌ للبشرية، لتسجل أن لا اعتماد إلا على الله، وان لا فارجَ للهمِ ولا كاشفَ للبلوى إلا الله.

هذا هو طريق الاستعلاء أن تنظرَ إلى السماء، وأن نلحُ بالدعاء، لأن الشكوى إلى الله تشعرك بالقوةِ والسعادة، وأنك تأوي إلى ركنٍ شديد.

أمـــا الشـــكوى إلى الناس، والنظرِ إلى ما في أيدي الناس فيشعرك بالضعف والذل والإهانةِ والتبعية.

يا أهل التوحيد، أليس هذا أصل من أصول التوحيد ؟

إن مـــن أصـــول التوحـــيد أن تتعلق القلوبُ بخالقها في وقت الشدةِ والرخاء والخوفِ والأمن، والمرضِ والصحة، وفي كل حالٍ وزمان.

ومـــا نراه اليومَ من تعلقِ القلوب بالمخلوقين، وبالأسباب وحدها دون اللجوء إلى الله، لهو نذيرُ خطرٍ يزعزعُ عقيدةِ التوحيدِ في النفوس.

أيها الأحبة: إن الشكوى لله، والتضرعَ إلى الله، وإظهارَ الحاجة إليه، ولاعتراف بالافتقار إليه من أعظمِ عرى الإيمانِ وثوابتِ التوحيد، وبرهانُ ذلك الدعاء والإلحاح بالسؤال، والثقةُ واليقينُ بالله في كلِ حال.

ولقــد زخرت كتبُ السنةِ بأنواعٍ من الدعاءِ تجعلُ المسلمَ على صلةٍ بربه، وفي حرزٍ من عدوه، يقضي أمره ويكفي همه.

فــي كــلِ مناسبةٍ دعاء، في اليقظةِ والمنام، والحركة والسكون، قياماً وقعــودا، وعلــى الجنوب، ابتهالٌ وتضرعٌ في كل ما أهم العبد، وهل إلى غيرِ الله مفر، أم هل إلى غيره ملاذ.

ففــي المرض مثلا الأحاديث كثيرة، والأدعية مستفيضة، إليك على سبيل المثال ما أحرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه المعوذات، وينفث، فلما أشتد وجعه كنت اقرأ عليه وأمسح عليه رجاء بركتها.

وأخرج البخاري ومسلم أيضا من حديث عائشة قالت:

كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الــبأس رب الناس، وأشفي أنت الشافي لا شفاء إلا شفائك، شفاء لا يغادر سقما، أي لا يترك سقما.

وفي صحيح مسلم عن عثمان أبن أبي العاص ﷺ :

أنــه شكى إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال لَه ﷺ : ضع يدك على الذي تألم من جسدك.

انظروا لرسول الله ﷺ، قدوتنا وحبيبنا يربي الناس، ويربي أصحابه علــى الاعــتماد واللجاءة إلى الله، ضع يدك، الإرشاد أولا لله، التعلق أولا

بالله، لم يرشده أولا لطبيب حاذق ولا بأس بهذا، لكن التعلق بالله يأتي أولا.

ضـــع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله، بسم الله ثم يقول سبعا أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر.

وفـــي رواية أمسحه بيمينك سبع مرات، وفي رواية قال عثمان فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم.

ســبحان الله، اسمعوا لحسن الصلة بالله، والتوكل على الله، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم.

أيهـــا المـــريض، أعلـــم أن من أعظم أسباب الشفاء التدأوي بالرقى الشـــرعية من القرآن والأدعية النبوية، ولها أثر عجيب في شفاء المريض وزوال علته، لكنها تريد قلبا صادقا وذلا وخضوعا لله.

رددهـــا أنـــت بلسانك، فرقيتك لنفسك أفضل وأنجح، فأنت المريض وأنـــت صـــاحب الحاجة، وأنت المضطر، وليست النائحة الثكلى كالنائحة المســـتأجرة، وما حك جلدك مثل ظفرك، فتوكل على الله بصدق وألح عليه بـــدون ملل، وأظهر ضعفك وعجزك، وحالك وفقرك إليه، وستجد النتيجة العجيبة إن شاء الله ثقة بالله.

دعاء المريض

فالى كل مريض مهما كان مرضه أقول:

شـــفاك الله وعافـــاك، اعلـــم أن الأمراض من جملة ما يبتلي الله به عباده، والله عز وجل لا يقضي شيئا إلا وفيه الخير والرحمة لعباده، وربما كـــان مرضك لحكمة خفيت عليك، أو خفيت على عقلك البشري الضعيف، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم.

أيها الحبيب شفاك الله، هل علمت أن للأمراض والأسقام فوائد وحكم أشار أبن القيم إلى أنه أحصاها فزادت على مائة فائدة (انظر كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل صفحة ٥٢٥).

أيهـــا المســـلم أســـأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك وأن يعافيك، هل سمعت قول رسول الله ﷺ: ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها.

وهل سمعت أنه ﷺ : زار أم العلاء وهي مريضة فقال الله ابشري يا أم العـــلاء فـــإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة.

قـــال ابـــن عـــبد البر رحمه الله: الذنوب تكفرها المصائب والآلام، والأمراض والأسقام، وهذا أمر مجتمع عليه.

والأحاديث والآثار في هذا مشهورة ليس هذا مقام بسطها، لكن المراد هنا أننا نرى حال بعض الناس إذا مرض فهو يفعل كل الأسباب المادية من ذهـــاب للأطباء وأخذ للدواء وبذل للأموال وسفر للقريب والبعيد، ولا شك

أن هذا مشروع محمود، ولكن الأمر الغريب أن يطرق كل الأبواب وينسى باب مسبب الأسباب، بل ربما لجأ للسحرة والمشعوذين، نعوذ بالله من حال الشرك والمشركين.

ألم يقرأ هذا وأمثاله في القرآن: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾(الشعراء:٨٠).

أيها المريض أعلم أن الشافي هو الله، ولا شفاء إلا شفائه.

أيها المريض، بل يا كل مصاب أيا كانت مصيبته، هل سألت نفسك لماذا ابتلاك الله بهذا المرض، أو بهذه المصيبة ؟ ربما لخير كثير ولحكم لا تعلمهـــا ولكـــن الله يعلمهـــا،ألم يخطر ببالك أنه أصابك بهذا البلاء ليسمع صـــوتك وأنـــت تدعـــوه، ويرى فقرك وأنت ترجوه، فمن فوائد المصائب استخراج مكنون عبودية الدعاء.

قال أحدهم: سبحان من استخرج الدعاء بالبلاء.

وفـــي الأثر أن الله ابتلى عبدا صالحا من عباده وقال لملائكته لأسمع صوته. يعني بالدعاء والإلحاح.

أيهـــا المريض، المرض يريك فقرك وحاجتك إلى الله، وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله، وتقبل عليه بعد أن كنت غافلا عنه، وصدق من قال:

فربما صحت الأجسام بالعلل.

فأرفع يديك وأسل دمع عينيك، وأظهر فقرك وعجزك، واعترف بذلك وضعفك.

فـــي رواية عن سعيد ابن عنبسة قال: بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصى ويحذف به إذ رجعت حصاة منه عليه فصارت في أذنه، فجهدوا

بكــل حــيلة فلــم يقدروا على إخراجها، فبقيت الحصاة في أذنه مدة وهي تألمه، فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع قارئ يقرأ: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾ (النمل:٦٢).

فقــال الرجل: يا رب أنت المجيب وأنا المضطر فأكشف عني ما أنا فيه، فنزلت الحصاة من أذنه في الحال.

لا تعجب، إن ربي لسميع الدعاء، إذا أراد شيئا قال لَه كن فيكون.

أيها المريض، إياك وسوء الظن بالله إن طال بك المرض، فتعتقد أن الله أراد بك سوء، أو أنه لا يريد معافاتك، أو أنه ظالم لك، فإنك إن ظننت ذلك فإنك على خطر عظيم.

أخرج الإمام أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قــال: إن الله تعالى يقول أنا عند ظني عبد بي، إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله.

يعني ما كان في ظنه فإني فاعله به، فأحسن الظن بالله تجد خيرا إن شاء الله.

لا تجزعن إذا نالتك موجعة.... واضرع إلى الله يسرع نحوك الفرج

ثم استعن بجميل الصبر محتسبا..... فصبح يسرك بعد العسر ينسلج

فسوف يدلج عنك الهم مرتحلا........... وإن أقام قليلا سوف يدّلج

هذا في المرض، وأطلت فيه لكثرة المرضى، وحاجة الناس إلى مثل هــذه التوجــيهات، وهي تحتاج إلى دروس ومحاضرات، ولكن حسبي ما ذكرته الآن لأن الموضوع عام في المصائب والآلام.

ومــن المصائب والآلام التي يحتاج الناس فيها إلى الشكوى إلى الله تراكم الديون وكثرة المعسرين.

كــم من مدين عجز عن الوفاء، وكم من معسر يعيش في شقاء، هم فــي اللــيل وذل في النهار، أحزان وآلام لا يغمض في منام، ولا يهنأ في طعــام، طــريد للغــرماء، أو مع السجناء، صبية صغار، وبيت للأجار، وزوجة مسكينة لا تدري أتطرق أبواب المحسنين أو تسلك طرق الفاسقين.

هذه رسالة مؤلمة من زوجة إلى زوجها في السجن بسبب الديون جاء فيها:

لم أتمتع معك في حياتنا الزوجية إلا فترة من الزمن حتى غيبوك في غياهب السجون، كم سنة غبت عني لا أدري ماذا فعل الله بك، ولا أدري عنك أحي فترجى أم ميت فتنعى، ليتك ترى حالي وحال أولادك، ليتك ترى حــال صــغارك، لست أدري هل أخون أمانة الله وأمانتك وأطلب الرزق لهــؤلاء بطــرق محرمة وأنا في ذمتك وعهدك، أم أطلب الطلاق ويضيع أولادك.. إلى أخر الرسالة من كتاب إلى الدائنين والمدينين.

وأقــول أيها الأحبة، تصوروا حال هذا الزوج كيف يكون وهو يقرأ هذه الكلمات، ديون وسجون وهموم وأولاد، ذل وخضوع للناس.

وأســمعوا لهذا الرجل وهو يشكو حاله ويقول: أنا رجل سجين على مــبلغ مــن المال، وصار لي في السجن أكثر من سنة ونصف، ولا يقبل خصمي كفيلا، وأنا معسر وصاحب عائلة فهل يجوز سجني؟

إلى هؤلاء وأمثالهم أقول: لماذا طرقتم الأبواب كلها ونسيتم باب من يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا خائبتين. وسنده جيد.

قال السري السبطي: كن مثل الصبي إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم

يمكـــناه قعد يبكي عليهما، فكن أنت مثله إذا سألت ربك ولم يعطك، فأقعد وأبكي عليه.

ولرب نازلة يضيق بها الفتى.......... ذرعا وعند الله منها مخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها.......... فرجت وكان يظنها لا تفرج

<u>أدعية قضاء الدين</u>

ومـــن الأدعـــية في قضاء الدين ما أخرجه أبو دأوود في سننه من حديـــث أبي سعيد الخدري قال: دخل النبي ﷺ المسجد ذات يوم فرأى فيه رجلا من الأنصار يقال له أبو أمامه، فقال له النبي ﷺ إن أراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة، قال هموم لزمتني، وديون يا رسول الله. قال ﷺ أفلا أعلمك كلاما إذ قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك، قلت بلى يا رســـول الله، قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحـــزن، وأعـــوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

قال ففعلت ذلك فأذهب الله تعالى همي وغمي وقضى عني ديني.

يعلق القلوب بالله صلوات الله وسلامه عليه.

وروى البيهقـــي في فضائل الأعمال عن حماد ابن سلمة أن عاصما ابن أبي إسحاق شيخ القراء في زمانه قال: أصابتني خصاصة -أ ي حاجة وفاقـــة - فجئـــت إلـــى بعـــض إخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة، فخرجت من منزله إلى الصحراء ثم وضعت وجهي على الأرض وقلـــت يا مسبب الأسباب، يا مفتح الأبواب، يا سمع الأصوات، يا مجيب الدعوات، يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضل عن

من سواك. يلح على الله بهذا الدعاء.

قال فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعت بقربي، فرفعت رأسي فــإذا بحــدأة طرحــت كيســا أحمر فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون دينارا وجوهــرا ملفوفــا بقطــنة، فبعــت الجواهر بمال عظيم، وأبقيت الدنانير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله تعالى على ذلك.

لا نعجــب أيها الأخوة، إن ربي لسميع الدعاء، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

أدعية الهم والقلق

ومــن الأدعية عند الهم والقلق ما أخرجه أحمد في المسند من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ما أصاب أحدا قــط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك، ابن عبدك أبن أمتك نصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضائك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزن وأبدله مكانه فرجا، وفي رواية فرحا، قال فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها، قال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها.

أيها الأخوة، إن الإنسان منا ضعيف، ضعيف فكيف إذا اجتمعت عليه الهمــوم والأحزان، وشواغل الدنيا ومشاكلها فزادته ضعفا، وجعلته فريسة للهم والقلق والتمزق النفسي.

انظــروا للعيادات النفسية، وكثرت المراجعين لها، شباب وفتيات في أعمــار الزهور، أين هؤلاء من الاعتصام بالله، والاتصال والشكوى للذي

قدّر الهموم والغموم وقضى بالمصائب والأحزان.

يتصل به متذللا معترفا بذنبه طارقا بابه مستعينا به مستيقنا بأنه هو القادر على كشفها دون سواه، وما سواه إلا أسباب هو الذي يقدرها ويهيئها للعبد.

إن الله تعالى يقول: ﴿ **وَخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفاً** ﴾(النساء:٢٨).

قـــال صاحب طريق الهجرتين: فإن الإنسان ضعيف البنية، ضعيف القوة، ضعيف الإرادة ضعيف الصبر والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع مـــن السيل في صيب الحدور، فبالاضطرار لابد لَه من حافظ معين يقويه ويعينه وينصره ويساعده، فإن تخلى عنه هذا المعين فالهلاك أقرب إليه من نفسه.

إذا فلنتعلم هذا الحديث كما أوصى ﷺ فإن فيه خضوعا وخشوعا لله، فـــيه اعـــترافا بالعبودية والذل لله، فيه توسل واستغاثة بجميع أسماء الله ما يُعرف منها وما لا يعرف، ما كتب وما أخفى.

وأبشر أخي الحبيب فإن النبي ﷺ يقول: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه.

يا صاحب الهم إن الهم منفرج............ أبشر بخير فإن الفارج الله

إذا بليت فثق بالله وأرضى به......... إن الذي يكشف البلوى هو الله

ومـــن الأدعـــية عـــند النوازل والفتن والخوف ما أخرجه أبو دأوود والنســـائي عـــن أبي موسى أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوما قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

وكان يقول ﷺ عند لقاء العدو: اللهم أنت عضدي وأنت ناصري، بك أصول وبك أجول وبك أقاتل.

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس قال: ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾(آل عمران:١٧٣) قالها إبراهيم حين القي في النار، وقالها نبينا محمد ﷺ حين قال له الناس إن الناس قد جمعوا لكم.

فإذا كان المحيي والمميت والرزاق هو الله، فلماذا التعلق بغير الله؟

لماذا الخوف من الناس ويقول ﷺ: واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك.

أيها المسلم، لا يمكن للقلب أبدا أن يسكن أو يرتاح أو يطمأن لغير الله، فاحفظ الله يحفظك وردد: ﴿ **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ (يوسف:٦٤).

رأى موسى عليه السلام البحر أمامه والعدو خلفه فقال: ﴿ **قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾(الشعراء:٦٢)، إنها العناية الربانية إذا ركن إليها العبد صادقا مخلصا.

نبينا محمد ﷺ في الغار ويرى أقدام أعدائه على باب الغار، ويلتفت إلى صاحبه يقول: ﴿ **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾(التوبة:٤٠)، والأعجب من ذلك أنه مطارد مشرد يبشر سراقة بأنه سوف يلبس سواري كسرى، هكذا الإيمان والاعتصام بالله.

كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، أي إذا نزل به أم أو أصابه غم لجأ إلى الله، فزع إلى الصلاة ليلجأ إلى الله، ويشكو إلى الله، ويناجي مولاه.

إنها الثقة بالله عند الشدائد، فهو يأوي إلى ركن شديد.

فيا من وقعت بشدة أرفع يديك إلى السماء، وألح على الله بالدعاء

والله يعصمك من الناس.

وإن كنتَ مظلوماً فأبشر فإن النبيَ ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: وأتقِ دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب.

وعن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه.

ألا قولوا لشخص قد تقوى............على ضعفي ولم يخشى رقيبه

خبأت لَه سهاما في الليالي............. وأرجو أن تكون لَه مصيبة

أيهـــا الأخوة والأخوات، إن من أعظم البلايا وأشد الرزايا ما يصيب المســـلمين في كل مكان من غزو واجتياح وتعديات ومظالم وفقر وتجويع حـــتى أصاب بعض النفوس الضعيفة اليأس والقنوط والإحباط وفقدان الثقة والأمل.

لماذا أيها الأخوة ؟ أليس الأمر لله من قبل ومن بعد، أليس حسبنا الله وكفى بالله حسيبا، أليس الله بقادر، أليس هو الناصر وكفى بالله نصيرا، ألا يعلـــم الله مكرهم، ألم يقل: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال:٣٠).

أليس الله بكافي عبده: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٣٥).

ألم يقل: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾(الحجر:٩٥).

ألم يقل: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(البقرة:١٣٧).

معاشـــر الأخوة اسمعوا وعوا، وأعلموا وأعلنوا، إن مصيبتنا ليست

بقـوة عدونـا، إنما هي بضعف صلتنا بربنا، وضعف ثقتنا وقلة اعتمادنا علـيه، لنفـتش في أنفسنا عند وقوعنا في الشدائد والمحن، أين الضراعة والشكوى لله، أين اللجاءة والمنجاة لله؟ ليس شيء أفضل عند الله من الدعاء لأن فيه إظهار الفقر والعجز، والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته وغناه.

أيهـا المسلمون، نريد أن تعلم فن الدعاء والتذلل والخضوع والبكاء، لنعترف بالفقر إليه، ولنظهر العجز والضعف بين يديه، أليس لنا في رسول الله قـدوة، أليس لنا فيه أسوة، أوذي أشد الأذى، وكذّب أشد التكذيب، أتهم بعرضـه وخدشـت كرامته، وطرد من بلده، عاشا يتيما وافتقر، ومن شدة الجـوع ربط على بطنه الحجر، قيل عنه كذابٌ وساحر، ومجنونٌ وشاعر، توضعُ العراقيلُ في طريقه، وسلى الجزورِ على ظهره، يشجُ رأسُه، وتكسرُ رباعيـتُه، يقـتلُ عمـه، جمعـوا عليه الأحزابَ وحاصروه، المشركون والمنافقون واليهود.

يذهـبُ إلـى الطـائفِ يبلغُ دعوتَه فيقابلَ بالتكذيبِ والسبِ والشتمِ، ويطُردَ ويلاحقَ ويرمى بالحجارةِ فماذا فعل -بأبي هوَ وأمي- ﷺ ؟

أيـن ذهب، من يسأل، على من يشكو، إلى ذي الجبروتِ والملكوتِ، إلـى القـوي العزيز، فأعلن ﷺ الشكوى، ورفعَ يديه بالنجوى، دعاء وألحَ وبكاء، وتظلمَ وتألمَ وشكا، لكن اسمع لفنِ الشكوى وإظهار العجزِ والضعفِ والافتقار منه ﷺ قال:

اللهـم إلـيك أشكو ضعفَ قوتي وقلتَ حيلتي وهوانِ على الناس، يا أرحـم الراحميـن، إلى من تكلني إلى عدوٍ يتجهمني، أم إلى قريبٍ ملكتَه أمري، إن لم تكن ساخطاً عليَ فلا أُبالي، غير أن عافيتَك أوسعُ لي، أعوذ بـنورِ وجهَـك الكريم، الذي أضاءت لَه السمأوات، وأشرقت لَه الظلمات،

وصـــلُحَ علـــيه أمـــرُ الدنيا والآخرة، أن تُحلَ عليَ غضبَك أو تُنزلَ علي ســـخَطَك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حولَ ولا قوة إلا بك. هكذا كان ﷺ ضراعة ونجوى لربه.

أيها الأخوة، لماذا نشكو إلى الناس، ونبث الضعف والهوان والهزيمة النفسية في مجالسنا، وننسى أو نتكاسل عن الشكوى لمن بيده الأمر من قبل ومن بعد: ﴿ **قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ** ﴾(الأنعام:٦٣-٦٤).

أليس فينا من بينه وبين الله أسرار؟ أليس فينا أيها الأحبة أشعث أغبر ذي طمريـــن لو أقسم على الله لأبره، أليس فينا من يرفع يديه إلى الله في ظلمة الليل يسجد ويركع، ينتحب ويرفع الشكوى إلى الله.

فلنشكو إلى الله ولنقوي الصلة بالله: ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾(يوسف:٢١).

أدعية المصيبة والكرب

ومـــن الأدعـــية فـــي المصيبة والكرب والشدة والضيق ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كـــان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العـــرش العظـــيم، لا إله إلا الله رب السمأوات ورب الأرض رب العرش الكريم.

وفي رواية كان إذا حزبه أمر قال ذلك، قال النووي في شرح مسلم: هـــو حديـــث جلـــيل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور

العظيمة، وقال الطبراني كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب.

وأخرج ابو داوود واحمد عن أبي بكرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: دعوات المكروب، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفت عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت.

وأخرج الترمذي عن سعد ابن أبي وقاص ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: دعوت ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدعو بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله لَه.

لما قالها يونس ﷺ وهو في بطن الحوت، قال الله عز وجل: ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَه وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(الأنبياء:٨٨)، قال ابن كثير في تفسيره: (**وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**)، أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا في هذا الدعاء في حال البلاء، فقد جاء الترغيب بها عن سيد الأنبياء.

وأخرج مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إن لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منها، إلا أخلف الله لَه خيرا منها.

قالت فلما مات أبو سلمة قلت في نفسي أي المسلمين خير من أبي سلمة؟

أو بيت هاجر إلى رسول الله، ثم إني قلتها -أي الدعاء- فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

إذا فالاسترجاع ملجأ وملاذ لذوي المصائب، ومعناه باختصار: إن لله توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وإن إليه راجعون إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا.

إذا فالأمر كله لله، ولا ملجأ منه إلا إليه، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّــابِرِينَ * الَّذِيــنَ إِذَا أَصَــابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾(البقرة:١٥٥-١٥٧).

إلــيكم أيهــا الأحــبة أمثلة ومواقف للذين لجئوا إلى حصن الإيمان وســلاح الدعاء، وأدركوا أن المفزع بعد الإيمان هو الدعاء، السلاح الذي يستدفع به البلاء ويرد به شر القضاء.

عــن أصبغ ابن زيد قال: مكثت أنا ومن عندي ثلاثا لم نطعم شيئا من الجوع، فخرجت إلي ابنتي الصغيرة وقالت يا أبتي الجوع، تشكو الجوع، قال فأتيــت مكــان الوضوء – انظروا إلى من اللجاءة، انظروا إلى من يلجئون– فتوضــأت وصــليت ركعتين، وألهمت دعاء دعوت به وفي آخره: اللهم افتح علــي رزقــا لا تجعــل لأحد علي فيه منة، ولا لك علي فيه في الآخرة تبعة برحمــتك يا أرحم الراحمين، ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتي الكبيرة قامت إلــي وقالت: يا أبه جاء رجل يقول أنه عمي بهذه الصرة من الدراهم وبحمال علــيه دقيق وحمال عليه من كل شيء في السوق، وقال: أقرءوا أخي السلام وقول له إذا احتجت إلى شيء فأدعو بهذا الدعاء تأتيك حاجتك.

قال أصبغ ابن زيد والله ما كان لي أخو قط، ولا أعرف من كان هذا القائل، ولكن الله على كل شيء قدير.

فقلت للفكر لما صار مضطربا....وخانني الصبر والتفريط والجلد

دعها سمأوية تمشي على قدر........لا تعترضها بأمر منك تنفسد

فحفني بخفي اللطف خالقنا........ نعم الوكيل ونعم العون والمدد

وعــن شقيق البلخي قال: كنت في بيتي قاعدا فقال لي أهلي قد ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع، ولا يحل لك أن تحمل عليهم ما لا طاقة لهم بــه، قال فتوضأت – نرجع إلى السبب الذي كانوا يذوروون حوله رضوان الله عليهم- فتوضأت وكان لي صديق لا يزال يقسم علي بالله إن يكون لي حاجــة أعلمــه بهــا ولا أكتمها عنه، فخطر ذكره ببالي، فلما خرجت من المنزل مررت بالمسجد، فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال: من عرضت لَه حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل، قال فدخلت المسجد فصليت ركعتين، فلما كنت في التشهد أفرغ علي النوم، فرأيت في منامي أنه قيل: يــا شــقيق أتدل العباد على الله ثم تنساه، يا شقيق أتدل العباد على الله ثم تنساه، قال فاستيقظت وعلمت أن ذلك تنبيه نبهني فيه ربي، فلم أخرج من المســجد حتى صليت العشاء الآخرة، ثم تركت الذهاب لصاحبي وتوكلت علــى الله، ثم انصرفت إلى المنزل فوجدت الذي أردت أن اقصد قد حركه الله وأجرى لأهلي على يديه ما أغناهم.

إن ربــي لسميع الدعاء، فلا نعجب أيها الأحبة، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

وأسمع لدعا أبن القيم في الفاتحة يقول: ومكثت بمكة مدة يعتريني أدوار لا أجد لها طبيبا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، فكان كثير منهم يبرأ سريعا.

وفــي حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه لما قرأ على سيد الحي الفاتحة قال: فكأنما نشط من عقال، وهذا يشهد أيضا بفضل الفاتحة.

ومــن المواقف الجميلة الطريفة في فضل الدعاء أنه كان لسعيد ابن جبــير ديكــا، كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصلي سعيد قيام الليل تلك الليلة فشق عليه ذلك، فقال ماله قطع الله صوته -يعني الديك-؟

وكــان سعيد مجاب الدعوة، فما سمع للديك صوت بعد ذلك الدعاء، فقالت أم سعيد:

يا بني لا تدعو على شيء بعدها.

وذكر أحد الدعاة في بعض رسائله أن رجلا من العباد كان مع أهله فــي الصــحراء فــي جهــة البادية، وكان عابدا قانتا منيبا ذاكرا لله، قال فانقطعت المياه المجأورة لنا وذهبت التمس ماء لأهلي فوجدت أن الغدير قد جف، فعدت إليهم ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة فلم نجد ولو قطرة، وأدركنا الظمــأ واحتاج أطفالي للماء، فتذكرت رب العزة سبحانه القريب المجيب، فقمــت وتيممــت واستقبلت القبلة وصليت ركعتين، ثم رفعت يدي وبكيت وســالت دموعي وسألت الله بإلحاح وتذكرت قوله: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾(النمل:٦٢).

قال وما هو والله إلا أن قمت من مقامي وليس في السماء من سحاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسطت مكاني ومنزلي في الصحراء، واحتكمت علــى المكان ثم أنزلت ماءها فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يســارنا فشربنا واغتسلنا وتوضئنا وحمدنا الله سبحانه وتعالى، ثم ارتحلت قلــيلا خلــف هــذا المكــان وإذا الجدب والقحط، فعلمت أن الله ساقها لي بدعائي، فحمدت الله عز وجل: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾(الشورى:٢٨).

وذكر أيضا أن رجلا مسلما ذهب إلى إحدى الدول والتجأ بأهله إليها، وطلــب بــأن تمنحه جنسية، قال فأغلقت في وجهه الأبواب، وحأول هذا الرجل كل المحأولة وستفرغ جهده وعرض الأمر على كل معارفه، فبارت الحــيل وسدت السبل، ثم لقي عالما ورعا فشكا إليه الحال، فقال لَه عليك بالثلث الأخير من الليل فأدعو مولاك، إنه الميسر سبحانه وتعالى، قال هذا الرجل: ووالله فقد تركت الذهاب إلى الناس وطلب الشفاعات، وأخذت أدأوم علــى الثلــث الأخير كما أخبرني ذلك العالم، وكنت أهتف لله في السحر وأدعــوه، ومــا هو إلا بعد أيام وتقدمت بمعروض عادي ولم اجعل بيني وبيــنهم واسطة فذهب هذا الخطاب وما هو إلا أيام وفوجئت وأنا في بيتي أني ادعى وأسلم الجنسية، وكنت في ظروف صعبة.

إن الله ســميع مجيب، ولطيف قريب، لكن التقصير منا، لابد أن نلج على الله وندعوه، وابشروا: ﴿ **إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾(إبراهيم:٣٩).

وأذكــر أن طالبا متميز في دراسته حصل لَه ظرف في ليلة امتحان إحــدى المــواد، ولم يستطع أن يذاكر جميع المنهج المقرر للمادة إلا بقدر الثلــث، فأهتم لذلك واغتم وضاقت عليه نفسه، ولم يستطع الإفادة من باقي الوقت لاضطراب النفس وطول المنهج.

فمــا كــان منه إلا أن توضأ وصلى ركعتين وألح على الله بأسمائه وصــفاته وباســمه الأعظم، يقول الطالب فدخلت قاعة الامتحان ووزعت أوراق الأســئلة، وقبل أن انظر فيها دعوت الله ورددت بعض الأذكار، ثم قلبت الورقة فإذا الأسئلة أكثرها من ذلك الثلث الذي درسته، فبدأت بالإجابة ففتح الله علي فتحا عجيبا لم ك أتصوره، ولكن ربي سميع مجيب.

فإلى كل الطلاب والطالبات أقول:

لماذا غفلتم عن الدعاء والشكوى لله وأنتم تشكون لبعضكم وتزفرون وتتوجعون ؟

لمـــاذا يعـــتمد الكثير منكم على نفسه وذكائه، بل ربما اعتمد البعض على الغش والاحتيال.

إن الـــنفس مهما بلغت من الكمال والذكاء فإنها ضعيفة وهي عرضة للغفلة والنسيان، نعم لنفعل الأسباب ولنحفظ ولنذاكر ولنجتهد ولكن كلها لا شيء إن لم يعينك الله ويفتح عليك، فلا حول ولا قوة إلا بالله في كل شيء، فهل طلبت العون من الله، توكل على الله، وافعل الأسباب، وارفع يديك إلى السماء وقل:

يا سامعا لكل شكوى، وأظهر ضعفك وفقرك لله وسترى النتائج بأذن الله.

وأنـــت أيهـــا المدرس والمدرسة، بل ويا كل داعية لماذا نعتمد على أنفسنا الضعيفة في التوجيه والتعليم، هب أننا أعددنا الدرس جيدا وفعلنا كل الأسباب، هل يكفي هذا؟

لعلك تسأل ما بقي؟

أقول هل سألت الله العون والتوفيق عند تحضير الدرس؟

هل سألت الله أن يفتح لك القلوب وأن يبارك في كلماتك وأن ينفع بها؟

هل سألت الله العون والتوفيق وأنت تلقي الدرس؟

هل دعوت لطلابك أن يبارك الله لهم وأن ينفع بهم وأن يصلحهم وأن ييسر عليهم.

هذه بعض الأمثلة والمواقف، وما يعرف ويحكى أكثر وأكثر، ولكننا نريد العمل والتطبيق.

تحذير للناس:

كثـــير من الناس إذا وقع بشدة عمد إلى الحرام، كمن يذهب للسحرة والكهان، أو يتعامل بالربا والحرام، فإذا نصح أو ذكّر قال: أنه مضطر، أو كما يقول البعض ليس كمن رجله في النار كمن رجله في الماء.

ولعلـــي أيها الحبيب أذكرك بآية ربما أنك نسّيتها في خضم المصيبة والشدة التي وقعت فيها، إن الله عز وجل يقول: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾(النمل:٦٢)، والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدنيا إلى اللجأ والتضرع إلى الله كما يقول الزمخشري.

وأنت أيها الأخ، أو أيتها الأخت، تذكر أنك مضطر والمضطر وعده الله بالإجابـــة حتى وإن كان فاسقا، فإذا كان الله قد أجاب دعوة المشركين عند الاضطرار فإن إجابته للمسلمين مع تقصيرهم من باب أولى.

جـــاء رجل إلى مالك ابن دينار فقال: أنا أسألك بالله أن تدعو لي فأنا مضطر، قال فاسأله فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

إن الله قـــد عز وجل قد ذم من لا يستكين له، ولا يتضرع إليه عند الشدائد، وانتبهوا أيها الأحبة أنه لابد للضراعة والاستكانة لله عند الشدة كما أخـــبر الله فقال عز من قائل: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ﴾(المؤمنون:٧٦).

أي لـــو استكانوا لربهم لكان أمرا أخر، فكيف بحال من يقع بالشرك والحــــرام عند البلاء والشدة فيزيد الطين بلة، كيف يريد الشفاء أو انكشاف

البلاء وهو يطلبه من مخلوقين مثله ضعفاء.

قـــال بعض السلف: قرأت في بعض الكتب المنزلة أن الله عز وجل يقول: يؤمل غيري للشدائد والشدائد بيدي، وأنا الحي القيوم، ويرجى غيري ويطرق بابه بالبكرات وبيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوح لمن دعاني، من ذا الذي أملني لنائبة فقطعن به؟

أو من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت رجاءه ؟

ومن ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه لَه ؟

أنا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني.

أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أليست الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي؟

فمـــا يمـــنع المؤمليـــن أن يؤملوني، ولو جمعت أهل السمأوات وأهل الأرض ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميع، وبلغت كل واحد منهم أملـــه لـــم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا بأسا للقانطين من رحمتي، ويا بأسا لمن عصاني ووثب على محارمي. ذكر ذل ابن رجب في نور الاقتباس، والإسرائيليات يعتضد بها ولا يعتمد عليه.

<u>إن الله يحب السائلين</u>

أيها الأخوة : إن اللهَ يحبُ أن يُسأل، ويغضبُ على من لا يسألُه، فإنه يـــريدُ مـــن عباده أن يرغبوا إليه ويسألوه، ويدعوه ويفتقروا إليه، ويحبُ الملحين في الدعاء، بل وينادي في كلِ ليلةٍ : هل من سأل فأعطيه، هل من داعٍ فأستجيب لَه.

فأيـــن المضطرون، أين أصحابُ الحاجات، أين من وقع في الشدائدِ

والكُربات.

معاشـــر الأخـــوة والأخوات، اقرءوا وانظروا في حادثة الإفك، وفي حديــث الــثلاثة أصـــحاب الغار، وحديث المغترب الذي وضع المال في الخشـــبة وألقاهـــا فـــي الـــبحر، وحديث الثلاثة الذين خلفوا، وغيرها من القصـــص النبوي في الصحاح والسنن، فرج عنهم بسؤالهم لله، وإلحاحهم بالدعـــاء، رفعوا أيديهم إلى الله، وأعلنوا الخضوع والذل لله، وهذا الذل لا يصلح إلى لله، لحبيبه ومولاه.

ذل الفتى في الحب مكرمة....... وخضوعه لحبيبه شرف

فالعبوديةُ لله عزّ ورفعةٌ، ولغيره ذلّ ومهانة، وفي سؤال الله عبودية عظيمة لأنها إظهار للافتقار إليه، واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج.

فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا.....فأبذله للمتكرم المفضال

كـــان يحي ابن معاذ يقول: يا من يغضب على من لا يسأله لا تمنع من سألك.

وكـــان بكر المزني يقول: من مثل يا ابن آدم؟ متى شئت تطهرت ثم ناجيت ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان.

وســـأل رجـــل بعـــض الصالحين أن يشفع لَه في حاجة إلى بعض المخلوقين، فقال لَه أنا لا أترع بابا مفتوحا وأذهب إلى باب مغلق.

هكذا فلتكن الثقة بالله والتوكل على الله.

وقبل الختام وحتى نصل إلى ما نريد من فن الشكوى وحسن النجوى تنبه إلى هذه التوجيهات:

أولا: الدعاء له آداب وشروط:

لابـــد من تعلمها والحرص عليها، واسمع لهذا الكلام الجميل النفيس مـــن ابـــن القـــيم رحمه الله قال: وإذا جمع العبد مع الدعاء حضور القلب وصـــادف وقـــتا من أوقات الإجابة وخشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الـــرب وذلا لَـــه وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفـــع يديـــه إلـــى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على رسول الله، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله وألح علـــيه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا، ولا ســـيما إذا صـــادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، وأنها متضمنة للإسم الأعظم. انتهى كلامه بتصرف.

<u>أذكار الصباح والمساء</u>

وقد اخترت أذكار الصباح والمساء من كتاب النووي وغيره وسلكت في كتابتها المنهج الآتي :

(١) رتبـــت الأذكـــار حســـب عددها، فجعلت : **أولاً** : ما يقال مرة واحـــدة، **وثانياً** : ما يقال ثلاث، **وثالثاً** : ما يقال أربع، **ورابعاً** : ما يقال : ســـبع، **وخامســـاً** : ما يقال عشر، **وسادساً** : في فضل التهليل والتسبيح، **وسابعاً** : في فضل جوامع الأذكار .

(٢) ابـــتدأت في كل فقرة بالأحاديث التي في الصحيحين أو أحدهما، ثـــم بالأحاديـــث التـــي صححها أو حسنها الأئمة، ثم بالأحاديث التي فيها ضعف أو سكت عنها أبو دأود، مع العزو إليهم في كل ذلك .

(٣) سقت الأحاديث كاملة مع بيان فضلها ليعلم القارئ ذلك، وجعلت متون هذه الأحاديث باللون الأحمر لأنها هي المقصودة .

(٤) ذكرت الروايات المختلفة لبعض الأحاديث ليستفيد القارئ ويعلم سبب الاختلاف الوارد في أذكار الصباح .

(٥) رجعــت إلى أصول كتب السنة ومصادرها في ألفاظ الأحاديث ولم أكتف بما في كتب الأذكار التي أخذت منها .

(٦) ذكرت الأحاديث التي سكت عنها أبو دأود لأنها يصلح أن تكون مــن قبيل الحسن وخاصة إذا وافقه المنذري كما ذكر في خطبة الترغيب، ولهذا قال العراقي في ألفيته :

قال : ومن مظنة للحسن **** جمع أبي دأود، أي في السنن

فإنه قال : ذكرت فيه ******* ما صح أو قارب أو يحكيه

وما به وهن شديد قلته ******* وحيث لا، فصالح خرجته

فما به ولم يصحح وسكت ****** عليه عنده لَه الحسن ثبت

وقال النووي في الأذكار ص٣٦:

واعلم أن سنن أبي دأود من أكبر ما أنقل منه، وقد روينا عنه أنه قال : ذكرت في كتابي الصحيح وما يشبهه ويقاربه، وما كان فيه ضعف شديد بينــته، ومـــا لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض . هذا كــلام أبى دأود، وفيه فائدة حسنة يحتاج إليها صاحب هذا الكتاب وغيره، وهـــي أن ما رواه أبو دأود في سننه ولم يذكر ضعفه فهو عنده صحيح أو حسن، وكلاهما يحتج به في الأحكام، فكيف بالفضائل .

فـــإذا تقرر هذا فمتى رأيت هنا حديثاً من رواية أبى دأود وليس فيه تضعيف فاعلم أنه لم يضعفه، والله أعلم .

(٧) قد يكون في بعض الأحاديث ضعف، وهذا لا مانع منه لأنه في باب فضائل الأعمال التي يرجو المؤمن فيها الثواب لسعة فضل الله وعظيم رحمته، وهو صنيع بعض الأئمة كالنووي وابن تيمية في الكلم الطيب فقد ذكـــر حديـــث أبي الدرداء الذي رواه ابن السني وهو ضعيف، وكذلك ابن القيم كما في الوابل الصيب وزاد المعاد .

قـــال أحمد بن حنبل : إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الأسانيد ؛ وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد ؛ وكذلك ما عليه العلماء مـــن العمـــل بالحديـــث الضعيف في فضائل الأعمال : ليس معناه إثبات الاســـتحباب بالحديـــث الذي لا يحتج به ؛ فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي، ومن أخبر عن الله أنه يحب عملاً من الأعمال من غـــير دلـــيل شـــرعي فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم ؛ ولهذا يختلف العلماء في الاستحباب كما يختلفون في غيره، بل هو أصل الدين المشروع .

وإنما مرادهم بذلك : أن يكون العمل مما قد ثبت أنه مما يحبه الله أو ممـــا يكـــرهه الله بـــنص أو إجماع، كتلأوة القرآن ؛ والتسبيح، والدعاء ؛ والصـــدقة ؛ والعـــتق ؛ والإحسان إلى الناس ؛ وكراهة الكذب والخيانة ؛ ونحـــو ذلـــك، فإذا روى حديث في فضل بعض الأعمال المستحبة وثوابها وكـــراهة بعـــض الأعمال وعقابها : فمقادير الثواب والعقاب وأنواعه إذا روى فـــيها حديث لا نعلم أنه موضوع جازت روايته والعمل به، بمعنى : أن النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب، كرجل يعلم أن التجارة

تـــربح، لكن بلغه أنها تربح ربحاً كثيراً، فهذا إن صدق نفعه وإن كذب لم يضره، ومثال ذلك الترغيب والترهيب بالإسرائيليات ؛ والمنامات وكلمات الســلف والعلماء ؛ ووقائع العلماء ونحو ذلك، مما لا يجوز بمجرده إثبات حكــم شرعي ؛ لا استحباب ولا غيره، ولكن يجوز أن يذكر في الترغيب والترهيب ؛ والترجية والتخويف .

فما علم حسنه أو قبحه بأدلة الشرع فإن ذلك ينفع ولا يضر، وسواء كـــان فـــي نفـــس الأمر حقاً أو باطلاً، فما علم أنه باطل موضوع لم يجز الالـــتفات إلـــيه ؛ فـــإن الكذب لا يفيد شيئاً، وإذا ثبت أنه صحيح أثبتت به الأحكام، وإذا احتمل الأمرين روى لامكان صدقه ولعدم المضرة في كذبه، وأحمد إنما قال : إذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد، ومعناه : أنا نروي في ذلك بالأسانيد وإن لم يكن محدثوها من الثقات الذين يحتج بهم وكذلك قول من قال : يعمل بها في فضائل الأعمال، إنما العمل بها العمل بما فيها من الأعمال الصالحة، مثل التلأوة والذكر، والاجتناب لما كره من الأعمال السيئة أهــ .

وقال النووي في الأذكار ص٢٧ :

قـــال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً، وأمـــا الأحكام : كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق، وغير ذلك فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن إلا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك، كما إذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الأنكحة، فإن المستحب أن يتنزه عنه، ولكن لا يجب أهــ .

وبهـــذا نعلم انه لم يختلف شيخ الإسلام مع النووي في جواز العمل

بالحديث الضعيف في الفضائل بل في استحبابه كما هو ظاهر .

وقبل أن أشرع في المقصود أود أن أذكر بعض الفوائد وهي :

(١) الذكر له معنيان :

أحدهما : الذكر الذي هو ضد الغفلة وهو الذكر القلبي

الثاني : الذكر الذي هو ضد السكوت وهو الذكر اللساني .

فالذكر بالقلب : هو التفكر في عظمة الله وجلاله وآياته ولا مدخل للسان فـيه، أو فيه مدخل غير معتد به بحيث يأتي به همساً بحيث لا يسمع به نفسه بناء على القول المشهور أن الذكر باللسان هو ما أسمع نفسه كما سيأتي .

واختلفوا هل يؤجر على ذلك أم لا ؟ والتحقيق هو :

أ ـ لا يحصـل لَه شيء رتب الشارع على القول به حتى يتلفظ به ويسمع نفسه .

ب ـ إذا لم يرتب الشارع على القول به شيئاً فإنه لا يثاب من حيث اللفظ بل يثاب من حيث المعنى واشتغال النفس به .

والملائكـة تكتب الذكر القلبي بإطلاع الله لهم خلافاً لمن قال انهم لا يكتبون لأنه لا يطلع عليه غير الله تعالى .

ويكون الذكر كذلك باللسان : بأن يحركه بحيث يتلفظ به ويسمع نفسه، ولا يعتـبر ذاكراً باللسان إلا بالتلفظ به مع السماع، فإن لم يسمع نفسه كان ذاكـراً بالقلب كما سبق، وعليه لا يحرم على الجنب تحريك لسانه بالقرآن وهمسـه بحيث لا يسمع نفسه لأنها ليست بقراءة، ولا تصح صلاة من لم يسمع نفسه كذلك على المعتمد، والسماع المعتد به يكون بسماع الصوت مع

الحروف، اما لو سمع الصوت من غير الحروف فلا اعتبار به .

والأفضـــل أن يجمع بين الذكر القلبي واللساني ثم اللساني وهو الذي رتـــب الشـــارع على القول به في أذكار اليوم والليلة وغيرهما ففيه امتثال لأمر الشارع، ثم الذكر بالقلب .

والجمع بين الذكر القلبي واللساني يكون :

بحضـــور القلب بحيث يتدبر ما يذكر ويعقل معناه ولهذا استحبوا مد الذاكر قول : لا إله إلا الله لما فيه من التدبر .

قـــال ابن الجزري في الحصن الحصين فإن جهل شيئاً أي مما يتعلق بلغته أو إعرابه تبين معناه ولا يحرص على تحصيل الكثرة بالعجلة ا . ه أي فإنـــه يؤدي إلى أداء الذكر مع الغفلة وهو خلاف المطلوب لأن القصد مـــن الذكـــر هو الحضور مع المحبوب وفيه تنبيه على أن قليل الذكر مع الحضور خير من الكثير منه مع الجهل والفتور .

(٢) يجـــوز مـــع الكـــراهة الذكـــر للمحدث والجنب والحائض والنفساء في غير قراءة القرآن إلا إذا لم يقصده كآية الركوب ونحوها .

(٣) ينبغـــي المحافظة على وظيفة الذكر سواء كان في الليل أو الـــنهار، أو عقيـــب الصـــلاة، فإن فاته تداركها ولا يهملها لأنه إذا اعتاد الملازمـــة لم يعرضها للتفويت وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها .

(٤) قـــد ثبت في هذه الأذكار وغيرها كما في التي بعد الصلاة أعداد مخصوصة فهل يزاد عليها أو ينقص ؟ فيه تفصيل:

أـ إن كان بنقص فإنه يضر ولا يتحقق الفضل المذكور في الحديث.

ب ـــ إن كان بزيادة، فلأهل العلم فيه ثلاثة أقوال :

الأول : ان الـــزيادة لا تضر ونص عليه الحنابلة في المطالب وإليه ذهـــب العينـــي في شرح البخاري و شرح الكلم الطيب، وهو ظاهر كلام الحافظ العراقي لأنه أتى بالمقدار الذي رتب الثواب على الإتيان به فحصل لَـــه الـــثواب بذلك، فإذا زاد عليه من جنسه كيف تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله .

واستدل العيني بما صح في حديث التهليل انه لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه .

وقـــد مشى أكثر الشراح على هذا القول منهم القسطلاني في شرح البخاري (٢/ ٥٧٢)، والشـــرقأوي في شرح مختصر الزبيدي (١/٢٨١)، ، والباجي في المنتقى (١/ ٣٥٤)، والزرقانـــي علـــى المؤطأ (٢/٢٩) والكاندهلوي في أوجز المسالك (٤/١٥٥) وصـــديق حسن خان في عون الباري (٢/٢٦٧)، والنووي في شرح مسلم (١٧/١٧)، ونقله السيوطي في الديباج (٦/٥٣)، ونص على ذلك أيضاً الأبي والسنوسي في شرح مسلم (٧/١٢٤،١٢٣)

الثانـــي : ان الزيادة تضر ولا يترتب عليه الفضل وهذا اختيار بعض العلماء لم يسمهم الحافظ في الفتح، ومال إليه السيوطي في التوشيح (٢/٨٠٣) وهو ظاهر اختيار الشوكاني كما في تحفة الذاكرين ص٧٧ للحديث المروي :

من استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعاً وعشرين أو خمساً وعشرين مرة أحد العددين كان من الذين يستجاب دعاؤهم ويرزق بهم أهل الأرض .

أخـــرجه الطبرانـــي فـــي الكبـــير وهو في حديث أبي الدرداء، قال

الهيثمـــي: فيه عثمان بن عاتكة، وثقه غير واحد، وضعفه الجمهور، وبقية رجالـــه ثقات، والتنصيص على هذين العددين لحكمة اختص بعلمها رسول الله ﷺ فينبغي الاقتصار على أحدهما من دون زيادة ولا نقصان .

قال الحافظ : وقد بالغ القرافي في القواعد فقال : من البدع المكروهة الزيادة في المندوبات المحدودة شرعاً، لأن شأن العظماء إذا حدوا شيئاً أن يوقف عنده ويعد الخارج عنه مسيئاً للأدب أهـ .

قال في أوجز المسالك :

ومـــثله بعض العلماء بالدواء إذا زيد فيه أوقية مثلا لتخلف الانتفاع، وقـــال ابن عابدين: لو زاد على العدد قيل يكره لأنه سوء أدب وأيد بكونه كدواء زيد على قانونه أو مفتاح زيد على أسنانه، وقيل : لا بل يحصل لَه الـــثواب المخصـــوص مع الزيادة، بل قيل لا يحل اعتقاده الكراهية لقوله تعالى " ما جاء بالحسنة فله عشر أمثلها " والأوجه إن زاد لاستدراكه على الشارع فهو ممنوع، انتهى

الثالث: التفصيل وفيه رأيان أيضاً :

الأول : اختاره الحافظ في الفتح (٣٨٤/٢) وهو ان العبرة بالنية، فإن نوى عـــند الانتهاء إليه امتثال الأمر الوارد ثم أتى بالزيادة فهو جائز، وإن زاد بغير نية بأن يكون الثواب رتب على عشرة مثلاً فرتبه هو على مائة فيتجه المنع ولا يترتب عليه الأثر .

الثانـــي : ان زاد لـــنحو شك كان معذوراً، وإن زاد لتعبد فلا، لأنه مستدرك على الشارع وهو ممتنع، وهذا اختيار ابن حجر الهيتمي كما حكاه ابن علان في الفتوحات (٤٩/٣)، وكما سبق من كلام ابن عابدين .

(٥) اختلفوا في أوقات الصباح والمساء :

أولاً : وقت الصباح :

يبدأ بعد طلوع الفجر، واختلفوا في نهايته على ثلاثة أقوال :

أ- وينتهـي بغروب الشمس وهذا قول ابن الجزري كما حكاه الشوكاني في تحفة الذاكرين ص٨٩ .

ب- ينتهي بطلوع الشمس وهذا ظاهر كلام شيخ الإسلام في الكلم الطيب كما في شرحه للعيني ص١١٩ وبه صرح ابن القيم في الوابل الصيب ص١٩٣ .

ج- فيه تفصيل :

يـبدأ الوقـت المختار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وما بقى وقتها فحكم الصباح منسحب عليه .

قال ابن حجر : الظاهر انه لو قال أثناء النهار لا تحصل تلك الفائدة، لكن عظيم بركة الذكر يقتضي الحصول .

ثانياً : وقت المساء :

اختلفوا على ثلاثة أقوال :

أ- يـبدأ بعد العصر وينتهي بالغروب وهذا قول شيخ الإسلام وابن القيم .

ب- يبدأ من الغروب إلى طلوع الفجر وهو قول ابن الجزري .

وذهـب السـندي في شرح سنن ابن ماجه والمباركفوري في شرح المشكاة إلى أن المساء يبدأ بعد الغروب، ولم يذكرا انتهاءه .

ج- يبدأ بعد العصر وينتهي بالغروب وما بقى وقتها فحكم المساء منسحب عليه .

قال : ابن حجر : الظاهر أنه لو قالها في أثناء الليل لا تحصل الفائدة لكن عظيم بركة الذكر يقتضي الحصول .

وبذلك نعلم أنه يجوز الذكر في الصباح بعد طلوع الفجر وان قبل الصلاة، ويجوز بعد دخول وقت العصر وإن قبل الصلاة إلا أن الأكمل أن يكون بعد الفريضة .

(٦) كل ما هو مذكور يصلح أن يقال في الصباح والمساء، لكن حديث زيد بن ثابت وهو (لبيك الله لبيك) قد ورد في الصباح .

وحديث أعوذ بكلمات الله التامات ورد في المساء، وذكر ابن الجزري عدة الحصن الحصين ص٢٦ انه يقولها صباحاً مرة لحديث الطبراني .

(٧) يقال لفظ الصباح في الصباح، ولفظ المساء في المساء، وكذلك الضمائر تكون في الصباح بالتذكير، وفي المساء بالتأنيث .

(٨) يستحب له أن يبدأ بالحمد قبل الدعاء وقد اخترنا دعاء الحسن البصري .

دعاء الحسن البصري:

الحمد لله اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا، وهديتنا وعلمتنا، وأنقذتنا وفرجت عنا، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبت عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها

علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أولاً : ما يقال مرة واحدة :

١- عــن شــداد بــن أوس ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال :" سيد الاســتغفار اللهــم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

مـن قالهـا حيـن يمسـي فمـات مـن ليلـته دخل الجنة، ومـن قالهـا حيـن يصبح فمات من يومه دخل الجنة " خرجه البخاري وغيره

٢-عــن عبدالله بن مسعود ﷺ، قال : كان النبي، ﷺ إذا أمسى قال " أمســينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك لَه، لَه الملــك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعــوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر " وإذا أصبح قال ذلك أيضاً " أصبحنا وأصبح الملك لله "

<u>رواه مسلم وغيره</u>

٣- عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، أنه كان يعلم أصحابه يقول : " إذا أصــبح أحدكم فليقل اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك

نموت، وإليك النشور وإذا أمسى فليقل اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير "

وقد وردت ألفاظ مختلفة لهذا الحديث، وما أثبتناه هو لفظ البخاري في الأدب المفرد واختاره شيخ الإسلام في الكلم الطيب، و ابن القيم في الوابل الصيب وهو المناسب من الروايات لأمرين :

أ- أن النشور مأخوذ من نشر اذا عاش بعد الموت ولذا ناسب أن يقال في الصباح : وإليك النشور، فإنه يقع في القيام من النوم وهو كالموت.

وناسب أن يقال في المساء : وإليه المصير لأنه يصير إلى النوم .

ب – أن النهار محل الكسب فيناسبه الانتشار، والليل محل السكون فيناسبه المصير .

والحديث رواه أبو دأود والنسائي بلفظ : النشور في المساء والصباح واختار هذه الرواية الإمام النووي في أذكاره . ورواه الترمذي بلفظ المصير في الصباح والنشور في المساء . والحديث صححه ابن حبان، والحافظ ابن حجر، والألباني، وقال الترمذي : حسن صحيح .

٤- عن أبي هريرة ﷺ، أن أبا بكر الصديق، ﷺ قال : يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال : قل " اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رَبَّ كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه " وفي رواية " وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره على مسلم . قال إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك " قال

الترمذي . حديث حسن صحيح . وانظر السلسلة الصحيحة رقم ٢٧٦٣

وقوله ﷺ " وشركه " روى على وجهين : أظهرهما وأشهرهما بكسر الشـين مع إسكان الراء من الإشراك : أي ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشـراك بالله تعالى، والثاني شركه بفتح الشن والراء : حبائله ومصايده، وأحدها شركة بفتح الشين والراء وآخره هاء .

٥- عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أنه قال : لم يكن رسول الله، ﷺ يـدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح :" اللهم إني أسألك العفـو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنـياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني مـن بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي" قال وكيع : يعني الخسف .

خرجه أبو دأود والنسائي وابن ماجه وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

تنبيه :

الجمع بين العفو والعافية هو رواية ابن ماجه واختلفت نسخ أبي دأود فالذي حققه الحوت موافق لرواية ابن ماجة بخلاف أكثر النسخ فإنه بالعافية دون العفـو وهو الذي في نسخة المنذري والسهارنفوري ونسخة دار ابن حـزم، أما الذي في عون المعبود فقد جمع بينهما، ورواية العافية فقط هي التي عند البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الدعوات، أما الحاكم في المسـتدرك فلـم يذكـر العفو ولا العافية في الدنيا والآخرة بل ذكر العفو والعافية في الدين والدنيا ....الخ .

٦- عـــن عـــبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه، قال : كان النبـــي ﷺ إذا أصبح فال : أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وديـــن نبيـــنا محمـــد ﷺ ، وملـــة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين.

رواه الدارمـــي وأحمد وزاد : إذا أمسى، والبيهقي في الدعوات، وصححه النووي والألباني، وقال في المجمع : رجالها رجال الصحيح .

وزيـــادة (وما كان من المشركين) هي في مسند أحمد والبيهقي في الدعوات .

٧-عـــن عبد الله بن غنام، ﷺ، أن رسول الله ﷺ ، قال : " من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شـــريك لـــك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حيـــن يمســـي فقد أدى شكر ليلته " خرجه أبو دأود والبيهقي في الدعوات وابن حبان في صحيحه واللفظ لهما أما رواية أبي دأود فمن غير (أو بأحد من خلقك)، وحسنه ابن حجر كما في فتوحات ابن علان

٨-عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها " ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ؟ تقولين إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ : يا حي يـــا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عيـــن " رواه الـــبزار، والحـــاكم وصححه، وقال في المجمع : رجاله رجال الصحيح غير عثمان بن موهب وهو ثقة .

٩- عـــن أبي مالك الأشعري ﷺ: ان رسول الله ﷺ قال " إذا أصبح أحدكم فليقل : أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هـــذا الـــيوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه، وأعوذ بك من شر ما فيه

وشر ما بعده، ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك " رواه أبو داود وسكت عنه.

وفـــي المســـاء يقول : أسألك خير هذه الليلة فتحها ونصرها ونورها وبركتها وهداها، وأعوذ بك من شر ما فيها وشر ما بعدها .

١٠- عن أم سلمة رضي الله عنها " أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا صـــلى الصبح حيث يسلم: اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً " رواه ابـــن ماجه وابن السني والطبراني في الصغير وأحمد في المسند، وابويعلى والنسائي في الكبرى .

١١- عـــن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ علمه وأمره أن يتعاهد أهله في كل صباح : " لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك، والخير في يديك ومنك وإليك، اللهـــم ما قلت من قول، أو حلفت من حَلِف، أو نذرت من نذر، فمشيئتك بين يدي ذلك كله، ما شئت كان وما لم تشأ لا يكون لا حول ولا قوة إلا بك، إنك على كل شيء قدير، اللهم ما صليتُ من صلاة فعلى من صليتَ، وما لعنتُ من لعن فعلى من لعنتَ، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقني بالصـــالحين، اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولـــذة الـــنظر إلى وجهك، وشوقاً إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضـــلة، وأعـــوذ بـــك أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيـــئة أو ذنـــباً لا تغفـــره، اللهـــم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك، ولـــك الحمد، وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنك تبعث مـــن في القبور، وأنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب

وخطية، وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنوبي كلها، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب علي إنك أنت التواب الرحيم " رواه أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير، وقـــال في المجمع : وأحد إسنادي الطبراني رجاله وثقوا، ورواه الحاكم وصححه، وقال الذهبي : أين لَه الصحة ؟ ا ٠ه وبطريقيه يرقى إلى الحسن .

والفقـــرة الأولى من الحديث رواها أبو دأود وفيها (كان في استثناء يومـــه ذلك) أي ان قائل هذه الكلمات في الاستثناء عن زلات لسانه يومه ذلك يعني يعفى عنه .

١٢-عـــن عـــبدالله بن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ حدثهم " أن عبداً من عـــباد الله قال " يا رب ! لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك . فعضـــلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء وقالا : يا ربنا ! إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها . قال الله عز وجل، وهو أعلـــم بما قال عبده : ماذا قال عبدي ؟ قالا : يا رب، إنه قال : يا رب، لك الحمـــد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله، عز وجل، لهما : اكتباها كما قال عبدي، حتى يلقاني فأجزيه بها " رواه أحمد وابن ماجه .

١٣-عـــن أبـــي سعيد الخدري ﷺ قال " دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال لَه أبو أمامة، فقال يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة ؟ قال : هموم لزمتني وديون يا رســـول الله، قـــال : أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك ديـــنك ؟قلت : بلى يا رسول الله، قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إنـــي أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك مـــن الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال " قال : ففعلت ذلك فأذهب الله تعالى همي وغمي وقضى عني ديني .

١٤-عن بعض بنات النبي ﷺ ان النبي ﷺ كان يعلمها فيقول :" قولي حين تصبحين " سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ؛ أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح " رواه أبو داود وسكت عنه، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة، والبغوي في المصابيح .

١٥ عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من قال حين يصبح {فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون}

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(الروم:١٩) أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته

١٦- عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " من قرأ حم المؤمن، إلى إليه المصير، وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح " رواه الترمذي وقال : حديث غريب، ورواه الدرامي بلفظ : ((لم ير شيئاً يكرهه حتى يمسي وحتى يصبح))، ورواه البغوي وابن السني وضعفه الألباني .

١٧- روى ابن السني عن طلق بن حبيب قال : جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال : يا أبا الدرداء قد احترق بيتك، فقال : ما احترق لم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ، من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح " اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب

العــرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم " ورواه من طريق آخر عن رجل مــن أصــحاب النبي ﷺ لم يقل عن أبي الدرداء، وفيه : أنه تكرر مجيء الرجل إليه يقول : أدرك دارك فقد احترقت وهو يقول : ما احترقت لأني ســمعت النبــي ﷺ يقول " من قال حين يصبح هذه الكلمات – وذكر هذه الكلمــات – لــم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه، وقد قلتها اليوم، ثم قال : انهضوا بنا، فقام وقاموا معه، فانتهوا إلى داره وقد احترق مــا حولها ولم يصبها شيء . والحديث ذكره ابن تيمية في الكلم الطيب وابن القيم في زاد المعاد بصيغة التمريض .

١٨- وروى أن رجــلاً شــكا إلى رسول الله ﷺ أنه يصيبه الآفات، فقــال لَــه رســول الله ﷺ : " قل إذا أصبحت بسم الله على نفسي وأهلي ومالي، فإنه لا يذهب لك شيء " فقالهن الرجل فذهبت عنه الآفات .

ثانياً : ما يقال ثلاث مرات

١- عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال : يا رسول الله مــا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة ؟ قال : أما لو قلت حين أمسيت أعــوذ بكلمــات الله الــتامات مــن شر ما خلق لم تضرك " رواه مسلم، والترمذي وحسنه ولفظه " من قال : حين يمسي ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله الــتامات من شر ما خلق لم يضره حمة تلك الليلة " قال سهيل : وكان أهلنا تعلموها فكانوا يقولونها كل ليلة، فلدغت جارية منهم فلم تجد لها ألماً، و رواه ابن حبان بنحوه و " الحمة " بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم .

٢-قـال عـبدالله بـن خبيب : خرجنا في ليلة ممطرة وظلمة شديدة نطلب النبي : ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال : " قل " فلم أقل شيئاً . ثم قال : "قل" فلم أقل شيئاً . ثم قال "قل " فقلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : " قل هـو الله أحد والمعوذتين " حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كـل شـيء " أخرجه أبو دأود والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وحسنه الحافظ ابن حجر كما في فتوحات ابن علان .

وقوله (يكفيك من كل شيء) لَه معنيان :

١- يغنيك من كل أنواع الذكر والثناء في الصباح والمساء .

٢- أو يكفيك قراءة هذه السور دفع الطوارق في الليل والنهار، وحوادثهما من الآفات والبلايا والدواهي ونحوها .

وعلى هذا التفسير إن جعلنا (من) لابتداء الغاية فالمعنى يكون تدفع عنك من أول مراتب السوء إلى آخرها، وإن جعلنا (من) تبعيضية فالمعنى: يكفيك بعض كل نوع من أنواع السوء .

٣- عن أبان بن عثمان قال : سمعت عثمان بن عفان ﷺ يقول : قال رسول الله ﷺ : " ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الـذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء " وكان أبان قد أصابه طرف فالج، فجعل الـرجل يـنظر إليه فقال لَه أبان : ما تنظر ؟ أما إن الحديث كما حدثتك ولكنـي لم أقله يومئذ ليمضي الله على قدره . رواه أبو دأود والترمذي وقال : حديـث صـحيح، والنسـائي وابن حبان والحاكم، وقال : صحيح الإسناد ورواية أبي دأود: لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح وحتى يمسي .

٤- عــن عــبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قال لأبيه : يا أبت، إني أســمعك تدعو كل غداة : " اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهــم عافنـــي في بصري، لا إله إلا أنت " تعيدها ثلاثاً حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً .

٥- وتقــول : " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت " تعيدها ثلاثاً حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً . فقال : نعم يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول بهن وأنا أحب أن أستن بسنته .

رواه أحمد وأبو دأود، والنسائي، والبخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الدعوات، وابن حبان في صحيحه، وحسنه الحافظ ابن حجر كما في فتوحات ابن علان .

٦-عن أبي سلام أنه كان في مسجد حمص فمر به رجل فقالوا : هذا خــدم النبي ﷺ، فقام إليه فقال : حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يتدأوله بينك وبينه الرجال قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" من قال إذا أصـــبح وإذا أمسى : رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولاً، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه " رواه أبو دأود .

وعــن ثوبـــان، قـــال : قال رسول الله ﷺ : " من قال حين يمسي رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، كان حقاً على الله أن يرضيه " رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب.

عن أبى سلام، خادم النبي ﷺ، عن النبي ﷺ ؛ قال " ما من مسلم، أو إنسان أو عبد يقول، حين يمسي وحين يصبح : رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة " . في الزوائد : إســناده صحيح، رجاله ثقات، و الحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر . وورد عند البيهقي في الدعوات انه يقولها ثلاث مرات .

وقــد ورد مرة بلفظ نبياً ومرة بلفظ رسولاً، ونص النووي على انه يستحب ان يجمع بينهما، ولو اقتصر على أحدهما كان عاملاً بالحديث .

٧-عــن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " من قال إذا أصبح : اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتم عليَّ نعمــتك وعافيــتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى كان حقاً على الله تعالى أن يتم عليه نعمته " رواه ابن السني وفي سنده ضعيف، وذكره ابن القيم في زاد المعاد .

ثالثاً : ما يقال أربع مرات أو أقل :

١- عــن أنس أن رسول الله ﷺ قال : " من قال حين يصبح : اللهم أصــبحنا نشهدك، ونشهد حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك، بأنك الله لا إلــه إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، إلا غفر الله لَه ما أصاب في يومه ذلك، وإن قالها حين يمسي غفر الله لَه ما أصاب فــي تلك الليلة من ذنب " رواه الترمذي وقال حديث غريب ورواه النسائي، وأبو دأود وسكت عنه هو والمنذري

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " من قال حين يصبح : اللهم إني أشهدك، وأشهد حملة عرشك، وملائكتك وجميع خلقك، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله ربعــه ذلك اليوم من النار فإن قاله أربع مرات أعتقه الله ذلك اليوم من النار " رواه النسائي وأبو دأود، وجود إسناده النووي، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد .

رابعاً : ما يقال سبع مرات :

عــن أبـــي الدرداء ﷺ قال " من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه صادقاً كان بها أو كاذباً "

خامساً : ما يقال عشر مرات :

قال رسول الله ﷺ :" من صلى علي حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة " رواه الطبراني وحسنه الألباني

سادساً : في فضل التهليل والتسبيح :

ﷻ إذا قيل مرة واحدة :

قـــال رســـول الله ﷺ " من قال، حين يصبح، لا إله إلا الله وحده لا شريك لَه، لَه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كان لَه عدل رقبة من ولد إسماعيل، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع لَه عشر درجات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي وإذا أمسى، فمثل ذلك حتى يصبح "

رواه ابن ماجه، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وأبو دأود في سننه .

ﷻ **وإذا قيل عشر مرات :**

عن عمرو ابن ميمون، قال : من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك لَـــه، لَه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرار، كان كمن اعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، رواه مسلم .

وعــن أبـــي ذر ؛ أن رسول الله ﷺ قال : " من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثاني رجليه قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله وحده لا شريك لَه، لَه الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كتبت لَه عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع لَه عشر درجات، وكان

يومـــه ذلـــك كله في حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله "

رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وورد عند النسائي والبيهقي في الدعوات ومصنف عبد الرزاق بألفاظ مختلفة .

۞ وإذا قيل مائة مرة :

عـــن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : " من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك لَه، لَه الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يـــوم مائة مرة، كانت لَه عدل عشر رقاب، وكتب لَه مائة حسنة، ومحيت عـــنه مائة سيئة، وكانت لَه حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه " رواه البخاري ومسلم .

فضل التسبيح :

سبحان الله وبحمده :

﴿ **إذا قيل مرة واحدة :**

عـــن جابـــر، عـــن النبي ﷺ قال : " من قال : سبحان الله وبحمده، غرست لَه به نخلة في الجنة " رواه ابن حبان في صحيحه .

﴿ **إذا قيل مائة مرة :**

عـــن ابـــي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : " من قال : سبحان الله وبحمـــده مئة مرة غفرت لَه ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر " رواه البخاري، ومسلم وغيرهما .

وفي رواية لمسلم : من قال حين يصبح وحين يمسي لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه .

فضل سبحان الله العظيم وبحمده :

﴿ **إذا قيل مرة :**

عـــن جابـــر، عـــن النبي ﷺ ، قال :" من قال : سبحان الله العظيم وبحمده، غرست لَه نخلة في الجنة "

رواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي

﴿ **إذا قيل مائة مرة :**

عـــن أبي هريرة، قال : قال رسول الله، ﷺ :" من قال حين يصبح :

ســبحان الله العظيم وبحمده مئة مرة، وإذا أمسى كذلك، لم يواف أحد من الخلائق بمثل ما وافى " رواه ابن حبان في صحيحه، وأبو دأود في سننه .

جوامع الأذكار :

١-عــن جويرية رضى الله عنها : أن النبي ﷺ خرج من عندها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال :

" ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ " قالت : نعم قال النبي ﷺ :" لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهــن : ســبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته " رواه مسلم وأبو دأود والنسائي وابن ماجه والترمذي .

وفي رواية لمسلم : " سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضاء نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته " زاد النسائي في آخره : " والحمد لله كذلك " .

ولفظ الترمذي : أن النبي ﷺ مر عليها وهي في المسجد، ثم مر بها وهي في المسجد قريب نصف النهار، فقال :" مازلت على حالك ؟" فقالت : نعم . فقال :" أعلمك كلمات تقولينها : سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عــدد خلقــه، سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مرات، وذكر زنة عرشه، ومداد كلماته، ثلاثاً ثلاثاً " وقال : حديث حسن صحيح .

٢-عــن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، عن أبيها ﷺ انه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة، وبين يديها نوي أو حصي تسبح به، فقال :

" أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا، أو أفضل ؟" فقال :" سبحان الله عدد مـــا خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر، مثل ذلك، والحمد لله، مثل ذلك، ولا إله إلا الله، مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، مثل ذلك "

رواه أبو دأود، والترمذي، وقال، حديث حسن غريب من حديث سعد، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٣-عن أبي أمامة ﷺ قال : رآني النبي ﷺ، وأنا أحرك شفتي، فقال لي : " بأي شيء تحرك شفتيك يا أبا أمامة ؟ " فقلت : أذكر الله يا رسول الله فقـــال : " ألا أخبرك بأكثر وأفضل من ذكرك بالليل والنهار ؟ " قلت : بلى يا رسول الله . قال :

" تقـــول : سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عـــدد مـــا فـــي الأرض [والســـماء] سبحان الله ملء ما في الأرض والســـماء، ســـبحان الله عدد ما أحصى كتابه، سبحان الله ملء ما أحصى كتابه، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء .

الحمـــد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما فـــي الأرض والسماء، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله ملء ما أحصي كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء " .

رواه أحمـــد، وابـــن أبي الدنيا واللفظ له، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما باختصار، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

أدعية نافعة

- أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

- أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجأوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلــق وذرأ وبــرأ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومــن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن .

- أعــوذ بكلمـــات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون .

- اللهــم أني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصـــيته، اللهــم إنك تكشف المأثم والمغرم، اللهم إنه لا يهزم جندك، ولا يخلف وعدك، سبحانك وبحمدك .

- أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التـــي لا يجأوزهن بر ولا فاجر، وأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر كل ذي شر لا أطيق شره، ومن شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، إن ربي على صراط مستقيم .

- تحصـــنت بالله الذي لا إله إلا هو إلهي وإله كل شيء، واعتصمت بربي ورب كل شيء، وتوكلت على الحي الذي لا يموت، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الرب من العباد، حسبي الخالق من المخلوق، حسبي الرازق من المرزوق، حسبي الذي هو حسبي، حسبي الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه حسبي

الله وكفــى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله مرمى، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

ثانيا: الصدقة:

وقد أكد عليها أبن القيم في كلامه السابق، ولها أثر عجيب في قبول الدعاء، بل وفعل المعروف أيا كان وصنائع المعروف تقي مصارع السوء كما قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ، والله عز وجل يقول عن يونس عليه السلام : ﴿ **فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾(الصافات:١٤٣-١٤٤).

ثالثا: عليك بالصبر وإياك واليأس والقنوط:

وفــي هذا توجيهات منها أن تعلم أن الدعاء عبادة، ولو لم يتوفر لك من دعائك إلا الأجر على هذا الدعاء بعد إخلاصك لله عز وجل فيه لكفى، ومــنها أن تعلم أن أعلم بمصلحتك منك، فيعلم سبحانه أن مصلحتك بتأجيل الإجابــة أو عدمها، ومنها لا تجزع من عدم الإجابة فربما دُفع عنك بهذا الدعاء شرا كان سينزل بك، فعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه مــن السوء مثلها، ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم إذا نكثر، قال الله أكثر. وزاد فيه الحاكم: أو يدخر لَه من الأجر مثلها.

رابعا:ربما كان عدم الإجابة أو تأخيرها امتحان لصبرك وتحملك وجلدك:

وهــل تستمر في الدعاء وفي هذه العبادة، أم تستحسر وتمل وتترك الدعــاء، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يستجاب

لأحكم ما لم يعجل يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي.

وفـــي روايـــة لمســـلم قيل: يا رسول الله ماالاستعجال؟ قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء.

خامسا: أن تلقي باللوم على نفسك:

وهي من أهمها، فقد يمون سبب عدم الإجابة وقوعك أنت في بعض المعاصـــي، أو التقصير وإخلالك بالدعاء أو تعديك فيه، فمن أعظم الأمور أن تـــتهم نفسك وتنسب التقصير وعدم الإجابة لنفسك، فهذا من أعظم الذل والافتقار لله.

وأسمع أيضا لهذا الكلام الجميل النفيس لأبن رجب رحمه الله يقول: إن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ولـــم يظهر لَه أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة يقول لها إنما أتيت من قـــبلك، ولـــو كان فيك خيرا لأُجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعـــات، فإنـــه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه لَه بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه، فلذلك يسرع إليه حين إذ إجابة الدعاء، وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، وعلى قدر الكسر يكون الجبر. انتهى كلامه.

سادسا: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة:

قـــال ســـلمان الفارسي: إذا كان الرجل دعاء في السراء، فنزلت به ضـــراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة صوت معروف فشفعوا لَه، وإذا كـــان لـــيس بدعـــا في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة صوت ليس بمعروف.

أيها الأخوة، وأنا أتأمل في حديث الثلاثة أصحاب الغار وهم يدعون ويتوسلون إلى الله بصالح أعمالهم وأخلصها لله، أقول في نفسي وأفتش فيها أيـــن ذلك العمل الصالح الخالص لله الخالي من حظوظ النفس، الذي سألجأ إلى الله فيه عند الشدة.

فلـــنرجع لأنفسنا ولنسألها مثل هذا السؤال، لنبحث في أعمالنا وعن الإخلاص لله فيها، ولنكن على صلة بالله في الرخاء، وصدق من قال:

إذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد......ذخرا يكون كصالح الأعمال

سابعا: إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان بالله تعالى:

وفـــيه اطمئـــنان للـــنفس وراحة للقلب، فأعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطئك لم يكن ليصيبك، وتذكر دائما أن كل شيء بقضاء وقدر، وأنه من عند الله.

ثامنا: أحرص على أكل الحلال فهو شرط من شروط إجابة الدعاء:

وفـــي الحديث: ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى الســـماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنا يستجاب لَه.

فـــالله الله بالحلال فإن لَه أثر عجيب في إجابة الدعاء، ربما قصرنا بوظائفنا، أي نوع من التقصير، وكان ذلك التقصير سبب في رد الدعاء أو إجابته، فلنتنبه لهذا أيها الأحبة.

تاسعا: حتى تكون مجاب للدعوة إن شاء الله أكثر من الاستغفار في الليل والنهار:

فلو لم يكن فيه إلا قول الحق عز وجل: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ**

كَـانَ غَفَّـاراً * يُرْسِـلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَـلْ لَكُـمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾(نـوح:١٠-١٢)، فأين من يشكو الفقر والعقم والقحط عن هذه الآية.

هـذه توجيهات أنتبه إليها قبل أن ترفع يديك إلى السماء لتكن مجاب الدعاء إن شاء الله.

إلى كل مصاب ومنكوب، والى كل من وقع في شدة وضيق أقول:

اطمأنوا فقد سبقكم أناس في هذا الطريق، وما هي إلا أيام سرعان ما تنقضي، وفي بطون الكتب المصنفة في الفرج بعد الشدة للتنوخي وأبن أبي الدنيا والسيوطي وغيرهم مئات القصص لمن مرضوا أو افتقروا أو عذبوا أو شردوا أو حبسوا أو عزلوا، ثم جاءهم الفرج ساقه لهم السميع المجيب.

فلك في المصابين أسوة قال ابن القيم في زاد المعاد كلام جميل أيضا فأسمعه:

قـال ومن علاجه – أي علاج المصيبة- أن يطفأ نار مصيبته ببرد التأسـي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل واد بنو سعد، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة، ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة، وأنه لو فتش العلم لم يـرى فـيهم إلا مبتلى إما بفوت محبوب، أو حصول مكروه، وأن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل، إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا، وإن سرت يومـا ساءت دهرا، وإن متعت قليلا منعت طويلا، وما ملئت دارا حبرة – أي سـعادة- إلا ملأتهـا عـبرة، ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت لَه يوم شرور.

أيهـا الأخـوة والأخوات، قصص القرآن والأحاديث في كتب السنة

والقصص والمواقف في كتب الفرج بعد الشدة، والأحداث والعبر في واقعنا المعاصر جميعها تخبرنا أن الشدائد مهما طالت لا تدوم على أصحابها.

إذا اشتملت على اليأس القلوب	وضاقت لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت	وأرست في أماكنها الخطوب
ولم ترى لانكشاف الضر وجها	ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث	يجيء به القريب المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت	فموصول بها الفرج القريب

ولو لم يكن في المصائب والبلايا إلا أنها سبب لتكفير الذنوب، وكسر لجماح النفس وغرورها، ونيل للثواب بالصبر عليها وتذكير بالعمة التي غفل عن شكرها.

وهي تذكر العبد بذنوبه، فربما تاب وأقلع عنها.

وهي تجلب عطف الناس ووقوفهم مع المصاب، بل من أعظم ثمار المصيبة أن يتوجه العبد بقلبه إلى الله، ويقف بابه ويتضرع إليه، فسبحان مستخرج الدعاء بالبلاء.

فالبلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات للمخلوقين ويوجب له الإقبال على الخالق وحده، وهذا هو الإخلاص والتوحيد.

فإذا علم العبد أن هذه من ثمار المصيبة أنس بها وارتاح ولم ينزعج، ولم يقنط، فالى ذوي المصائب والحاجات والشدائد والكربات إن منهج القرآن يقول: ﴿ **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾(البقرة:٢١٦).

بـــل اسمعوا إلى هذه الآية العجيبة ففيها عزاء وتطمين لكل المسلمين قال تعالى: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾(النساء:١٩).

فلماذا التسخط والجزع والشكوى والأنين فلعل في ما حصل خيرا لك فتفاءل وأبشر، واعتمد على الله وارفع يديك إلى السماء وقل: يا سامعا لكل شكوى.

واحسن الظن بالله وقل:

صبرا جميلا ما أسرع الفرج

من صدق الله في الأمور نجى

من خشي الله لم ينله أذى

من رجا الله كان حيث رجا

هذه كلمات لتسلية المحزونين، وتفريج كرب الملذوعين، وهي عزاء للمصابين وتطييب للمنكسرين.

أسأل الله أن ينفع بها المسلمين وأن يغفر لي ولك أجمعين.

فيا سامعا لكل شكوى، ويا عالما بكل نجوى.

يـــا سابغ النعم، ويا دفع النقم، ويا فارج الغمم، ويا كشف الظلل، ويا أعدل من حكم، ويا حسيب من ظلم، ويا ولي من ظُلم.

يـــا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث ولا الدهور، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار.

كـــم مـــن نعمة أنعمت بها علينا قل لك عندها شكرنا، وكم من بلية ابتليتنا بها قل عندها صبرنا، فيا من قل عند نعمته شكرنا ئلم يحرمنا، ويا من قل عند بلائه صبرنا فلم يخذلنا أقذف في قلوبنا رجائك، اللهم اقذف في قلوبنا رجائك، اللهم اقذف في قلوبنا رجائك حتى لا نرجو أحدا غيرك.

اللهم إنا نسألك إيمانا ثابتا، ويقينا صادقا حتى نعلم أنه لن يصيبنا إلا مـــا كتبـــت لـــنا، اللهم لا نهلك وأنت رجائنا، اللهم لا نهلك وأنت رجائنا احرسنا بعينك التي لا تنام وبركنك الذي لا يرام.

يـــا سامعا لكل شكوى، ويا عالما بكل نجوى، يا كاشف كربتنا، ويا مستمع دعوتنا، ويا راحم عبرتنا، ويا مقيل عثرتنا.

يـــا رب البيـــت العتيق أكشف عنا وعن المسلمين كل شدة وضيق، واكفنا والمسلمين ما نطيق وما لا نطيق، اللهم فرج عنا وعن المسلمين كل هم غم، وأخرجنا والمسلمين من كل حزن وكرب.

يـــا فـــارج الهـــم، يا كاشف الغم، يا منزل القطر، يا مجيب دعوت المضطر، يا سامعا لكل نجوى احفظ إيمان وأمن بلادنا، ووفق ولاة الأمر لما فيه صلاح الإسلام والعباد.

يا كاشف كل ضر وبلية، ويا عالم كل سر وخفية نسألك فرجا قريبا للمســـلمين، وصـــبرا جميلا للمستضعفين، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبـــدا، ويا ذا النعم التي لا تحصى أبدا، أسألك أن تصلي على محمد وعلى آلي محمد أبدا.

اللهم صلي وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

فهرس